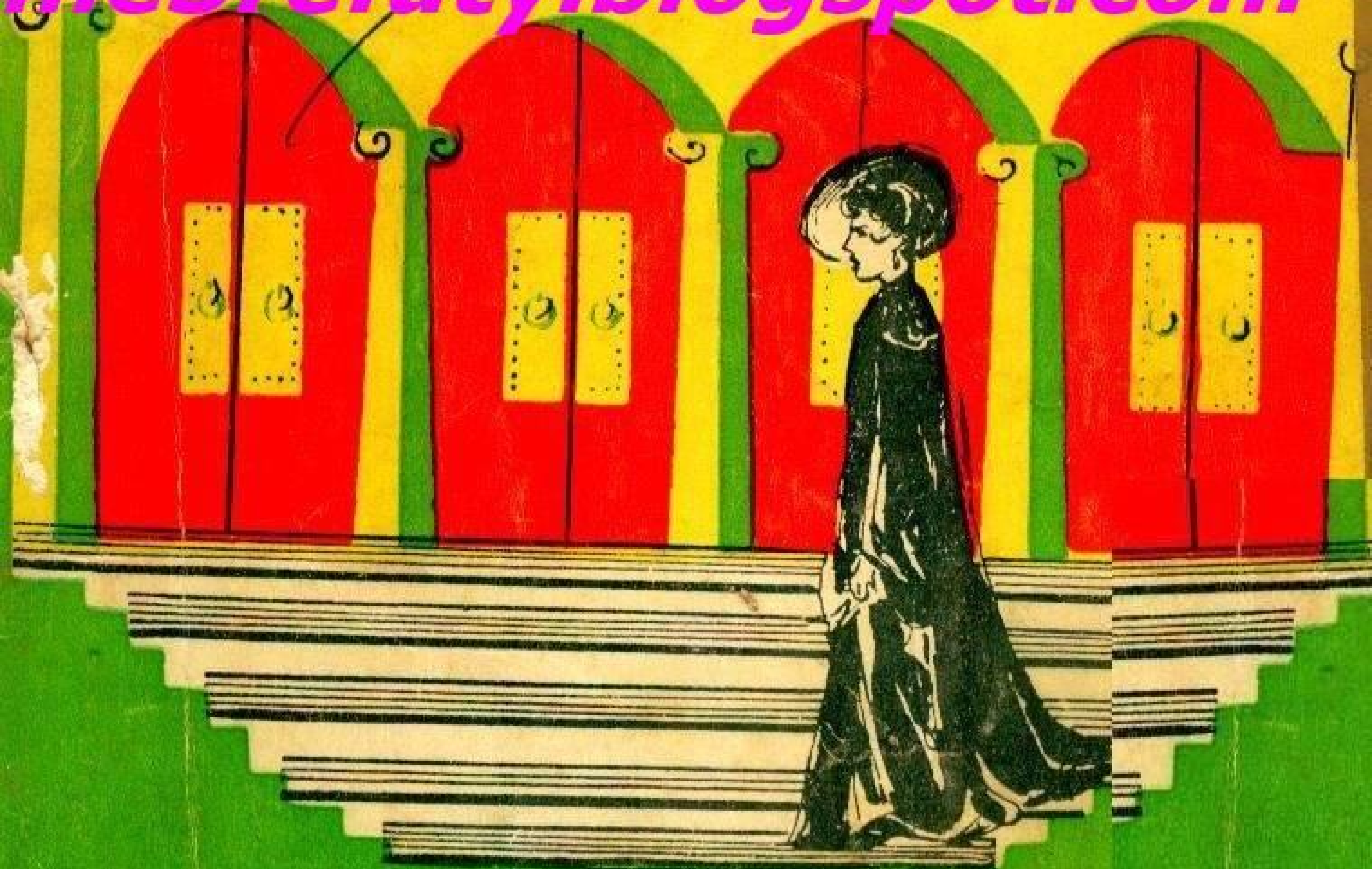
الحداد يليق بإلكترا

تأليف

يوجين أونيل



ترجمة
محمود أحمد

مراجعة
علي أدهم

الألف كتاب (٣١٨)

الحاد ديليو بالكترا

تأليف
يوجين أونيل

ترجمة
محمود أحمد

مراجعة
على أدهم

الناشر
المؤسسة العربية للطباعة والنشر
احمد عبد الحليم العسكرى وشركاه
١ ميدان سليمان باشا بالقاهرة
ت ٢٦١٢٤٢
١٩٦١

تصدر هذه السلسلة

بمعاونة المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية

الألف كتاب (٣٠٨)

الحدائق بالكيرا

بإشراف
إدارة الثقافة العامة
وزارة التربية والتعليم
الإقليم الجنوبي

هذه ترجمة كتاب : ـ

MOURNING BECOMES ELECTRA
(A TRILOGY)

تأليف

EUGENE O'NEILL

المسرحية تحتوى على : ـ

القسم الأول	Homecoming : A Play in 4 Acts
القسم الثانى	The Hunted : A Play in 5 Acts
القسم الثالث	The Haunted : A Play in 4 Acts

مقدمة

يعتبر « يوجين أونيل » من أقوى دعائم المسرح الأمريكى وصاحب الفضل الأكبر فى أن تحتل المسرحية الأمـريكية مكانا مرموقا فى الأدب العـــالمى .

ولد يوجين فى أكتوبر سنة ١٨٨٨ من أبوين يعملان بالمسرح . فقد كان أبوه ـ جيمس أونيل ـ ممثلا رومانسيا جوالا يلعب هاملت وماكبث والملك لير وروائع شكسبير فاذا هبط ايراده لعب « مونت كريستو » لدوماس .. وخيل لأوجين الصبى أن الدراما بضاعة أوربية مستوردة من انجلترة وفرنسا بالذات ، وقد تساءل كثيرا بينه وبين نفسه : لم لا تنتج أمريكا هذه البضاعة الشهية الجميلة .. المثيرة .

وطوف فى البحار على ظهر زورق نرويجى ، ودرس الملاحةوحصل على شهادتها بعد عامين .. وهذا سر تعشقه لمشاهد البحر فىمسرحياته واتقانه ـ بصورة ملموسة ـ وصف حياة البحر والملاحة .. والملاحين .

وفى سنة ١٩١٤ انتسب الى معهد « بيكر » لدراسة الأدبالانجليزى عامة .. والدراما خاصة ، وبعد دراسة قصيرة رأى أن يهب بقية حياته للمسرح .. ومنذ ذلك التاريخ قدم للمسرح الأمريكى ، والعـالمى أكثر من ثلاثين مسرحية .. وكرمته المحافل الأدبية والفنية ، فمنح جائزة « بوليترز » للمسرحية ثلاث مرات ، ثم الدكتوراه فى الأدب من جامعة «ييل» ، وأخيرا نال أعظم التقدير بفوزهبجائزة نوبل للأدب عام ١٩٣٦ . وقد ترجمت مسرحيات « أونيل » الى معظم لغات العالم ومثلت على مسارح معظم الأمم المتمدنة .

وهذه القصة : « الحداد يليق باليكترا » تحليـل عصرى للقصـة الاغريقية القديمة « اليكترا » فكما أن « أجاممنون » فىالقصة الاغريقية، تقتله زوجته « كليمنسترا » فتبكيه ابنته « اليكترا » وتنتقم له بمعاونة

أخيها » أوريست » ، كذلك فى هذه القصة : « أزرا مانون » تقتله زوجته « كريستين » فتبكيه ابنته « لافينيا » وتنتقم له بمعاونة أخيها «أورين» فالقصة هى هى من حيث تسلسل الحوادث ، ولكن الجديد فى مسرحية « أونيل » هذا التحليل النفسى العميق الذى امتاز به الكاتب الكبير ، وكذلك تحوير سلوك الشخص ونقاله مئات السنين عبر التاريخ .. لتعيش اليكترا و « أوديب » و « أوريست » مرة أخرى بيننا وبأسلوبنا وسلوكنا .. ويحملون على أكتافهم نفس المأساة بصورة أقرب الى المنطق والأفهام ..

وما موقف أونيل من كبار كتاب المأساة .. وما وضع هذه القصة كعمل مسرحى خالد جعلها احدى المآسى العالمية الكبيرة ؟ يقول الناقد المعروف « وود كروتش » : ان أشخاص هذه القصة « الحداد يليق باليكترا » يمتازون بالحيوية الدافقة .. ان كلا منهم يستطيع أن يقول ــ بحرارة ــ اننى أحببت وكرهت .. وفرحت وحزنت . وظلمت وقسوت .. وعلا أنينى الفاجع كما علا غنائى الماجن ، وخفق قلبى بالحب الكبير كما خفق بالحقد المرير .. يستطيع أن يقول انى عشت حياتى كلها .. طولا وعرضا . وهذه المأساة ــ كاحدى القطع الأدبية الخالدة ــ لا تقصد الى ما يقصد اليه « ابسن » مثلا أو « شو » أو « جالزورثى » من كتابة مسرحياته ــ وانما تتفق فيما تقصد اليه مع « هملت » و « أوديب » و «ماكبث» .. أى أنها تصور الجنس البشرى ككائنات خطيرة فى تحريك الحوادث ، وكمخلوقات طاغية مروعة حين تنطلق منها الغرائز ، الا أنها تسجل حقيقة أخرى هامة .. هى أن للنفس البشرية أن تطمئن ــ سواءكان ايمانها بالحياة الأخرى وقضائها كبيرا أو لم يكن ــ لها أن تطمئن الى أن قضايا الحياة الدنيا تحمل فى طياتها سلامة الحكم وعدالة الجزاء .

أما أونيل فيكتب عن نفسه قائلا : « ان الكتاب يصورون فى قصصهم علاقة الانسان بالانسان داخل نطاق المجتمع .. أما أنا فأميل الى دراسة علاقة الانسان بالخالق ، وعلاقة الانسان بنفسه .. وهذه الدراسة تقتضى رفع الأقنعة أو على الأقل الاشارة اليها ، فان علاقة الانسان بالانسان

فى نطاق المجتمع تتطلب أقنعة تحجب ما لا يتفق وأوضاع هذا المجتمع .. بعكس العلاقة الواضحة العارية بين الانسان وربه ، أو بينه وبين نفسه » .

* * *

والمسرح المصرى ــ كالمسرح الأمريكى ــ قام أصلا على أساس من المسرحية الانجليزية والفرنسية .. فقد ترجمنا « لشكسبير » و «شو» و « ويلد » ، وكذلك ترجمنا « لموليير » و « ساردو » و « دوماس » .. وظل مسرحنا بعيدا عن المسرحية الأمريكية وتطورها السريع .. ولا تكتمل المكتبة المسرحية الا باضافة روائع المسرح الأمريكى اليها. وهذه المسرحية .. « الحداد يليق باليكترا » فى اعتبار النقاد .. أقوى مأساة لأعظم من كتب المآسى لمسرح العالم الجديد .

المترجم

المنظر العام للثلاثية

تقع حوادث هذه الثلاثية ـ باستثناء أحد فصول المسرحية الثانية ـ فى بيت آل مانون أو خارجه مباشرة فى ضواحى احدى مدن «نيوانجلند» الساحلية .

فهناك ستارة خاصة تظهر البيت كما يرى من الشارع ـ ومنها ـ وفى كل مسرحية يأتى المرء الى خارج المنزل فى الفصل الافتتاحى ثم يدخله فى الفصل التالى .

هـذه الستارة تنكشف عن أرض ممتدة تبلغ ثلاثين فدانا تقريبا محيطة بالمنزل ، وغابة مرتفعة فى الظهر ، وبساتين على اليمين ، وفى المؤخرة القريبة ، وحديقة أزهار كبيرة وبيت لتربية النباتات الى اليسار .

وفى المقدمة وعلى الشارع يوجد خط من أشجار الغابات .. يحيط بهذه الممتلكات جميعا سور وتدى أبيض وسياج مرتفع .. وينحنى الى المنزل طريق للعربات من مدخلين ذوى بوابتين بيضاوين .. وثمة مرج أخضر بين المنزل والشارع . وغابة صنوبرية بالركن الأيمن للمنزل وأشجار من الفصيلة الجميزية على طول الطريق ، وكتلة كثيفة من شجيرات البنفسج والآس بالركن الأيسر .

ويقوم المنزل على ارتفاع بسيط يبعد ثلاثمائة قدم تقريبا عن الشارع .. وهو بناء كبير على نمط المعابد الاغريقية القديمة التى راجت فى النصف الأول من القرن التاسع عشر .. فالشرفة الخشبية بأعمدتها الستة المرتفعة تتناقض بوضوح مع جدار المنزل المبنى من الحجر الأشهب . وهناك خمس نوافذ للدور الأعلى وأربع للأرضى والمدخل العام بالوسط . أما طريق الباب فتنكسر عليه أضواء جانبية مستقيمة بفعل أعمدة متوسطة ، ومصاريع النوافذ لونها أخضر قاتم .. وأرض الشرفة يؤدى اليها مرتفع ذو أربع درجات .

وتقع حوادث المسرحيات الثلاث فى ربيع أو خريف عامى ١٨٦٥ ـ ١٨٦٦ .

الأشخـــــــاص

ازرا مانون	:	قائد بجيش الجنرال جرانت .
كريستين	:	زوجتـــه .
لافينيـــا	:	ابنتهمـــا .
آدم برانت	:	ربان السفينة الشراعية « فلاينج تريدز » .
بيتر نيلز	:	ضابط مدفعيـــة .
هيزل نيلز	:	أختـــــه .
ست بيكويز	:	بســـتانى .
ايموس ايمز	:	
لويز	:	زوجته .
مينى	:	ابنة عمها .

المنــــــــاظر

الفصـــل الاول : بيت آل مانون من الخـــارج بنيو انجلند ـ ابريل ١٨٦٥ .

الفصل الثانى : غرفة مكتب أزرا مانون بالمنزل ـ نفس الوقت .

الفصل الثالث : نفس المنظر الأول ـ فى المساء بعد أسبوع .

الفصل الرابع : غرفةنوم بالمنزل .. نفس المساء متأخرا .

القسم الأول

العودة

مسرحية ذات أربعة فصول

الفصل الأول

« العـــــــــودة »

المنظر : بيت آل مانون من الخارج .. بعـد ظهـر أحد أيام ابريل سنة ١٨٦٥ .. فى الوجه : الطريق الذى يؤدى الى البيت من المدخلين بالشارع ، وينتهى الى واجهة البيت وهى على نمط المعابد الاغريقيـة بأعمدتها الستة وتمتد عبر المسرح .. وشجرة صنوبر ضخمة فى المرج الأخضر على حافة الطريق أمام الناصية اليمنى للمنزل وجذعها عمـود أسود يتناقض بوضوح مع الأعمدة البيضاء بشرفة الواجهة . وعلى حافة الطريق فى الجهة اليسرى مجموعة كثيفة من شـجيرات البنفسج والآس ، وقد وضع أمامها مقعد يحجب من يجلس عليه عن واجهـة البيت .

الوقت : قبيل الغروب. الضوء الخافت للشمس الغاربة يتألق فى هدوء على الواجهة البيضاء والحائط الحجرى الأشهب ، فيظهر بياض الأعمدة وقتامة الحائط الأشهب واخضرار المصاريع المفتوحة والمروج والأشجار وشجرة الصنوبر المخضرة فى سواد .. ظل الأعمدة البيضاء ينطرح فى خطوط سوداء على صفحة الجدار الأشهب خلفها ، ونوافذ الطابق الأسفل تعكس ضوء الشمس بصورة قابضة فتبدو الواجهة وكأنها قناع أبيض غير ملائم يخفى ما فى البيت من قتامة وقبح .

يأتى من بعيد ــ من المدينة ــ صوت فرقة موسيقية تعزف (جون برونز بودى) تحمله هبات الريح الخفيفة فيرتفع من اشتدادها ويخفت مع هدوئها ..

من اليسار : يسمع صوت رجل يترنم بأغنية (شيناندوه) وهى أغنية تشمل فى طياتها ايقاع البحر المتأمل . الصوت يقترب بسرعة ..

صوت رفيع لرجل مسن ، والصوت يوحى بأن صاحبه كان فى وقت ما من أصحاب الأصوات الجميلة العريضة المتوسطة الدرجة .

« أوشيناندوه .. اننى أشتاق لأن أسمعك
ألا ابتعد أيها النهــر المنســاب
أوشيناندوه .. لا أستطيع الاقتراب منك
فأنا مقيــد بعيدا
وراء نهر الميسورى الفسيح

واذ ينتهى المغنى « سث بيكويد » من المقطع الأخير يدخل يتبعه عن كثب « ايموس ايمز » وزوجته « لويزا » وابنة عمها « مينى » .

« وسث بيكويذ » بستانى الأسرة ورجل كل الأعمال .. شيخ فى الخامسة والسبعين طويل القامة نحيف منحنى الظهر ذو شعر أشيب ولحيــة بيضاء ، ومفاصل متصلبة بفعل « الروماتيزم » ومــع ذلك مازال قويا ، وله وجه شاحب يبعث فى النفس حينما يكون مرتاحا انطباعا غريبا كأنه يضع عليه قناعا ويغلب على وجهه العبوس. وعيناه الصغيرتان تتطلعان للحياة فى شغف متطلع نفاذ وفمه المتهدل يوحى بالمجون الخليع، وهو يرتدى ملابس العمال الملطخة بالطين .

« ايموس ايمز » يعمل بالتجارة واليوم يقضى عطلته ويرتدى أحسن ملابسه الخاصة بيوم الأحد ، وكذلك زوجته وابنة عمها . وهــو رجل سمين تعـــدى الخمسين .. وهو مثل ســائر ســكان المــدن ثرثار ولوع بتصيد أخبار الفضائح والشائعات ، وهو مع ذلك مجرد من الغرض السيىء وليست الفضائح عنده ســـوى موضوع عام للحديث ، وزوجته « لويزا » فى مثل سنه ، ولكنها أطول منه وأكثر بدانة .. وهى مثله فى ذلك النمط الذى يحب الاستماع الى الفضائح ويشحذ لسانه بالحــديث عنها .. اما ابنة العم « مينى » فامرأة فى الأربعين ، وديعة تجيد الانصات وعيناها المستديرتان تنمان عن حمق وبلادة ، ممتلئة الجسم صغيرة الحجم لها وجه صغير مستدير كلف بالحديث عن الفضائح .

هؤلاء الثلاثة ــ ايموس ولويزا ومينى ــ نماذج من سكان المدينــة أكثر منهم شخصيات قائمة بذاتها .. انهم بمثابة فرقة تردد الشائعات، وقد أتوا ليشاهدوا آل مانون الأثرياء ويتجسسوا عليهم . وعلى بعد من

شجرة البنفسج يتقدمون يقودهم «ست» ثم يقفون محدقين فى المنزل . وست ــ بشىء من مجون الشيوخ ــ يحاول أن يؤثر فى مينى ، فقد كان يغنى لها ، وهو يغمزها بكوعه ضاحكا .

* * *

ست : ما رأيك فى هذا الغناء من رجل مسن ؟ لقد تعودت أن أكون ملحوظا بسبب غنائى (لا تعيره أى انتباه بل تظل تحدق فى المنزل فاغرة الفم من الرهبة فيتجه الى ايمز مبتهجا) .
أؤكد لك يا أيمز أنه لو صدقت هذه الأنباء فلن يكون الليلة انسان واع فى المدينة . ان واجبنا الوطنى يحتم علينا أن نحتفل ..

ايمز : (مبتسما) نعم بكل تأكيد يجب أن نحتفل .

لويزا : لن يشرب ايمزس الليلة سواء استسلم الأعداء أم لم يستسلموا . يا لك من ماجن عجوز .

ست : (مسرورا) عجوز ! ؟! اننى فقط فى الخامسة والسبعين وقد عاش أبى حتى التسعين . ان الشراب لا يقتل أحدا من آل بيكويز .
(يضحك وايمز . ابتسامة مغتصبة من لويزا . مينى ليست معهم فما زالت محدقة فى المنزل) .

مينى : ياله من منزل جميل ! .

ست : لقد وعدت ايموس أن أريكم اياه حين تأتون لزيارته ، اذ ليس فى استطاعة كل فرد أن يرى المانون عن قرب ، وهم صارمون فى تطبيق هذا المبدأ .

مينى : لابد أنهم أثرياء . قل لى كيف كونوا ثروتهم هذه ؟ .

ست : «أزرا» جمع قدرا كبيرا بنفسه ومن قبله أبوه أب مانون وورث أزرا بعض الثروة ثم زادها بالعمل فى الملاحة فقد افتتح خطا من أوائل خطوط الملاحة فى المحيط الغربى .

مينى : انه القائد . أليس كذلك .

ست : (بزهو) وأعظم محارب فى جيش « جرانت » .

مينى : أى نوع من الرجال هو ؟ .

ست : (بفخر) انسان كفء . ويظن الكثير أنه بارد الدم معتد بنفسه ، لأنه لا يجد ما يتحدث به اليهم ، ولكن هذه هى طريقة لمانون وهم الفريق الفائز منذ أن أستقر بهم المقام هنا لأكثر من مائتى عام خلت ،فليذكر الناس ذلك .

مينى : لماذا اذن التحق بالجيش مادام غنيا الى هذا الحد ؟ .

ست : كان جنديا قبل هذه الحرب ، فقد أرسله أبوه الى المنطقة الغربية مرتين ثم اشترك فى الحرب المكسيكية وعاد منها برتبة عميد . وفى نفس العام توفى أبوه فترك الجيش وتولى الملاحة هنا . ولم يقف عند هذا .. بل درس القانون واشتغل بالقضاء ثم اتجه للسياسة وانتخب عمدة لهذه المقاطعة ، وكان يشغل هذا المنصب حين نشبت الحرب ، فاستقال على الفور وانضم للجيش مرة أخرى . والآن ارتقى الى منصب القيادة . نعم .. انه لكفء .

ايمز : حقا ان هذه المدينة لتفخر بأزرا أيما فخر .

لويزا : بعكس زوجته التى يكرهها الجميع فهى ليست من نوع المانون اذ تنحدر من أصل فرنسى وهولندى وذات ملامح غريبة وأبوها طبيب بنيويورك ولكن يبدو أنه طبيب متواضع لأنها كانت خالية الوفاض حين تزوجها أزرا .

ست : (متجهم الوجه ـ وفى حدة) دعونا من الزوجة فليست موضع حديثنا (يغير الموضوع فجأة) لابد أن أرى فينى . سأبحث عنها فى المطبخ . انتظروا هنا قليلا واذا اعترضتكم زوجة ازرا فقولوا ان فينى هى التى سمحت لكم بالزيارة .

(يخرج ست مارا بالناصية اليسرى المنزل . يحملق الثلاثة فيما حولهم فى استحياء وخوف وقلق ويتحدثون فى همس) .

لويزا : ان ست فخورا جدا بأسرة مانون ولكنى لم أستطع أن أمنع نفسى من أن أتحدث عن زوجة أزرا بالسوء .

ايمز : حسنا ، لا تشغلى بالك كثيرا . انه أيضا يكرهها .

لويزا : ش .... ش هاك أحدا يخرج من المنزل فلنرجع هنا الى الوراء (يزدحمون خلف المقعد عند شجيرات البنفسج ويتطلعون خلال أوراق الأشجار بينما يفتح الباب الخارجى وتخرج « كريستين مانون » وتقف على عتبة الرواق فى أعلى الدرج لويزا تلكز ابنة عمها وتهمس باضطراب) ها هى .

(كريستين مانون امرأة طويلة القامة تسترعى الانتباه فى حوالى الأربعين ، ولكنها تبدو أصغر من ذلك بكثير . وجهها جميل ناضر وخطواتها رشيقة خفيفة وهى ترتدى ثوبا أنيقا غاليا من الأطلس الأخضر يوضح اللون الغريب لشعرها المتجعد الكثيف الذى هو مزيج متداخل من اللون البرونزى والرمادى والذهبى . وجهها غير عادى ووسيم أكثر منه جميلا ، وان المرء ليبهر من الانطباع الغريب الذى يحدثه فى النفس اذ يخيل اليه أنه قناع شاحب خال من مظاهر الحياة وعيناها الزرقاوان العميقتان هما وحدهما اللتان تنبعث منهما الحياة ، وحاجباها السوداوان يلتقيان فى خط مستقيم واضح فوق أنفها القوى وذقنها ثقيل وفمها كبير وممتلىء بالرغبة ، وشفتها السفلى مكتنزة أمام العليا فقوس رفيع يظله خيط من الشعر . تقف كريستين وتسترق السمع فى قلق كأن الموسيقى الآتية من بعيد تحمل معنى يهددها ولكنها تهز كتفيها فى أنفة واستخفاف وتهبط السلم ثم تتجه الى الحديقة الخارجية . تمر بجانب شجيرات البنفسج دون أن تلحظ أيمز والمرأتين) .

مينى : (فى همس ورهبة) انها لطيفة جدا أليس كذلك ؟ .

لويزا : تبدو غريبة جدا فى نظرى .

مينى : نعم فسحنتها غريبة الملامح .

ايمز : خفية ! كما لو كانت تضع قناعا على وجهها وآل مانون جميعا يبدون كذلك . وقد اكتسبت زوجاتهم هذه

الخاصة ، بل ان « سث » أيضا قد اكتسبها فقد قضى حياته معهم . انهم لا يريدون أن يستشف الناس أسرارهم .

مينى : (فى لهفة) أسرارهم ؟ .

لويزا : ان لآل مانون أسرارهم الخاصة بهم تماما كسائر الناس بل أسوأ (تخفض صوتها لدرجة الهمس وتقول لزوجها) اخبر « مينى » عن دافيد شقيق آب مانون الذى تزوج تلك المرضة الفرنسية الكندية التى استغوا ها .

ايمز : ش .. .. ش اسكتى ، ألا يمكنك السكوت ؟ ها هو سث قد عاد (يهمس بسرعة لمينى) لقد حدث هذا منذ وقت بعيد جدا ، حين كنت صبيا سوف أخبرك فيما بعد ، (يظهر سث من الناحية اليسرى وينضم اليهم) .

سث : ان هذه الطباخة الزنجية الوقحة تطلب منى دائما أن أحضر لها حطبا وكأننى عبد لديها . هذا هو جزاؤنا لأننا حررناهم (ثم بخفة ونشاط) حسنا . تعالوا معى . سوف أريكم بستان الخوخ ، ثم بعد ذلك نذهب الى بيت الزهور . اننى لم أجد فينى (يهمون بالخروج حين يفتح الباب الخارجى للمنزل . وتخرج لافينيا وتقف على قمة السلم حيث كانت أمها . فتاة فى الثالثة والعشرين ولكنها تبدو أكبر من هذا بكثير .طويلة مثل أمها نحيلة مسطحة الصدر ترتدىثوبا أسود بسيطا يؤكد خلوها من الجاذبية وتمشى بطريقة عسكريةجامدة، صوتها بارد وجاف ، وهى تخطف كلماتها بسرعة كأنها ضابط يأمر ، ولكن بالرغم من هذه الخصائص التىتختلف فيها عن أمها فانها تشبهها تماما من حيث ملامح الوجه والشعر المتداخل الألوان والحواجب السوداء التى تلتقى فى خط مستقيم فوق أنفها ، ونفس الفم الملىء بالرغبة ونفس الفك وفوقهذا كله فان وجهها يعطىنفسالانطباع الغريب بأنها تضع فوق وجهها قناعا ولكن من الواضح

أن لافينيا تفعل كل ما فى وسعها لكى تؤكد عدم التشابه بينها وبين أمها . وشعرها مشدود باحكام كأنها تريد أن تخفى ما فيه من تجعد ، وليس هناك أية مسحة من الاغراء فى مظهرها البسيط الخالى من الجمال ورأسها فى حجم رأس أمها ويبدو كبيرا بالنسبة لجسمها النحيف) .

ست : (يراها) ها هى قد ظهرت الآن (يتجه نحو السلم ثم يرى أنها تلحظ وجوده يتوقف عن السير وينتظر وقد أدهشه شيء فى سلوكها ولكنها تنظر بعيدا الى اليمين . ترقب أمها وهى تتجول فى الحديقة ناحية بيت الزهور . عيناها السوداوان القاسيتان تنمان عن عداء شديد ومرير . لابد أن الأم قد اختفت الآن فى بيت الزهور لأن لافينيا قد حولت رأسها عنها ، وما زالت بعد غير منتبهة لست وأصدقائه ، وانما تنظر بعيدا الى اليسار ، وقد أثار انتباهها صوت الموسيقى الذى تحمله الأنسام من بعيد والذى ارتفع الآن . مازالت الموسيقى تعزف (جون براونز بودى) ولافينيا تنصت باهتمام كما فعلت أمها منذ لحظة غير أن وقع الموسيقى فى نفسها مضاد تماما لوقعه فى نفس أمها . عيناها تتألقان بارتياح ويرتسم على وجهها تعبير ينم عن الانتصار الانتقامى الغريب) .

لويزا : (تهمس لمينى بسرعة) هذه هى لافينيا .

مينى : ان وجهها يشبه وجه أمها تماما . ياله من شبه عجيب . لكنها ليست جميلة مثلها .

ست : اذهبوا أنتم الآن الى البستان ، وسوف ألحق بكم هناك . (يذهبون من الجهة اليسرى ويختفون ، ويذهب ست الى لافينيا باشتياق) اسمعى ، ان لدى أخبارا سارة لك يا فينى . لقد قال لى عامل البرق ان قوات « لى » قد استسلمت . انهم الآن فى انتظار بيان رسمى بهذه الأخبار . ومعنى هذا أن والدك سيعود عما قريب .

لافينيا : (عابسة) أتمنى هذا ، لقد آن الأوان لذلك .

ست : (ينظر اليها نظرة ثاقبة ثم يقول ببطء) حقا ، لقد آن الأوان .

لافينيا : (بحدة) ماذا تعنى ياست ؟ .

ست : لاشيء الا ما تعنينه أنت . (لافينيا تحدق فيه وهو يتجنب عينيها ، ثم يقول فجأة) أين كنت تلهين أمس والأمس كله ؟ ؟ .

لافينيا : (مرتبكة) عند هيزل وبيتر .

ست : حقا لقد أخبرتنى حنة أنك قلت لها ذلك . ان هذا الشيء مضحك . لأننى قابلت بيتر أمس فى الطريق وسألنى عنك وعن سر اختفائك .

لافينيا : (بارتباك ثم ببطء كأنها تعترف بسر متفق عليه بينهما) لقد ذهبت الى نيويورك يا ست .

ست : فعلا ، لقد رجحت أنك ذهبت الى هناك (ثم فى حنان عميق) انه لأمر صعب عليك يافينى ، انه لعار عظيم .

لافينيا : (بجفاء) لا أدرى عم تتحدث .

ست : (يومىء برأسه علامة الفهم) حسننا يا فينى تماما كما تقولين . (يتوقف قليلا متجهما ثم يقول بعد تردد) هناك شيء يشغل بالى فى المدة الأخيرة أريد أنأحذرك منه انه يتعلق بالموضوع الذى يقلقك .. اذا وجد فيه شيء .

لافينيا : (فى خشونة) ليس هناك ما يقلقنى (ثم بحدة) تحذرنى؟ مم تحذرنى ؟ .

ست : قد أكون على خطأ وقد أكون على صواب . ان كنت على صواب فالواجب أن أحذرك أنه موضوع يتعلق بالقبطان برانت .

لافينيا : (برعشة ثم تظل محتفظة بلهجتها الفاترة الثابتة) ماذا بشأنه ؟ .

ست : شيء معين يبدو لى أن أحدا لم يلحظه غيرى (يرى أحدا قادما من المدخل الخارجى فيقول بسرعة) ها هما بيتر وهيزيل قد أتيا . سوف أخبرك فيما بعد يافينى . ليس

لدينا وقت الآن فهؤلاء الناس ينتظروننى فى الحديقة .

لافينيا : سوف تجدنى جالسة هنا فعد لى بعد ذلك . (تتخلى عن برودها لحظة وتقول بتوتر) لماذا أتى بيتر وهيزيل الآن ؟ اننى لا أريد أن أرى أحدا (تتجه ناحية المنزل) .

ست : اذهبى أنت وسوف أتخلص منهم لأجلك .

لافينيا : (تستعيد هدوءها) لا . سوف أقابلهم (يعود ست حول الناصية اليسرى للمنزل وبعد لحظة يدخل بيتر وهيزيل من الطريق المؤدى للمنزل . هيزيل فتاة جميلة تبدو عليها أمارات الصحة ، فى التاسعة عشرة ذات شعر أسود وعينين سوداوين وملامحها واضحة وان كانت صغيرة ذقنها قوى وفمها قدير باسم . صريحة ، بريئة ، طيبة ، وليس ذلك بطريقة سلبية بل بطريقة ايجابية ، وأخوها بيتر يشبهها تماما مستقيم وصريح وصادق ودمث الأخلاق . وهو شاب قوى البنية فى الثانية والعشرين بطىء الحركة يتلعثم فى الحديث hesitating in speech ذو شعر بنى متجعد وعينين جميلتين ووجه عريض وأنف أفطس واضح وفم متسع وهو يرتدى زى ضابط مدفعية فى الجيش الاتحادى . .

لافينيا : (بترحيب متكلف) مساء الخير . كيف حالكما ؟ (تقبل هيزيل . وتصافح بيتر) .

هيزيل : اننا بخير ولكن كيف حالك أنت يافينى ؟ هذا هو السؤال . يبدو كأننا لم نرك منذ بعيد . أرجو أن لا يكون السبب انك كنت مريضة .

لافينيا : ربما ، اذا اعتبرت البرد الشديد مرضا .

بيتر : شىء مؤلم . . . . . . وهل انتهى الآن ؟ .

لافينيا : نعم ، تقريبا . تفضلا بالجلوس . (تجلس هيزيل على الجانب الأيسر من المقعد وتجلس لافينيا الى جانبها فى الوسط بينما يجلس بيتر برفق على الحافة اليمنى ، حيث يترك مسافة بينه وبين لافينيا) .

هيزيل . يستطيع بيتر أن يمكث معك قليلا اذا كنت تريدين ذلك اما أنا فقد قصدت أن أزورك زيارة سريعة لكى أعرف هل لديك أخبار جديدة من « أورين » .

لافينيا : لم تصلنى منه أنباء منذ الرسالة الأخيرة التى أطلعتك عليها .

هيزيل . كان هذا منذ بعيدولم أتلق رسالة منهمنذ شهور وأخشى أن يكون قد التقى بفتاة أخرى فى مكان ما واستغنى عنى (تغتصب ابتسامة ، ولكن لهجتها تنم عن ألم حقيقى) .

بيتر : ان عدم كتابة أورين لا تعنى شيئا فهو قليلا ما يكتب .

هيزيل : أعرف هذا ، ولكن ـ هل تعتقدين أنه جرح يافينى ؟.

لافينيا : بالطبع لا ، والا أخبرنا أبى بذلك .

بيتر : طبعا . لا تكونى حمقاء يا هيزيل . (ثم بعد فترة صمت قصيرة) سوف يعود أورين بعد مدة وجيزة لقد سمعت الأخبار السارة طبعا يا فينى .

هيزيل : ان بيتر لن يعود للحرب مرة أخرى أليس هذا رائعا ؟.

بيتر : فما ان التأم جرحى تماما حتى تلقيت أمرا بالرحيل غدا ، ولكنى أعتقد أنه سيلغى (ضاحكا) لن أتظاهر بأننى بطل يريد العودة الى الميدان مرة أخرى . لقد نلت ما فيه الكفاية .

هيزيل : (باندفاع) أوه .... سوف يكون رائعا أن نرى أورين مرة أخرى (ترتبك ثم تغتصب ضحكة واعية وتنهض وتقبل لافينيا) يجب أن أذهب الآن ، اذ ينبغى على أن أقابل اميلى . الى اللقاء يا فينى اعتنى بنفسك وتعالى لزيارتنا قريبا جدا (تنظر الى أخيها معاكسة) وكونى لطيفة مع بيتر . انه ظريف جدا عندما يكون نائما وهو أيضا لديه شىء معين يتحرق شوقا لأن يسألك بشأنه.

بيتر : (بارتباك) ياالخبيثة ! (تضحك هيزيل وهى تبتعد عنهما. يتململ بيتر وهو ينظر الى الأرض ولافينيا ترقبه عن كثب وقد هيأت نفسها للدفاع بعد العبارة التى قالتها

هيزيل وفى النهاية يرفع بيتر رأسه ويقول مرتبكا) ان هيزيل قلقة جدا لأن أورين لا يكتب هل تعتقدين أنه فعلا يحبها . ؟

لافينيا : (بجفاء) اننى لا أعرف شيئا عن الحب ولا أريد أن أعرف (بشدة) اننى أكره الحب .

بيتر : (تسحقه هذه الكلمات ولكنه يحاول بشجاعة أن يمزح) اذا كان هذا رأيك فالأفضل أن لا أسألك . هناك شيء معين كنت قد صممت على أن أسألك بشأنه اليوم .

لافينيا : نفس الشيء الذى سألتنىعنه منذ عام قبل رحيلك الى الميدان .. .. أليس كذلك ؟ .

بيتر : نعم وقلت انتظر حتى تنتهى الحرب وها هى الحرب انتهت .

لافينيا : (ببطء) لا أستطيع الزواج يا بيتر .. ان أبى فى حاجة الى ...

بيتر : ولكن .... لديه أمك .

لافينيا : (بحدة) انه يحتاج الى أكثر منها . (فترة صمت ثم تلتفت فى رثاء وتضع يدها على كتفه) اننى آسفة يا بيتر .

بيتر : (بخشونة) حسنا . حسنا .

لافينيا : أعرف أن هذا يقال فى القصص ولكنى فعلا أحبك كأخ . ولا أريد أن أفقد أخوتك لأى سبب من الأسباب ، لقد كانت علاقتنا علاقة أخوة منذ أن كنا صغارا منذ بدأنا نلعب معا ــ أنت وأورين وهيزيل وأنا لهذا أرجوك أن لا تجعل هذا الموضوع يفصل بيننا .

بيتر : بالطبع لن أفعل (باصرار) ثم انى لم أفقد الأمل فى أن تغيرى رأيك مع الزمن هذا اذا لم يكن هناك شخص آخر .

لافينيا : (تسحب يدها عنه) لا تكن أحمق يا بيتر .

بيتر : ولكن ما شأن هذا الربان الغامض الذى يتردد عليك دائما ؟ .

لافينيا : (بغضب) هل تعتقد أنى ألقى بالا لمثل هـذا الـ . . .
بيتر : لا تفقدى أعصابك فقد كنت أعنى أن الناس يقولون انه انما يأتى اليك خاطبا . . . .
لافينيا : ان كلام الناس أكثر من صلواتهم .
بيتر : اذن فأنت لا تهتمين به .
لافينيا : (بحدة) اننى أكره مجرد النظر اليه .
بيتر : وأنا سعيد اذ أسمع ذلك منك يا فينى ، لقد كنت خائفا ـ فقد تصورت أن النســاء لا بد أن يعشقن صـــورته الشاعرية الجذابة . انه أقرب الى مقامر أو شاعر منه الى ربان سفينة . وحين رأيته وهو يخــرج من بوابة بيتكم فى المرة الأخيرة التى أتى فيها هنا ذكرنى بشخص ما لم أستطع تحديده .
لافينيا : (تجفل ثم تنظر اليه بقلق) ان هذا الشخص ليس من هذه المنطقة بكل تأكيد . ان برانت قادم من الغرب وحدث أن قابله جدى « هاميل » فى نيــويورك فأعجب به والتقت به أمى فى منزل جدى .
بيتر : ماذا تعرفين عنه يا فينى ؟ .
لافينيا : لا أعرف عنه الكثير رغم ما تظن . لقــد روى لى تاريخ حياته ليبدو شاعريا ولكنى لم أعره أى انتباه . وقال انه ركب البحر منذ أن كان صبيا ، وكان فى كاليفورنيا للبحث عن الذهب . وقد طاف بسفينته بجميع أنحــاء العالم وقضى مدة طويلة فى احدى جزر الجنوب .
بيتر : (بضجر) يبدو أن لديه تجارب شاعرية كثيرة اذا أمكن تصديقه .
لافينيا : (بمرارة)هذه حرفته ـ أن يكون شاعريا (ثم باضطراب) ولكنى لا أريد أن أتحدث بشأنه أكثر من هذا . (تنهض وتسير فى اتجاه اليمين لكى تزيل ما بها من اضطراب ، وقد أولت بيتر ظهرها) .
بيتر : (وعلى شفتيه ابتسامة فاترة) حسنا ، وأنا أيضا لا أريد

أن أتحدث بشأنه . هناك موضوعات أكثر أهميـــة ومتعة

(تظهر كريستين مانون من اليسار بين شجيرات البنفسج والمنزل تحمل باقة كبيرة من الزهور تشعر لافينيـــا بوجودها . فتدور حول نفسها بسرعة تلتقى عينـــاها بعينى أمها ويتضح فى وضعهما هذا العداء المرير بينهما. غير أن كريستين سرعان ما تعود الى نفسها وتستـــرد ترفعها الأشم) .

كريستين : آه ،أخيرا ها هو أنت (ترى بيتر الذى ارتبك لوجودها) مساء الخير يا بيتر . اننى لم أرك فى أول الأمر .

بيتر : مساء الخير مسز مانون لقد كنت مارا بالمنزل فرأيت أن أزوركم لبضع لحظات يستحسن أن أذهب الآن يافينى .

لافينيا : (بلهفة من يريد خروجه) حسنا حسنا ــ الى اللقـــاء يا بيتر .

بيتر : الى اللقاء ــ الى اللقاء مسز مانون .

كريستين : الى اللقاء يا بيتر (يختفى بيتر فى الطريق يسارا ، وتتقدم كريســـتين الى الأمام) يجب أن أقول لك : انك تعاملين صديقك المخلص الوحيد بطريقة شرسة وجافة (لافينيا لا تجيب ــ تستطرد كريســـتين ببرود) لقـــد دهشت جدا حين ذهبت لرؤيتك فى الليلة الماضية . فحين عدت من نيويورك ، يبـــدو أنك كنت قد ذهبت الى فراشـــك .

لافينيا : نعم كنت قد ذهبت الى فراشى .

كريستين : انك عادة تقرئين فترة طويلة قبل أن تنامى ، لقد حاولت أن أفتح باب غرفتك ولكنك أغلقت على نفسك من الداخل، وأنا أعلم أنك حين تحبسين نفسك طول النهار فى غرفتك فان هذا معنـــاه بكل تأكيد انك تتعمدين اجتنابى . ولكن حنة قالت لى انك تشعرين بصداع (فى أثناء الكلام تتجه نحو لافينيا حتى تصبح قريبة منها جدا وحين تقف الى جانبها يظهر الشبه غير العادى بين وجهيهما كريستين تحدق فيها ببرود ، ولكن وضعها ينم عمـــا

بنفسها من قلق وضجر) هل كنت تشعرين بصداع فعلا يا فينى ؟ .

لافينيا : لا ، كنت أريد أن أنفرد بنفسى لكى أفكر فى بعض الأمور.

كريستين : أى أمور ؟ اذا حق لى السؤال ؟ (ثم تغير الموضوع فجأة كأنها تخشى الجواب) من هؤلاء الناس الذين رأيتهم يتجولون فى حديقة المنزل ؟ .

لافينيا : بعض أصدقاء ست .

كريستين : ألأنهم يعرفون هذا السكير العجوز ، يكون لهم الحق فى انتهاك حرمة المنزل ؟ .

لافينيا : لقد أذنت لست أن يريهم المنزل والحديقة .

كريستين : ومنذ متى كان لديك الحق فى اعطاء أى اذن بدون أخذ رأيى .

لافينيا : لم أستطع أن آخذ رأيك حين سألنى ست ، لأنك كنت فى نيويورك فى ذلك الحين (تتوقف عن الكلام لحظة ثم تضيف ببطء وقد ركزت نظرها على أمها) فى زيارة جدى، ترى هل يشعر الآن بأى تحسن ؟ يبدو أنه كان مريضا جدا العام الماضى كله .

كريستين : (تتجنب نظراتها) نعم انه الآن أحسن بكثير .. وهو يرجو أن يتمكن بعد قليل من أن يعود مرضاه فى المناطق المجاورة (كأنها متلهفة على تغيير الموضوع تنظر الى الزهور التى تحملها) لقد ذهبت الى الحديقة كى أقتطف هذه الزهور فقد شعرت بأن هذا القبر يحتاج لبعض البهجة والاشراق (تنظر الى المنزل بازدراء) كلما عدت اليه بعد الابتعاد عنه خيل الى أنه ضريح أو واجهة معبد وثنى تمثل قناعا يخفى تزمتنا قبيحا .. وانه ليناسب آب مانون الكبير ليقيم هذا المبنى البشع كمعبد لحقده .. (ثم بضحكة قصيرة ساخرة) سامحينى يا فينى . لقد نسيت انك تحبين هذا المنزل والواقع انه يجب أن تحبيه لأنه يلائم طباعك (تحدق لافينيا فيها ولكنها تظل

صامتة تنظر كريستين مرة أخرى لأزهارها وتتجه نحـــو المنزل) يجب أن أضع هذه الأزهار فى الماء (تتحـــرك بضع خطوات نحو المنزل تلتفت مرة أخـــرى متظاهرة بعدم الاكتراث) على فكرة وقبل أن أنسى لقد اتفق أن التقيت بالكابتن برانت فى الشارع بنيويورك وقال انه سيأتى هنا اليوم كى يستقل سفينته وسألنى هل فى استطاعته زيارتنا كى يراك وقد رحبت به بطبيعة الحال وطلبت منه أن يبقى للعشاء (دون أن تنظر للافينيا التى تحدق فيها بجفـــاء) ألا يرضيك هذا يا فينى أم أنك ستظلين مخلصة لفتاك الوحيد بيتر ؟ .

لافينيا : ألهذا قطفت الزهـــور ؟ لانه سيحضر ؟ (الأم لا تجيب وتستطرد لافينيا وفى صوتها وعيد) لقد بلغتك الأخبار فيما أعتقد ومعنى هذا أن أبى سيعود عما قريب .

كريستين : (ببرود دون أن تنظر اليها) لقد انتشرت شائعات كثيرة فى المدة الأخيرة وهذا النبأ لم يتأيد فان مدافع التحية لم تطلق بعد .

لافينيا : سوف تسمعينها قريبا جدا .

كريستين : أتمنى ذلك تماما كما تتمنين .

لافينيا : أأنت تقولين ذلك ؟ ! .

كريستين : (تخفى انزعاجها وتقول ببرود) ماذا تعنين ؟ أرجو أن لا تستعملى هذه اللهجة معى (وبلهجة حاسمة) واذا كنت مصممة على الشجار فلندخل المنزل اذ من المحتمل أن يسمعنا أحد هنا (تلتفت الى الخلف فترى ست الذى حضر لتوه من الناحية اليسرى للمنزل ووقف هناك يرقبهما) انظرى هـــذا هو صاحبك العجوز يحاول جهده أن ينصت لما نقول سوف أذهب لأستريح قليلا (تصعد السلم) .

لافينيا : (بجفاء وخشونة) ان لدى موضـــوعا أود أن أحـــدثك بشأنه يا أمى ــ بعد مدة قليلة .

كريستين : (تلتفت بتحد) وقتما تشائين . ولكن الليلة بعد أن يرحل الكابتن ، اذا أردت ولكن ما هو ذلك الموضـــوع الذى تريدين الحديث بشأنه ؟ .

لافينيا : سوف تعرفينه بعد قليل .

كريستين : (تنظر اليها فى خوف متسائل تغتصب ابتسامة تنم عن احتقار) انك دائما تخلقين من الأشياء العادية أسرارا غامضة يافينى (تدخل الدار وتغلق الباب خلفها . يتقدم سث من الناحية اليسرى للمنزل تشير اليه لافينيا بأن يتبعها ثم تذهب وتجلس على المقعد الموجود فى اليسار وتمر فترة قصيرة ، وهى ترنو بعينيها الى الأمام وقـــد تجمد وجهها وقست نظراتها ينظر سث اليها نظرات تدل على فهم عميق) .

لافينيا : (بغتة) حسنا ؟ ما هو ذلك الشيء الذى تريد أن تحذرنى منه فيما يتعلق بالكابتن برانت(تحاول أن تزيل الشكوك من ذهن « سث » بعد سؤالها تلك الشكوك التى تعلم أنها موجودة فى ذهنه من قبل) اننى أريد أن أعـــرف كل شيء يتعلق به لأنه فيما يبـــدو يتردد علينـــا كى يخطبنى .

سث : (كأنه يحاول أن يجمع كل ما بنفسه من عدم تصديق لعبارتها الأخيرة فى كلمة واحدة) صحيح ؟ .

لافينيا : (بحدة) انك تقول « صحيح » كما لو كنت لا تصدقنى .

سث : اننى أصدق أى شيء تطلبين منى أن أصدقه . ولم أكن لأبقى مع آل مانون ستين عاما ما لم أفعل ذلك . (تمر فترة قصيرة ثم يسألها ببطء) ألا يذكرك برانت هـــذا بشخص معين ؟ .

لافينيا : (تدهش لذلك جدا) نعم ، لحظت ذلك منـــذ أن رأيته لأول مرة ــ ولكننى لم أستطع أن أحدد من تعنى .

سث : وأ... ، أليس كذلك يا فينى ؟ .

لافينيا : أبى ؟ لا مستحيل (ثم كأن الفكرة تفرض نفسها عليها)

صحيح أنه شيء معين فى وجهه وهذا هو السبب فى أنى شعرت كأنى أعرفه من قبل ـ وفى أنى شعرت ب ب (ثم بتوتر كأنها توشك أن تنهار) أوه اننى لا أصدق ذلك لابد أنك مخطىء ياسث ان هذا الأمر ....

ست : انه لا يشبه والدك فحسب بل يشبه أورين أيضا ـ وكل أفراد أسرة مانون الذين عرفتهم .

لافينيا : (بفزع) ولكن لماذا ـ لماذا يكون ؟ .

ست : انه يعيد الى ذهنى بصورة أوضح شقيق جدك ، دافيد . ماذا تعرفين يا فينى عن دافيد مانون ؟ اننى أعلم أن ذكر اسم دافيد محرم عند آل مانون منذ اليوم الذى رحل فيه ولكن من المحتمل انك سمعته سرا ، أليس كذلك يا فينى ، حتى ولو كان هذا قد حدث قبل مولدك .

لافينيا : لقد سمعت انه أحب الممرضة الكندية التى كانتتعنى بشقيقة أبى الصغرى التى توفيت وانه اضطر للزواج منها بعد أن اتصل بها وان جدى طردهما من المنزل ثم هدمه وأقام مكانه هذا المنزل لأنه لم يقبل أن يعيش فى مسرح الفضيحة التىسببها أخوه للأسرة ولكن ما علاقة هذه الفضيحة ب ...

ست : انتظرى . وبعد أن طردا من المنزل مباشرة تزوجا ورحلا بعيدا وكانت هناك اشاعة تقول انهما سيذهبان نحو الغرب ولكن أحدا لم يعرف عنهما شيئا بعد ذلك ، الى أن قال لى جدك ذات يوم انها وضعت طفلا ـ ولدا وكان يتحدث عن ذلك (ثم بتأثر) لقد كنت أفكر بخصوص هذا الطفل يا فينى .

لافينيا : (تبدو على وجهها نظرة تنم عن الفهم الممزوج بالدهشة والرعب) أوه ..

ست : كم يبلغ برانت هذا من العمر يا فينى ؟ .

لافينيا : ستة وثلاثين عاما ، كما ذكر لى .

ست : تماما وهذا يثبت صحة ما أقول . وهناك شيء آخر

يدعو للضحك . اسمه . ان من المضحك والغريب أن يطلق اسم برانت على انسان . اننى لم أسمع هذا الاسم قط من قبل . هل تذكرين اسم تلك المرضة يافينى ؟ لقد كان اسمها مارى برانتوم ، هل تفهمين ما استنتجته من ذلك ؟ .

لافينيا : (باضطراب ، وقد بدا عليها الانزعاج بسبب تلك الفكرة التى بدأت تقتنع بها) ولكن لا تكن أحمق يا ست ـ ان اسمه فى هذه الحالة سيكون مانون وسيكون به فخورا . .

ست : ربما لديه أسباب قوية تمنعه من استعمال اسم مانون عندما أتى الى هنا أليس محتملا ؟ فلو أن والدك علم . .

لافينيا : (تنفجر بعنف) لا هذا مستحيل ان الله لا يسمح بذلك ان هذا سيكون فظيعا جـدا ـ ففى أوج الـ . . . انى لا أصدق ولن أفكر فى هذا الموضوع هل تسمعنى ؟ لماذا أخبرتنى بذلك ؟ .

ست : (يحاول تهدئتها) اسمعى يا فينى ، ليس هناك ما يدعو لأن تغضبى منى (ينتظر ثم يستمر بالحاح) انى مسوق الى القول بأن المسألة مضحكة ـ ولكن عليك من أجل والدك أن تتأكدى من الحقيقة . .

لافينيا : وكيف يمكننى أن أتأكد ؟ .

ست : غافليه حينا ما catch him off guard sometime ثم واجهيه بالحقيقة كما تعرفينها ، قوية وعنيفـة وسـوف ترين وقعهـا على نفسه (يشرع فى الذهاب وينظر على طول الطريق الى اليسار) يبدو أنه آت الآن يا فينى . هناك شىء معين فى مشيته يذكرنى أيضا بدافيد مانون ولو لم أعرف أنه هو لظننت أن شبح دافيـد قد عاد (يشيح بوجهه فجأة) . . حسـنا أعتقد أنه من الأفضل أن أعود للعمل . (يذهب وبعد فترة قصيرة يدخل الكابتن آدم برانت من المدخل الأيسر يرتبك حين يرى لافينيا ، ولكنه سرعان ما يبدو فى أحسن مظاهره المهذبة الجذابة وان المرء

ليدهشنا اذ يدرك من أول نظرة هـــذه الخاصية فى وجهه ــ حين يكون مرتاحا ــ انه أقرب الى القناع منه الى الجسم الحى . وهو ذو جبهة عريضة منخفضة ، يحيط بها شعر ناعم أسود فى لون الفحم يمتد من جبهته الى الخلف بلا عناية كالشعراء . وله أنف كبير أقنى aquiline وحواجب كثيفة وبشرة سمراء ، وعينان فى لون البندق اما فمه فملىء بالحساسية ويبدو عليه طـابع الحزن وله شارب ، لكن ذقنه الضخم المشقوق حليق تماما وهو طويل القامة عريض المنكبين قوى البنية يعطى انطباعا بأنه دائما فى صراع مع الحياة سواء فى الهجوم أو الدفاع وهو يرتدى ملابس غالية وأنيقة مع لمسات خفيفة من عدم العناية المتعمدة ، كأن المثل الأعلى فى ذقنه هو المظهر الرومانسى (مثل اللورد بيرون) . وليس هناك فى مظهره ما يدل على أنه قائد سفينة اللهم الا يداه الكبيرتان القويتان وصوته العميق)

برانت : (ينحنى فى أدب مبالغ فيه) مساء الخير (يتقدم اليها ويتناول يدها التى جاهدت لكى تمدها له) أرجو ألا تضايقك زيارتى بدون موعد سابق . ان أمك أخبرتنى . .

لافينيا : أعرف هذا لقد ذهبت للخارج قليلا ، وطلبت منى أن أجلس معك الى أن تعود .

برانت : (بظروف) حسنا ، اننى سعيد الحظ اذن . أتمنى أن لا تعود بسرعة لتقف منا موقف الرقيب . فلم تتح لى الفرصة لكى أنفرد بك منذ تلك الليلة التى ذهبنا فيها لنسير فى ضوء القمر هل تذكرين ؟ (مازال ممسكا بيدها وقد أصبح صوته هامسا كصوت العشاق . لافينيا لا تستطيع أن تكتم انزعاجها فتنتزع يدها من يده باضطراب ثم تبتعد عنه) .

لافينيا : (تسترد سيطرتها على نفسها وتقول ببطء) ما رأيك فى أنباء تسليم القائد «لى» ؟ اننا الآن نتوقع أن يصـــل

والدى قريبا جدا (يحدق فيها بشك بسبب نبرة معينة فى طريقة القائها بينما هى متجهة ببصرها الى الأمام) لماذا لا تتفضل بالجلوس ؟ .

برانت : أشكرك (يجلس على المقعد الى يمينها وقد أصبح الآن فى منتهى الحذر والحرص لأنه شعر بشيء غريب فى سلوكها ولكنه لم يستطع ادراكه ـ عرضا) نعم لا بد أنك سعيدة جدا لأنك سترين والدك مرة أخرى . لقد أخبرتنى أمك أنك كنت دائما قريبة الى نفسه جدا .

لافينيا : صحيح ؟ (ثم بحدة) اننى أحب أبى أكثر من أى انسان فى العالم ، ولا أنى عن القيام بأى عمل لكى أحميه من الأذى .

برانت : (يرقبها بعناية ، ومازال محتفظا بلهجته الهادئة) هل تهتمين به أكثر من اهتمامك بأمك ؟ .

لافينيا : نعم .

برانت : حسنا ، ان هذا فى اعتقادى هو الوضع الطبيعى . ان البنت عادة تكون قريبة الى أبيها والولد الى أمه ولكن يخيل الى أنه كان من المفروض أن تستثنى أنت بالذات من هذه القاعدة .

لافينيا : لماذا ؟ .

برانت : لأنك تشبهين أمك فى نواح عديدة . ان وجهك صورة طبق الأصل من وجهها وانظرى الى شعرك ، ان المرء نادرا ما يلتقى بامرأة لها مثل هذ الشعر . اننى أعرف امرأة واحدة أخرى لها مثل شعركما قد تعجبين اذا عرفت من هى . لقد كانت أمى .

لافينيا : (منزعجة) آه .

برانت : (فى صوت مليء بالعمق والاحترام) نعم كان شعرها جميلا مثل شعر والدتك وكان يتدلى حتى ركبتيها وكانت عيناها واسعتين وعميقتين وحزينتين ، وفى زرقة البحر الكاريبى .

لافينيا : (بجفاء) ما هو مدى الشبه بينى وبين أمى ؟ اننى لا أشبهها على الاطلاق ان كل الناس يعرفون اننى أشبه والدى .

برانت : (كأنه أصيب بصدمة) هل غضبت لقولى هذا ؟ (يملؤه القلق فيرى أنه يجب أن يقيم معها دعائم من الألفة مرة أخرى فيقول فى صراحة ودود) انك محيرة اليوم ياآنسة لافينيا . وأرجو أن تعذرينى ان قلتها لكبخشونة لقد عشت معظم حياتى فى البحر وفى المعسكرات واعتدت التكلم بصراحة . ما هى بالتحديد الغلطة التى تمسكينها على ؟ ولو فعلت شيئا يضايقك ، فأقسم لك اننى لم أقصده (لافينيا صامتة ، معتدلة فى جلستها ، تتطلع بعينيها القاسيتين الىالأمام يرمقها برانت بنظرة فاحصة ثم يستطرد) اننى لا أرضى بوجود مشاعر عدائية بيننا فى مقابل العالم كله .. فقد ظننت أنك أحببتنى .. لعل هذا غرور .. ولكن هل نسيت تلك الليلة التى سرنا فيها معا على الشاطىء ؟ .

لافينيا : (فى صوت بارد وجاف) لم أنس . هل أخبرتك أمى انك تستطيع أن تتقرب الى ؟ .

برانت : ماذا ـ ماذا تعنين ؟ (يقول ضاحكا وقد عزا هذا السؤال الى سذاجتها) أوه لقد فهمت .. تعالى الآن يا لافينيا انك لا تقصدين طبعا انه كان من المفروض أن أطلب منها اذنا ، أليس كذلك ؟ .

لافينيا : أليس هذا واجبا ؟ .

برانت : (يعود اليه القلق فيحاول أن يحول الموضوع الى فكاهة) حسنا ، اننى لم أتعود هذه المعاملة الصارمة وعلى أية حال سواء كان واجبا أم لا فأنا لم أفعل ـ وهذا لا يقلل من حلاوة القرب منك (يغير الموضوع بسرعة ولهفة عندما يرى تعبيرا معينا فى وجهها) أخشى أن أكون قد ثرثرت كثيرا تلك الليلة . ربما أكون قد ضايقتك بحديثى عن السفن السريعة وحبى لها .

لافينيا : (بجفاء) انك تسميها « السفن البيضاء الطويلة » لقد قلت انها فى نظرك مثل النساء الجميلات الشاحبات وقلت انك تحب سفنك أكثر من أية امرأة ــ هل هذا صحيح يا كابتن ؟ .

برانت : (برقة مغتصبة) نعم ولكنى كنت أقصد هذا قبل أن ألتقى بك . (ثم يقول ضاحكا ظنا منه أنه قد أدرك فى آخر الأمر سبب تغير موقفها منه) اذن فهذه هى الغلطة ، أليس كذلك ؟ حسنا . كان لابد أن أخمن ذلك . ان النساء دائما يغرن من السفن ولا يثقن فى البحر . انهن يعرفن مدى اهتمام الرجال بها (يضحك مرة أخرى بثقة أقل هذه المرة حين ينظر الى التعبير الجامد المخيف المرتسم على وجهها) نعم ، كان لابد أن أدرك أن حديثى عن البحر لم يثر اهتمامك فى تلك الليلة اننى أعتقد ان السفن السريعة موضوع قديم ومعاد بالنسبة لابنة أحد بناة السفن ولكنك ــ ما لم أكن مخطئا جــدا ــ كنت مهتمة حينما حدثتك عن جزر البحار الجنوبية حيث تحطمت سفينتى فى رحلتها الأولى فى البحر .

لافينيا : (فى لهجة جافة مقلقــــة) اننى أذكر اعجابك بالنساء الوطنيات لقد قلت انهن وجدن سر السعادة لأنهن لم يسمعن اطلاقا أن الحب يمكن أن يكون خطيئة .

برانت : (يفاجأ بذلك ويتمعن فيها بارتباك) اذن فأنت تذكرين ذلك . أليس كذلك ؟ (ثم بطريقة شاعرية) نعم وهن يعشن فى مكان أقرب الى جنة الفردوس قبل أن تكتشف الخطيئة كما سترين على هذه الأرض انه لا يمكن أن تتصورى مدى جمال هذه الأرض الخضراء الكامنةوسط زرقة البحر clouds like down on the mountain tops والسحب التى تغطى قمم الجبال ، والشمس التى تهجع فى الأفق البعيد ، ومياه البحر حين تلتقى بصخور الشاطىء فتعزف فى أذنيك لحنا هادئا كأنها تغنى لطفل ينام . اننى أدعوها

الجزر المباركة . هناك يمكنك أن تنسى الأحلام الخبيثة التى تراود الرجال عن القوة والجشع .

لافينيا : وأحلامهم الخبيثة ــ عن الحب .

برانت : (يرتعد ثانية ثم ينظر اليها بقلق) لماذا تقولين ذلك ؟ ماذا تعنين .. لافينيا ؟ .

لافينيا : لاشيء كنت فقط أفكر فى .. جزرك المباركة .

برانت : (بحيرة وشك) أوه ولكنك قلت .. (ثم يقترب منها باصرار مضطرب سخيف وقد عاد الى لهجته الغزلية) اننى حينما أذكر تلك الجزر الآن أفكر فيك ، وأنت تسيرين الى جانبى فى تلك الليلة ، وشعرك يتطاير مع نسائم البحر ، وضوء القمر فى عينيك . (يحاول أن يمسك يدها ، ولكنه ما يكاد يلمسها حتى تسحب يدها وتنهض واقفة) .

لافينيا : (بغضب وبرود) اياك أن تلمسنى ، اياك أن تجرؤ أيها الكاذب ، انك .. (يتراجع فى اضطراب وارتباك فتنتهز هذه الفرصة وتعمل بنصيحة ست فتنظر اليه بصورة مهينة مقصودة) ولكنى أعتقد أنه من الحماقة أن أتوقع شيئا سوى الأكاذيب الرخيصة من ابن ممرضة كندية وضيعة .

برانت : (بذهول ودهشة) ما هذا ؟ (ثم يثور للاهانة التى لحقت بأمه وغلبت حكمته فنهض مهددا) على رسلك عليك اللعنة ــ والا فسوف أنسى أنك امرأة ــ أن أى مانونى لا يستطيع أن يسب أمى مادمت أنا ..

لافينيا : (تهولها الحقيقة التى عرفتها الآن) اذن ــ فهى حقيقة ــ انك ابنها . أوه .

برانت : (يجاهد لكى يسيطر على نفسه ــ ويقول بتحد) وماذا فى ذلك ؟ اننى فخور بأنى ابنها . ان الشيء الوحيد الذى يشيننى هو دم مانون الملوث . اذن فهذا هو السبب الذى من أجله رفضت أن ألمسك الآن ، أليس

كذلك ؟ انك أفضل جدا من أن تكونى لابن خادمة ..
أليس كذلك ؟ يا الهى لقد كنت مسرورة جـــدا قبل ..

لافينيـــا : (بعنف) هذا غير صحيح لقد كنت فقط أستدرجك لكى أكشف بعض الأمور .

برانت : أوه لا ان هذا يرجع فقط الى حين بدأ الشك يساورك فى حقيقة من أكون . أعتقـــد أن والدك حشـــا رأسك بأكاذيبه وافتراءاته على أمى ولكنك ــ بحق الله ــ سوف تسمعين الحقيقة انك الآن تعرفين من أنا ــ وســـوف ترين ، هل من حقك أو من حق أى مانونى أن يحتقرها ؟

لافينيـــا : لا أريد أن أسمع (تشرع فى الذهاب الى المنزل) .

برانت : (يجذبها من ذراعها ويقول معيرا اياها) انك جبانة ــ جبانة ، مثل آل مانون جميعهم حينما يواجهون بحقيقة أنفسهم ، أليس كذلك ؟ (تلتفت اليه بتحد يترك ذراعها ثم يستطرد فى جفاء) اننى أراهن أنه لم يخبرك بأن جدك آب مانون وكذلك أخاه دافيد كانا يحبان أمى .

لافينيـــا : هذا كذب .

برانت : بل هذه هى الحقيقة ، ان غيرته ورغبته فى الانتقام جعلتاه يتبرأ من أبى ويسلبه نصيبه فى الميراث .

لافينيـــا : انه لم يسلبه نصيبه فى الميراث . لقد اشتراه منه .

برانت : تقصدين انه أجبره على أن يبيعه اياه مقابل عشر قدره لقد كان يعلم ان أبى وأمى فى أشد الحاجة ولكن النقود لم تبق مع أبى مدة طويلة فقد أكب على الخمر ، وبدد أمواله بسرعة . لقد تحول الى جبان ــ مثل آل مانون جميعهم ــ بمجرد أن شعر بأن العالم يحتقره ، لقد تجنب النـــاس وتوارى عنهم ، وكان يخجل من أمى . وظل يتهاوى ويتضاءل أما أمى فقد اشتغلت كى تعوله . اننى أستطيع أن أتذكر حينما كان الرجال يجرونه من الحانة الى البيت ، فيسقط كالجثة الغضة أمام الباب . ذات ليلة وكنت فى السابعة ، عاد الى البيت وهو ثمل لدرجة

الجنون وصفع أمي على وجهها . انها كانت المرة الأولى التي يضربها فيها • وأثار هـذا غضبي الى أبعد حد فضربته بمحرك النار فشججت رأسه . لكن أمي جذبتني بعيدا وأخفتني . ثم ظلت تبكي بجانبه ، انها لم تكف عن حبه قط .

لافينيا : لماذا تخبرني بهذا ؟ لقد قلت لك مرة انني لا أريد أن أسمع ..

برانت : (بتجهم) سوف تفهمين ما أقصده حالا (ثم بدون أن يلتفت اليها ، كأن المنظر ما زال ماثلا أمام ناظريه) بعد هذا الحادث بعدة أيام كان يجلس صامتا يحدق في لاشيء . ذات مرة وكنا وحدنا . طلب مني أن أسامحه لأنه ضربها . ولكني كنت أكرهه ولم أقبل أن أسامحه . ثم حدث في احدى الليالي أن خرج ولم يعد . وفي الصباح التالي وجدوه مشنوقا في المخزن .

لافينيا : (اقشعر) أوه .

برانت : (بوحشية) وهذا هو الشيء السليم الوحيد الذي فعله في حياته

لافينيا : انك تكذب . لا يمكن لأي مانوني أن ..

برانت : هل تعتقدين ذلك ؟ انك تتصورين أنهم جميعا طيبون وشرفاء ووديعون اذن أنصتي لي قليلا لتسمعي شيئا يتعلق بشخص آخر منهم . (ثم يستأنف قصته في مرارة) كانت أمي تشتغل بالخياطة لكي تعيش ، وأرسلتني الى المدرسة ، وكانت شديدة جدا معي ، وكانت تلومني دائما لأنه انتحر ولكنها كانت حريصة على أن تجعلني انسانا رقيقا ومهذبا كما كان هو !! حتى لو استنفد هذا آخر ما تملك من مال وجهد (ثم بابتسامة قاتمة) لكنها لم تنجح كما ترين ــ وحين بلغت السابعة عشرة هرعت الى البحر ونسيت أن كان لي أم . شيء واحد كان يربطني بها هو أنني أخذت جزءا من اسمها فقد وجدت

ان اسم برانت أنسب وأسهل على السفن ــ ولم أكن لأقبل اسم مانون . ونسيتها تماما حتى عدت منـــذ عامين من الشرق . أوه لقد كنت أكتب لها بين الحين والحين وأبعث لها بنءود اذا اتفق وكان معى ، ولــكنى نسيتها تماما وحين عدت الى نيويورك وجدتها تحتضر من المرض والجوع . وعلمت انها حين لزمت فراشها وأقعدها المرض عن العمل ولم تعرف كيف تتصـــل بى تنازلت عما بقى لها من كبرياء ، وكتبت الى والدك تطلب منه قرضا . ولكنه لم يجب قط ثم حضرت أنا متأخرا جدا فماتت على ذراعى . (ثم بانفعال حاقد) كان بامكانه أن ينقذها ، ولكنه تركها تموت عن عمد . انه مذنب شأنه شأن أى مجرم ممن أرسلهم للمشنقة وهو قاض .

لافينيــا : (تنهض فجأة وتقول بغضب) أتجرؤ على أن تقول هذا عن أبى لو أنه كان هنا ..

برانت : اننى أتمنى لو كان هنا ، اذن لقلت له ماأقول الآن ، وهو اننى أقسمت على جثمان أمى أن أنتقم لموتها منه .

لافينيــا : (بعنف بارد خامد) وأعتقد انك الآن تفخر بأنك قـد انتقمت لها ، أليس كذلك انتقمت لها بأشد الوسائل نذالة وجبنا : حقا انك ابن خادمة .

برانت : (مرة أخرى يفقد أعصابه ويقول بغيظ) قلت لك احذرى هذا الأسلوب فى الحديث .

لافينيــا : اذن فهى مجرد وسيلة للانتقام من أبى ، أهى كذلك ؟)

برانت : (يذهل ــ ثم يتلعثم فى اضطراب آثم) . ماذا ؟ هى ؟ ــ من هى ؟ اننى لا أدرى عمن تتحدثين .

لافينيــا : سوف تدرى عما قريب . وهى أيضا . لقد اكتشفت منك كل ما أريد . اننى ذاهبة لأتحدث اليها الآن . انتظر هنا حتى أستدعيك .

برانت : (يغتاظ من نغمتها) كلا عليك اللعنة . لا تلقى الأوامر الى هكذا كأننى خادمك .

لافينيــا : (بمنتهى البرود) اذا كنت تقيم أى اعتبار لها فسوف تفعل كما قلت لك ولا تضطرنى لأن أكتب الى أبى . (توليه ظهرها وتتجه نحو السلم معتدلة القامة وقــد رفعت كتفيها فى سخرية واستياء) .

برانت : (بيأس وفى ادراك غريب لحالة المحب) لا أدرى مــاذا تعنين يا لافينيا . اننى أقسم لك أمــام الله أنك أنت الانسان الوحيد الذى .. (تلتفت عند قمة الدرج وتنظر اليه نظرات عنيفة قاسية تدل على حقد وكراهية بحيث يضطر للصمت .) شفتاها تهتزان كأنها تتأهب للكلام ولكنها تجاهد لتمنع الكلمات ثم تستدير بجفاء وتذهب الى المنزل وتغلق الباب خلفها) .

ســـتار

الفصل الثانى

(فى المنزل ــ غرفة مكتب أزرا مانون. نفس الوقت. غرفة المكتب كبيرة عليها سمات الجد والتزمت . الأثاث استعمارى تليد . الحوائط مغطاة بطبقة من الجص الرمادى ولها حافة بيضاء . الى اليمين فى المؤخرة باب يؤدى الى القاعة وعلى الحائط الأيمن صورة زيتية لجورج واشنجتن فى اطار مذهب . والى جانبها صورتان صغيرتان لالكسندر هاميلتون وجون مارشال . وفى وسط الحائط الخلفى مدفأة والى يسارها صوان حافل بكتب القانون . وفوق المدفأة يوجد اطار بسيط يحتوى على صورة كبيرة لأزرا مانون رسمت منذ عشر سنوات ــ ويدهش المرء فورا للشبه الشديد بينه وبين آدم برانت . فهو طويل القامة تعدى الأربعين بقليل ذو هيكل ضامر مشدود يجلس بفتور على مقعد كبير متكئا بيديه على ذراعى المقعد .. وفى « روب » القضاء الأسود . ووجهه وسيم عابس جامد لا ينفعل ويتميز بنفس القناع الحى الذى رأيناه من قبل على وجه الأم والابنة وبرانت . نافذتان الى اليسار بينهما قمطر .. نضد كبيرة بمقعدين فى الوسط الأيسر . فى الوسط الأيمن مقعد آخر ــ سجاجيد على الأرض ذوات نقوش معقوفة ..

الشمس فى الخارج توشك أن تغيب وضوءها يملأ الحجرة بضباب ذهبى يبدو أشد لمعانا مع سير الحادث ثم يتحول الى قرمزى ثم يشحب شيئا فشيئا حتى يخيم الظلام فى النهاية ..

يرفع الستار عن لافينيا واقفة بجانب النضد ... تحاول السيطرة على نفسها ولكن وجهها ينم عن انزعاج شديد يكاد أن يمزقه ـ تلتفت ببطء الى صورة أبيها وتحدق فيها لحظة ثم تتجه اليها وتضع يدها فوق احدى يديه بمحبة ورعاية) .

* * *

لافينيا : مسكين يا أبى (تسمع ضوضاء فى البهو فتبعد عن الصورة بسرعة . يفتح الباب المؤدى للقاعة . وتدخل كريستين وهى قلقة فى أعماقها ولكنها تتظاهر بأنها حانقة فى ازدراء) .

كريستين : لابد أن هذا التقرير الكاذب قد قلب رأسك حقا والا سوف يصعب على أن أفهم لماذا أرسلت « حنة » لكى تزعجينى وأنت تعلمين حاجتى للراحة .

لافينيا : أخبرتك أنه يجب أن أحدثك .

كريستين : (ناظرة حولها فى نفور) ولكن لماذا اخترت هذه الغرفة المقبضة بالذات دون أى مكان آخر ؟ .

لافينيا : (مشيرة الى الصورة بهدوء) لأنها غرفة أبى .

كريستين : (ترتبك ـ تنظر الى الصورة ثم تحول عينيها عنها بسرعة .. لافينيا تذهب الى الباب وتغلقه ـ كريستين تتكلم فى ازدراء مغتصب) هل ثمة مزيد من الأسرار ؟ .

لافينيا : يستحسن أن تجلسى (تجلس كريستين على مقعد فى مؤخرة الوسط بينما تعود لافينيا الى مقعد أبيها الى يسار النضد) .

كريستين : حسنا ـ لعلك تفسرين لى الأمر اذا كنت مستعدة .

لافينيا : أعتقد أن « حنة » أخبرتك أنى ذهبت لزيارة هيزيل وبيتر فى أثناء غيابك .

كريستين : نعم . ولقد أدهشنى هذا التصرف فلم تتعودى قط أن تزورى أحدا وتقضى الليل عنده . لماذا خطرت لك هذه الفكرة بغتة ؟ .

لافينيا : لم أفعل .

كريستين : ألم تقومى بزيارتهما ؟ .

لافينيا : كلا .

كريستين : أين ذهبت اذن ؟ .

لافينيا : (باتهام) الى نيويورك (تفزع كريستين وتستطرد لافينيا بطريقة متقطعة) لقد ارتبت أخيرا فى شىء معين .. هذا العذر الذى كنت دائما تنتحلينه لرحلاتك فى العام الماضى .. أن جدى كان مريضا (تحاول كريستين أن تعترض فى غضب) أوه ـ اننى أعرف أنه كان مريضا وأنك قد مكثت بمنزله ولكنى ارتبت أخيرا فى أن هذا ليس هو السبب الحقيقى والآن أستطيع أن أثبت أنه لم يكن . وقد تبعتك حين خرجت ورأيتك تقابلين ... آدم برانت

كريستين : (تحاول بصعوبة أن تخفى انزعاجها وتقول ببرود) حسنا ، وماذا فى ذلك ؟ لقد أخبرتك بنفسى أننى التقيت به صدفة .

لافينيا : لقد ذهبت الى غرفته الخاصة .

كريستين : (مهتزة) طلب منى أن أقابل احدى صديقاته .. انها سيدة وكان منزلها ذلك الذى ذهبنا اليه .

لافينيا : أخبرتنى السيدة التى تسكن الطابق الأسفل أنه استأجر الغرفة تحت اسم آخر وقد عرفتكما من أوصافكما وذكرت أيضا انك كنت تذهبين الى هناك دائما فى العام الماضى .

كريستين : (بيأس) كانت هذه المرة الأولى التى أذهب فيها الى هناك بعد اصرار منه على أن أذهب ليحدثنى بشأنك وبرغبته فى أن أساعده عند أبيك .

لافينيا : (بعنف) كيف تكذبين هكذا ؟ وكيف تصل بك السفالة الى حد استغلالى لاخفاء فجورك ؟ .

كريستين : (تنفجر غاضبة ولكن فى ضعف) فينى .

لافينيا : نعم فجورك .

كريستين : لا .. لا ..

لافينيا : قلت لك كفاك كذبا . لقد ارتقيت السلم وسمعتك تقولين له : « أحبك يا آدم . » ثم تقبلينه (فى غضب بارد مر) . يا لك من وقحة ودنيئة . أقولها لك وأنت أمي (كريستين تحملق فيها مبهوتة . هذا الهجوم المفاجيء يهزكيانها . تفقد توازنها لحظة . تحاول استعادة نبرة الاستخفاف فى صوتها ولكنه يرتعد قليلا) .

كريستين : أنا ـ كنت أعلم أنك تكرهينني يا فينى ، ولكن لم أكن أتصور أن تكون كراهيتك لى بمثل هذه المرارة (تعود الى برودها المتحدى المثير) حسن جدا ، اننى أحب آدم برانت ، ماذا أنت فاعلة الآن ؟ .

لافينيا : كيف تقولين هذا بلا حياء ؟ انك لا تقيمين أى اعتبار لأبى الطيب الكريم الذى وضع فيك ثقته المطلقة . كيف استطعت أن تفعلى ذلك بأبى . كيف .. كيف ؟ .

كريستين : (بشدة وحدة) يمكنك أن تفهمى ذلك اذا ما تزوجت رجلا تكرهينه .

لافينيا : (خائفة ـ ناظرة الى صورة أبيها) لا تقولى ذلك أمامى، فلن أنصت اليك .

كريستين : (تجذبها من ذراعها) بل سوف تنصتين ، اننى أتحدث اليك كامرأة الآن لا كأم وابنتها . ان هذه العلاقة لاوجود لها بيننا . لقد وصفتنى بأنى دنيئة ووقحة . حسنا وهذا هو ماكنت أشعر به نحو نفسى منذ أكثر من عشرين عاما .. أن أعطى نفسى لرجل ما ..

لافينيا : (محاولة التخلص منها واضعة يديها على أذنيها) كفى. كفى (تبتعد عن أمها فى نفور وتنظر اليها نظرة اشمئزاز سقيم . فترة صمت . تتلعثم) اذن فقد كنت دائما تكرهين أبى .

كريستين : (بمرارة) لا . فقد أحببته قبل الزواج . ان هذا يبدو

غريبا الآن ولكنه كان أنيقـا فى زيه العسكرى . وكان هادئا وغامضا وشاعريا . ولكن الزواج سرعان ما حول شاعريته الى اشمئزاز .

لافينيـا : (مغيظة ثانيـة ـ تنفجـر فى لكنة) اذن فأنا وليـدة اشمئزازك ، لقد كنت دائما أشعر بذلك يا أمى ، حتى حينما كنت صغيرة حيث اعتدت أن آتى اليك فى حب . فكنت تدفعيننى عنك دائما ، لقد كنت أشعر باشمئزازك هذا منذ زمن بعيـد جـدا ، بقـدر ما تصل ذاكرتى (تستشيط غيظا بكره مرير) أوه . اننى أكرهك . انه لحق على أن أكرهك .

كريستين : (تهتز .. ثم فى نبرة دفاعية) بل حاولت أن أحبك : وطالما قلت: انه ليس من الانسانية أن لا أحب طفلتى التى ولدت من جسمى ولكننى لم أستطع أن أشعر أنك ولدت من جسمى أنا بل من جسمه هو . لقدكنت دائما تمثلين بالنسبة لى ليلة زفافى وشهر العسل الذى قضيته معه .

لافينيـا : كفى عن هذا الحديث . كيف يمكن اذن أن تكونى بهذه الصورة . (ثم فجأة تقول بغيرة مرة غريبة) لقـد كنت تحبين أورين ، لماذا لم تكرهيه أيضا ؟ .

كريستين : لأنى اذ ذاك رأيت أن أستسلم لأعيش ، وفى معظم الوقت الذى حملته فى أحشائى كان أبوك فى المكسـيك مـع الجيش حتى لقد نسيته . وحينما ولد أورين بدا لى أنه ابنى .. ابنى وحدى وأحببته لهذا (بمرارة) لقد أحببته الى أن أرسله أبوك للحرب رغم توسلاتى بألا يتركنى وحيدة (تنظر الى لافينيا بكره) أننى أعرف أن ذهابه للحرب كان ـ أساسا ـ بتدبيرك أنت يا فينى ..

لافينيـا : (بقوة) كان من واجبه بصفته مانونيا أن يذهب للحرب ولو لم يذهب لظل حزينا طول حيـاته . أنا أحبه أكثر منك فقد كنت أفكر فيه .

كريستين : حسنا . أتمنى أن تدركى أننى لم أكن أقع فى حب آدم لو أن أورين كان معى .. فحين ذهب أورين لم يبق لى شيء غير الكراهية والرغبة فى الانتقام والتعطش الى الحب وحينذاك التقيت بآدم وأحسست أنه يحبنى ..

لافينيا : (باحتقار وتأنيب) أنه لا يحبك . انك بالنسبة له مجرد انتقام من أبى . هل تعلمين حقيقة من يكون ؟ انه ابن تلك الممرضة الوضيعة التى طردها جدى من بيتنا .

كريستين : (تخفى ارتباكها وتقول ببرود) اذن فقد علمت . هل كنت تتوقعين أن تكون مفاجأة لى ؟ لقد كنت أعلم هذا منذ أمد بعيد ، فقد أخبرنى بذلك وهو يعترف لى بحبه .

لافينيا : وأعتقد أن معرفتك قد منحتك مزيدا من الارتياح لأنها تضاعف من فظَاعة الفضيحة .

كريستين : (بحسم) هل تسمحين بالدخول فى الموضوع مباشرة فتخبرينى عما تنوين القيام به ، اننى أعتقد أنك سوف تخبرين والدك بكل شيء قبل أن يضع قدمه على الباب.

لافينيا : (فجأة تعود الى برودها ولهجتها الصارمة وتقول ببطء) لا .. لن أفعل ذلك ما لم تدفعينى اليه . (ثم تقول بتجهم حين ترى دهشة أمها) ان دهشتك هذه ليست أمرا غريبا انك تستحقين أقصى عقاب وحين يعلم أبى سوف يبرأ منك علانية بصرف النظر عما ستكلفه الفضيحة ..

كريستين : انني أفهم ذلك فأنا أعرف أباك أكثر مما تعرفينه أنت .

لافينيا : وأنا أود ألا يفلت الإثم من العقاب فافهمى أنى اذا لم أذكر له شيئا فليس ذلك من أجلك أنت . بل من أجله هو . فان تأخر صحته فى الأيام الأخيرة يمنعنى من أن أكون سببا فى ايلامه .. ان واجبى الأول يفرض على حمايته منك .

كريستين . أفهم جيدا انى لن أتوقع أى مكرمة منك لحسابى الخاص .

لافينيا : لن أخبره بشرط أن تقطعى صلتك ببرانت ولا تلتقى به ثانية . وأن تعدينى أن تكونى زوجة مطيعة لأبى وأن تكفرى عما ارتكبت فى حقه من آثام .

كريستين : (تحدق فى ابنتها ـ فترة صمت ـ ثم تضحك بخشونة) يالك من مخادعة حين تتكلمين عن أبيك وواجباتك . اننى لا أنكر أنك تريدين انقاذ كرامته وأنك تودين أن تقى الأسرة من فضائح جديدة ولكن ليس هذا هو السبب الحقيقى فى ابقائك على .

لافينيا : (بارتباك وشعور بالاثم) بل هو .

كريستين : انك تريدين برانت .. لنفسك .

لافينيا : هذا كذب .

كريستين : والآن تدركين استحالة حصولك عليه فصممت على حرمانى منه .

لافينيا : كلا .

كريستين : ولكن اذا ما أخبرت أباك فسوف أهرب مع آدم . انه سيظل لى . لايمكن أن تحتملى هذه الفكرة حتى ولو كانت ثمنا لعارى . هل يمكنك ؟ .

لافينيا : انه ذهنك الشرير .

كريستين : اننى أعرفك جيدا يافينى . فقد كنت أراقبك منذ أن كنت طفلة .. كنت تحاولين أن تفعلى بالتحديد ماتفعلينه الآن .. لقد كنت ترسمين الخطة دائما لكى تستولى على مكانى .

لافينيا : (بغلظة) كلا .... انك أنت التى استوليت على كل الحب منى منذ أن ولدت (ثم بتهديد) لا أريد أن أنصت الى أكاذيبك أريد فقط أن أعرف الآن هل تفعلين ما قلته او لا ؟ .

كريستين : لنفرض أنى رفضت . لنفرض أنى هربت علنا مع آدم

ماذا سيكون وضعك ووضع أبيك واسم الأسرة بعد تلك الفضيحةوماذا اذا لحقنى العار أنا نفسى ؟ اننىعلى الأقل سأنال أخيرا الرجل الذى أحبه .

لافينيا : (بتجهم) قد تنالينه ولكن الى حين ، فان أبى سوف يستعمل كل نفوذه لكى يضع برانت فى القائمة السوداء . حينئذ سيفقد منصبه كقائد سفينة ولن يحصل على أى منصب غيره . انك تعلمين جيدا ماذا تعنى « الفلاينج تريدز » بالنسبة له . وأبى لن يطلقك وبالتالى لن تستطيعى الزواج .. سوف تكونين بمثابة قيد حول عنقه ولا تنسى أنك أكبر منه بخمس سنوات . وسوف يكون هو فى عنفوانه حين تكونين أنت امرأة عجوزا وتفقدين كل مظاهر الجمال ، ولسوف يكره مجرد النظر اليك .

كريستين : (كأنها لدغت بشدة لا تطاق ، ترفع يدها تحاول أن تصفع ابنتها) أيتها الشيطان أيتها الوضيعة الصغيرة .. ! (تنظر اليها لافينيا ببرود فتسيطر كريستين على نفسها وتسقط يدها) .

لافينيا : اننى لا أطلق عليك الأسماء لو كنت مكانك ـ هناك اسم معين تستحقينه .

كريستين : (تتجه الى الناحية الأخرى ، ومازال صوتها يتهدج) ان من الحماقة أن أفقد أعصابى بسبب حقدك وغيرتك . (توقف ، لافينيا تحملق فيها ، يبدو على كريستين أنها تفكر فى شىء ما ، يعلو وجهها تعبير ينم على شر تنويه ثم تعود الى لافينيا فى برود) ولكنك كنت تريدين اجابتى ، أليس كذلك ؟ حسنا . أوافق على أن أعمل كما قلت وأعدك ألا أراه مرة أخرى بعد هذا المساء ، هل ارتاح بالك الآن ؟ ..

لافينيا : (تحدق فيها بارتياب بارد) يبدو لى انك قبلت أمر التخلى عنه بمنتهى البساطة .

كريستين : (بسرعة) أتظنين اننى سأمنحك الشعور بالراحة فأجعلك ترين حزنى ؟ لا . لا يافينى ، لن أمنحك هذه الفرصة للارتياح أبدا ..

لافينيا : (بارتياب واحتقار) لو اننى أحببت أى انسان .

كريستين : (بتهكم) لو ! . اننى أعتقد انك تحبينه بكل قلبك (ثم بغيرة قلقة مباغتة) أيتها الحمقاء الصغيرة . ألا تعلمين أننى أنا التى جعلته يغازلك لكيلا يتطرق اليك الشك ؟

لافينيا : (بعد رعدة قصيرة ثم بوحشية) انه لم يخدعنى ، فقد أدركت منذ البداية مدى كذبه . كل ما هنالك أننى سايرته لكى أكشف أشياء . لقد كنت أكرهه دائما (تبتسم كريستين فى سخرية وتتجه الى الخارج كأنها خارجة من الحجرة) (لافينيا تعود الى تهديدها) انتظرى ! اننى لا أثق فيك وأعلم انك تفكرين الآن فى النكث بعهدك الذى قطعت ، ولكن الأفضل الا تحاولى . اننى لن أكف عن مراقبتك ولن أكون وحدى فقد بعثت برسالة الى والدى والى أورين بمجرد أن عدت من نيويورك .

كريستين : (منزعجة) عن آدم ؟ .

لافينيا : بالقدر الذى يكفى لمجرد الارتياب .. والحذر .. انما قلت : ان الكابتن برانت يتردد علينا دائما وان الناس بدأت تتكلم عنا .

كريستين : آه اننى أدرك معنى هذا ــ انك تفعلين ذلك لكى أكون تحت سيطرتك ورهن اشارتك مدى الحياة (لا تستطيع أن تمنع غضبها فتقول مهددة) ولكن احذرى يافينى اننى أحملك المسئولية اذا ما .. (تكبح نفسها بجفاء) .

لافينيا : (باشتباه) اذا ماذا ؟ .

كريستين : (بسرعة) لاشىء ــ لاشىء . كنت أريد أن أقول اذا ما هربت مع آدم .. ولكنك طبعا تعرفين أننى لا يمكن أن أفعل ذلك وليس لى سوى أن أطيع أمرك .

لافينيا : (مازالت تحدق فيها بارتياب ـ تقول بغضب) ليس أمرا وطاعة ولكنه واجبك نحو أبى لو أن لديك أى شرف أو لياقة (بجفاء) ان برانت ينتظر فى الخارج يمكنك أن تخبريه عما تنوين القيام به ، وهل يجرؤ على الحضور الى هنا مرة أخرى ؟ (تجاهد غضبها) واعملى على التخلص منه فورا والآن سأخرج الى الشارع لكى أعرف آخر الأنباء ولن أغيب أكثر من نصف ساعة ولا أريد أن يكون بالمنزل لدى عودتى . أتسمعين ؟ اذا وجدته بالمنزل فسوف أكتب لأبى مرة ثانية ولن أنتظر حتى يعود .. (تدير ظهرها لأمها وتتجه الى الباب مستقيمة الكتفين فى شدة دون أن تنظر الى الخلف . كريستين تلاحقها بنظرها حتى تسمع الباب الجانبى للدار يغلق وراءها . ثم تلتفت وتقف لتفكر فى توتر وارتباك . وجهها أصبح كقناع شرير لعانس . وأخيرا وكأنها عقدت العزم الأكيد تتجه الى المنضدة وتقطع ورقة صغيرة وتكتب عليها كلمتين .. تطوى الورقة وتضعها فى كمها وتتجه الى النافذة المفتوحة وتنادى ..)

كريستين : آدم .. تتجه نحو الباب لتنتظر آدم . تلتقى عيناها بعينى زوجها فى الصورة المعلقة فوق المدفأة فتضطرب وتحدق فى الصورة بكراهية وتشير اليه حاقدة لاهثة أزرا ، لك أن تشكر لافينيا . (تذهب الى الباب وتصل اليه عندما يظهر برانت من البهو .. يأتى برانت فتمد له يدها تجذبه الى الغرفة وتغلق الباب خلفه . ويلحظ على الفور الشبه الغريب بينه وبين صورة أزرا مانون) .

برانت : (ينظر اليها بقلق عندما يصلان الى وسط الغرفة) هل تعلم شيئا عن علاقتنا ؟ .

كريستين : نعم لقد تبعتنى الى نيويورك . بل انها اكتشفت حقيقة من تكون ياآدم .

برانت : (بابتسامة عابسة) أعلم . لقد عرفت ذلك منى .. أو

على الأقل الدليل عليه ، وقبل أن أدرك النتائج كنت قد كشفت كل ما في نفسي .

كريستين : لابد أنها لحظت الشبه بينك وبين أورين .

برانت : (يرى الصورة للمرة الأولى وفي الحال يتخذ جسده صورة من التوتر الهجومي وكأنه سيقفز الى الصورة ثم يقول ببطء) هذا — كما يبدو لي — هو الجنرال مانون.

كريستين : لقد كان القاضي مانون في ذلك الحين . لاتنس أنه كان قاضيا . انه نفسه لا ينسى ذلك .

برانت : (مازالت عيناه مثبتين على الصورة — يجلس على مقعد مانون الى يسار المنضدة وبلا وعي يتخذ نفس وضع مانون فيجلس مستقيما ويتكيء بيديه على ذراعي المقعد ويقول ببطء) هل هناك شبه بين أورين ووالده ؟.

كريستين : (تحدق فيه باضطراب) بالطبع لا ، ما الذى أوحى اليك بهذه الفكرة الحمقاء ؟

برانت : سوف يكون شيئا عجيبا جدا لو اتضح فيما بعد انك أحببتني لأني أذكرك بأزرا مانون .

كريستين : (تذهب اليه وتضع ذراعها حول كتفه) قلت لك : انك كنت تذكرني بأورين . نعم أورين .

برانت : انني مازلت أذكر ذلك المساء حين التقينا لأول مرة وتعارفنا .. سمعت اسمك « مسز أزرا مانون » يا الهي لكم كرهتك في تلك اللحظة لأنك زوجته وفكرت حينئذ في أن آخذك منه كجزاء انتقامي . لقد نشأ حبي من هذا الحقد شيء عجيب — أليس كذلك ؟ .

كريستين . (تضمه لصدرها) وهل تدعه اليوم يأخذني منك ياآدم؟.

برانت : (بانفعال) تسألين ؟ .

كريستين : هل تقسم أنك لن تدعه يأخذني منك مهما كلفك ذلك ؟ .

برانت : أقسم بالله العظيم أنني لن أدعه يأخذك مني .

كريستين : (تقبله) تذكر هذا القسم دائما (تلقي نظرة سريعة على الصورة — ثم تعود الى برانت وهي ترتجف قليلا وتقول

باضطراب) لماذا تجلس هناك ؟ هذا مقعده وطالما رأيته جالسا عليـــه (تغتصب ضـحكة صـغيرة) ان حديثك السخيف عن الشبه ـ لا تجلس عليه ـ تعال ـ احضر هذا المقعد الى هنا . (تتجه الى مقعد فى الوسط يمينا. ويحمل هو مقعدا آخر الى يمين المنضدة ويضعه ملاصقا لهـــا) .

برانت : يجب علينا أن نقرر ماذا نحن فاعلان فقد انتهى وقت الاختفـــاء والكذب . وانى والله لسعيد بذلك فهذا شأن الجبناء الذى لا أهضمه (يقترب بمقعده وهى تحملق فى الصورة) لماذا لا تجلسين يا كريستين ؟ .

كريستين : (ببطء) لقد كنت أفكر ـ ربما كان من الأفضل أن نذهب الى حجرة الجلوس (ثم بتحد) ولكن لا . لقد خشيتك كثيرا يا أزرا (تجلس) .

برانت : شعرت فى اللحظة التى رأيتها فيها أن هناك شيئا غير سليم . وحاولت جهدى أن أبعدها عن طريقنا بأن أتملقها ـ كما أخبرتنى ، وذلك لكى تحول أنظارها عنا (عابسا) وكانت هذه غلطة كبيرة يا كريستين فقد فتح ذلك عينيها وجعلها تلتفت الى كثيرا .

كريستين : أوه ، اننى أعلم اننى ارتكبت الغلطـة بعـد الأخرى كأنما الحب يدفعنى لأن أفعل ما لا ينبغى أن أفعل . كان الواجب أن لا تأتى هنا ، وكان يكفى أن أراك فى نيويورك ولكنى كنت أحبك بشدة،وكنت أود أن أراك فى كل لحظة وأن أقضى معك كل دقيقة يمكننا أن نسرقها ، ولم أستطع أن أصدق ببساطة أنه سوف يعود الىالمنزل مرة أخرى . لقد توسلت الى الله أن يلقى مصرعه فى الحرب توسلت بشدة حتى انى أعتقدت فى النهاية ان هذا سيحدث بكل تأكيد . . أوه (بشدة قاسية) لو أنه مات .

برانت : لقد ضاعت هذه الفرصة الآن .

كريستين : (ببطء وبدون أن تنظر اليه) نعم ، بهذه الطريقة .

برانت : (يحدق فيها) ماذا تعنين ؟ (تظل ساكنة ـ يغير الموضوع بقلق) هناك شيء واحد فقط هو الذى يجب أن نفعله عندما يعود . سوف أنتظره ولا أمنح فينى الارتياح بأن تخبره هى . سوف أخبره بنفسى (بحقد) يا الهى اننى مستعد لأدفع حياتى مقابل أن أرى وجهه عندما يعلم انك تحبين ابن مارى برانتوم . ثم بعد ذلك سوف آخذك بعيدا علنا وأسخر منه واذا حاول أن يعترضنى (يتوقف . ثم ينظر الى الصورة بحقد مرير) .

كريستين : ماذا ستفعل ؟ .

برانت : أقتله بمجرد أن أضع يدى عليه .

كريستين : ثم تشنق . وماذا سيكون مصيرى . لا يبقى لى بعد ذلك سوى أن أقتل نفسى .

برانت : لو لقيته منفردا .. حيث لا اعتراض .. وحيث الحياة للأفضل .. كما رأيت هناك فى الغرب .

كريستين : لسنا فى الغرب .

برانت : أستطيع أن أهينه فى الطريق العام وأجعله يقاتلنى ثم أقتله فى حالة دفاع عن النفس .

كريستين : (بازدراء) أتظن أنك تستطيع ارغامه على المبارزة ؟ وألا تعلم أن القانون يحرمها ؟ لا لا .. انه ببساطة سيحن الى أن يقوم بواجبه كقاض سابق ويقبض عليك (وتضيف حاسبة وقد لحظت أنه يغلى من الداخل) وسوف يكون انتقاما ضعيفا لموت أمك أن تدعه يجعل منك مادة للسخرية ..

برانت : ولكن حينما انتزعك منه سوف تكون السخرية منه هو .. يمكنك أن تأتى الى (الفلاينج تريدز) .

كريستين : (بتأنيب وهى تتدبر) لا أظن أن تقترح هذا اذا ما توقفت لحظة عن التفكير فى الانتقام لتفكر فى مصيرى أنا ... ألا تفهم أنه لن يطلقنى بأية حال من الأحوال ؟ ماذا أكون

أنا فى نظر العالم ؟ ان حياتى ستتحطم وسوف أحطم حياتك فتكرهنى لذلك .

برانت : (بتأثر) لاتتكلمى هكذا انه غير صحيح وأنت تعلمين .

كريستين : (باشتياق مرير) لو كنت أستطيع أن أصدق ذلك يا آدم . غير انى سرعان ما يبدو على الكبر وانى أخشى الزمن ! (تغير النغمة بجفاء) وفيما يتعلق بابحارى على سفينتك فلن يكون لديك سفينة . سوف يحرمك من قيادة سفينتك ويضع اسمك فى القائمة السوداء حتى لاتحصل على سفينة أخرى .

برانت : (بغضب) صحيح ، انه يستطيع أن يفعل ذلك لو أراد ان عدد قادة السفن فى هذه الأيام ضعف عدد السفن .

كريستين : (تجمع أفكارها ثم تتول دون أن تنظر اليه) ولو أنه قتل ، لأمكن أن نتزوج الآن ، ولأحضرت لك نصيبى فى ضيعة مانون . ان هذا هو عين العدل وهو حقك المغتصب الذى سرقه أبوه من أبيك .

برانت : هذا صحيح ، عليه اللعنة .

كريستين : حينئذ يمكنك أن تشترى سفينتك الخاصة ، وان تكون سيد نفسك فلا تخشى رئاسة ، ولا تنتظر تفضلا من أصحاب السفن .

برانت : (بحنين وشوق) ان هذا الحلم يداعب خيالى منذ أمد بعيد . أن أملك سفينتى يوما ما .. فقد يرى كلارك وداوسون بيع « الفلانج تريدز » (ينسى كل شىء فى حماسته) لقد رأيتها ياكريستين أليس كذلك ؟ ان جمالها كسفينة فى مثل جمالك كامرأة .. أجل كأنكما أختان .. لو كانت ملكى لأخذتك معى وقضينا شهر العسل نذهب الى الصين وفى طريق العودة نقف عند جزر الجنوب التى حدثتك عنها . يا الهى . هذا هو أنسب مكان للحب ولقضاء شهر العسل .

كريستين : (ببطء) نعم ولكن ازرا مازال حيا .

برانت : (يعود الى وعيه - يقول فى كآبة) أعرف انها مجرد أحلام .

كريستين : (تحدق فيه ثم تقول ببطء) يمكنك أن تحقق أحلامك وأنا أيضا . هناك طريقة (تلتفت بعيدا مرة أخرى) أتذكر عندما أخبرتك أنه شكا من آلام فى قلبه ؟ . .

برانت : انت بالتأكيد لاتتمنين أن . .

كريستين : لا . لقد قال انها ليست خطيرة ، ولكنى جعلت الناس يعرفون انه مريض بقلبه . وذهبت الى طبيب الأسرة القديم وأخبرته عن مرض ازرا . وتظاهرت بالانزعاج حتى انزعج هو أيضا . انه أكبر ثرثار عجوز فى المدينة . أننى واثقة ان كل فرد علم بمرض أزرا منذ ذلك الحين .

برانت : ماذا تقصدين بذلك ياكريستين ؟

كريستين : انه شىء أفكر فيه منذ علمت أنه ربما يعود قريبا والآن أمامنا فينى - ولكن على أية حال اذا لم نقم اعتبارا لفينى ، فان هذه هى الطريقة الوحيدة ، اننى لم أستطع أن أخدعه لمدة طويلة . . فهو انسان كتوم غريب . ان صمته دائما يزحف الى أفكارى . . حتى لو لم يتكلم فانى أشعر بما يدور فى ذهنه . وفى احدى الليالى ، وكنت مستلقية الى جواره ، كدت أجن ، وكدت أقتل صمته وأصرخ بالحقيقة (ناظرة أمامها ، وفجأة تقبل على برانت وتقول ببطء) لو انه مات فجأة الآن ، فلن يظن أحد أن هناك سببا آخر غير السكتة القلبية . لقد كنت أقرأ كتابا فى مكتبة أبى الطبية كأن القدر دفعنى الى قراءته (تخرج من كمها الورقة التى كتبتها) كتبت هنا اسم شىء معين وأريدك أن تحصل عليه (تتقلص أصابعه على الورقة بطريقة آلية ويحدق فيها فى رعب غريب . تواصل الحديث بسرعةدون أن تعطيه فرصة للتفكير) لقد انتهى العمل فى السفينة وستبحر غدا الى بوسطن لكى تنتظر الشحنة القادمة . أليس كذلك ؟ .

برانت : (ببلادة) نعم .

كريستين : أحضر هذا من أى صيدلية فى الميناء ويمكنك أن تختلق قصة عن كلب مريض فى سفينتك ثم أرسله الى بمجرد حصولك عليه ، وسوف أكون فى منتهى اليقظة حتى لا تعرف فينى عنه شيئا ، وعليك أن تنتظر على السفينة حتى أكتب لك أو أحضر اليك بعد . .

برانت : (ببلادة) ولكن كيف يمكن أن تفعلى ذلك بدون أن يرتاب أحد فى الأمر ؟

كريستين : انه يتناول الدواء كل يوم . وسوف أعطيه أنا الدواء بنفسى ، لقد دبرت كل شيء بمنتهى الدقة .

برانت : ولكن ــ اذا مات فجأة ــ ألا تعتقدين أن فينى . .

كريستين : لن يكون هناك أدنى داع للشك . انها قلقة من الآن على قلبه . ورغم كرهها لى فلن يخطر ببالها اطلاقا . .

برانت : أورين سوف يعود أيضا . .

كريستين : ان أورين سيصدق ما أريد أن يصدقه . . أما بالنسبة للناس هنا فلا يمكن أن يتصوروا حدوث مثل هذا الأمر فى منزل مانون . وكلما أسرعت أنا فى القيام بهذا العمل، قلت الشبهات . انهم سيظنون أن الانفعال بسبب عودته ورد الفعل الذى أحدثه هذا الانفعال كان أكثر مما يحتمله قلبه الضعيف ، ان دكتور بلاك سوف يظن ذلك . وسأرى أن هذا هو ما يظنه .

برانت : (بجفاء) السم . انها حيلة الجبان .

كريستين : (بازدراء قاس ــ وقد رأت ضرورة استفزازه) وهل تكون أكثر شجاعة اذا ما تخليت له عنى وجعلته ينتزع منك سفينتك ؟ .

برانت : لا .

كريستين : ألم تقل : انك كنت تريد أن تقتله ؟ .

برانت : نعم ، على أن أعطيه فرصته .

كريستين : وهل أعطى أمك فرصتها ؟ .

برانت : (يستثار . لا عليه اللعنة) .

كريستين : اذن ما الذى جعلك مترددا هكذا فجأة بشأن موته ؟ (فى تهكم) لابد انه العنصر المانونى فيك قد ظهر . هل تثبت فى المرة الأولى التى يوضع فيها حبك موضع الاختبار أنك جبان ضعيف مثل والدك ؟ .

برانت : كريستين لو أن أى رجل قال لى هذا ..

كريستين : (بتأثر) هل فكرت فى هذا الجانب من عودته .. انه سيعود الى فراشى ؟ لو أنك تحبنى حقا كما تدعى ، فان هـــذا فى رأيى كاف لأن يزيل ما بنفســـك من تردد ووسوسة ..
ولو أن المشكلة كانت تتعلق بامرأة تأخـذك منى ، لمـــا شعرت بأى تأنيب ضمير وأنا أفكر فى الطريقة التى أقتلها بها (بتأنيب ساخر) ولكن ربما كان حبك أكذوبة ذكرتها الى لتنتقم منـــه انتقاما دنيئـــا بأن تكون عشـيقى . ربمـــا ...

برانت : (وكأنه لدغ .. يمسكها من كتفيها ويقول بعنف) كفى .. سأفعل ما تريدين وأنت تعلمين (يقطب جبينه ، ويضع الورقة فى جيبه) انك على حق . اننى غبى وأحمق اذ أشعر بأى عطف بشأن طريقة موت ازرا مانون .

كريستين : (ينم وجهها على مظهر الرضاء البهيج ــ وقد رأت أنه غلب على أمره تماما ــ تحيطه بذراعيها وتضمه بشدة وتقبله بانفعال) الآن أنت الرجل الذى أحب ثانية ، لا المانونى المنافق ، هل تعدنى أنك لن تعود الى وساوسك الخيالية الجبانة مرة أخرى ؟ هل تعدنى ؟ .

برانت : أعدك (دوى المدفع ينطلق من القلعة التى تحرس الميناء . ينزعج هـــو وكريستين ، وينظر كل الى الآخر بخوف . ينطلق الدوى مرة أخـــرى فيلمع ضـــوءها فيهز النوافذ بخشخشة شديدة . كريستين تفيق الى رشدها ..)

كريستين : أسمعت ؟ هذه تحية عودته من الميدان (تقبـــله بالحاح شديد) تذكر موت أمك ، تذكر أملك فى امتلاك سفينة

خاصة • وفوق هذا وذاك اننى سأكون لك ـ سأكون لك وحدك ـ سأكون زوجتك (بلهجة تحريض) والآن يجب أن تذهب ـ انها ستعود بعد قليل وأنت لا تستطيع اخفاء أفكارك (تدفعه نحـــو الباب) أسرع ، اننى لا أريد أن تلتقى بها (مدفع القلعة يظل يدوى بانتظام حتى نهـاية المنظر يخرج برانت الى القاعة ، وبعد لحظة يسمع صوت الباب الخارجي وهـــو يغلق وراءه • تهرع كريستين الى النافذة لكى تراقبه من خلف الستائر وهـــو يمشى فى الطريق المؤدى الى الشارع،وهى فى حالة اضطراب وانفعال فى فرح ، ثم تناجيه وهو يبتعد . بزهو غريب ، كأن فكرة معينة خطرت فى ذهنها فجأة) لن تجرؤ الآن يا آدم على أن تهجرنى وتذهب الى سفنك وبحارك وفتياتك العرايا فى الجزر •• حين يمتد بى العمر ويذهب جمالى (تترك النافذة ، وحين تلتفت الى الخلف تلتقى عيناها بعينى زوجها فى الصورة ، تحدق فيها لحظة كأنها مسحورة ثم تحول نظرها بعيدا عنــه وبرعدة خفيفة لم تستطع منعها تغادر الغرفة بسرعة وتغلق الباب خلفها) •

ســــتار

الفصل الثالث

(نفس المنظر الأول · منزل مانون من الخـــارج ··· الساعة التاسعة مساء تقريبا بعد أسبوع · ضوء القمر فى التربيع الأول يغمر المنزل فيكسبه صفة الغموض والعزلة والغرابة · الواجهة البيضاء الصافية تبدو ـ أكثر من أى وقت مضى ـ كأنها قناع شـــاذ مثبت على المنزل الحجرى القاتم ـ «المصاريع» جميعا مغلقة وأعمدة الواجهة البيضاء تلقى ظلالا سوداء على الحائط الرمادى خلفها وكأن جذع شجرة الصنوبر عمود من الأبنوس وفروعها كتلة كثيفة من الظل ·

لافينيا جالسة على قمة السلم المؤدى للشرفة · ثيابها شديدة السواد كما كانت من قبل وهى بجسمها النحيل وذراعيها المشتبكتين أمامها وساقيها المضمومتين وكتفيها المستقيمتين ورأسها المرفوع تشبه تمثالا من تماثيل قدماء المصريين وهى شاخصة ببصرها الى الأمام · يأتى من أسفل الطريق على اليمين المواجه صوت « سث » العجوز وهو يترنم بحزن بأغنية الشيناندوه ـ يقترب من المنزل فيقترب الصوت بسرعة :

آو شيناندوه اننى مشتاق لأن أسمعك .
ألا ابتعد أيها النهر المنساب .
أو شيناندوه لا أستطيع الاقتراب منك ·
فانى مقيد بعيدا ·
وراء نهر الميسورى الفسيح ·

أوشيناندوه اننى أحب ابنتك •
ألا ابتعد أيها النهر المنساب •

يدخل ست من اليمين الأمامى ثملا قليلا ولكنه قابض على زجاجته جيدا • يسير بين أشجار البنفسج مبتدئا بالمقطع الثانى من الأغنية «شيناندوه» ثم يفاجأ بلافينيا على السلم فيقف مرتبكا مذهولا قليلا) •

لافينيا : (باستنكار) للمرة الثانية فى أسبوع تعود مخمورا •

ست : (يقترب من السلم بلا خجل ، وعلى شفتيه ابتسامة فاترة) اننى أحب أن أؤدى واجبى الوطنى يا فيينى ، المرة الأولى كانت احتفالا باستسلام « لى » وهذه المرة أحاول أن أغرق أحزانى لمصرع الرئيس ، والمرة الثالثة ستكون عند عودة أبيك •

لافينيا : ربما يعود أبى الليلة •

ست : عجبا ڤينى • لم يكن فى حسابى أن فى امكانه أن يعود هكذا سريعا •

لافينيا : طبعا لم يكن فى حسابك والا فالويل لك منه اذا رآك ثملا ••• أنا لا أعتقد أنه سيعود ولكن من الممكن جدا أن يعود •

ست : (يحاول جاهدا أن يتماسك ، وفجأة يميل ناحيتها ، ويخفض صوته ويسألها واعيا) هل اكتشفت شيئا بخصوص برانت هذا ؟

لافينيا : (بحدة) نعم ، ليس هناك صلة ما ، لقد كانت مجرد فكرة من أفكارك السخيفة •

ست : (يحدق فيها ثم يقول بادراك) حسنا • اذا كنت تريدين ذلك فأنا أيضا أريده (سكون • يظل ناظرا اليها بينما هى تنظر أمامها) •

لافينيا : (بصوت خفيض) ماذا كان شكل مارى برانتو يا ست ؟

ست : مارى ؟ لقد كانت دائما تضحك وتغنى فى مرح وحيوية •

في شيء من التحرر والانطلاق كحيوان برى وكانت وديعة أيضـــا (ثم تضيف) أما شعرها ففى لون شـعر أمك وشعرك .

لافينيـا : أعرف هذا .

ست : واذا تحدث امرؤ اليها فلن يسلوها . حتى والدك . كان صبيا في ذلك الحين ولكنه كان مولعا بها ولع الشباب . وكانت مارى تحبه وتدلله وتكثر الكلام عنه بينما كانت أمه تقسو عليه .

لافينيـا : أبى ... أيضا .

ست : نعم ولكنه كرهها جدا عندما اكتشف أنها عشيقة عمـه دافيد .

لافينيـا : (تحدق فى المنزل وكأنها تهمس لنفسها) ان هذا غريب جدا ومخيف (تسيطر على نفسها فجـأة وتلتفت لست بجفاء) اننى لا أصدق هذا عن والدى ولاشك أنك أفرطت فى الشراب ، اذهب الى فراشـك لتنام (تصعد السلم ثانية ...)

ست : (ينظر اليها نظرات تدل على الفهم) حقـا . (ثم يرى الباب الأمامى يفتح خلفها فيناديها محذرا باشارة خفية) ش‌ش . (تظهر كريستين على ضوء البهو غيرمميزة الملامح - فى ثوب من المخمل الأخضر الذى يناسب شـعرها . الضــوء المنبعث خلفها يلمع على أطراف ثيابها وفى لون شعرها . تغلق الباب وتخرج الى عتبة السلم حيث ضوء القمر - وتقف فى مكان أعلى من لافينيا والى يمينها قليلا . ضوء القمر يسقط عليها كاملا مؤكدا الشبه الغريب بين وجهيهما . وفى نفس الوقت الاختلاف العدائى بينهما فى الجسم والملبس . لافينيا لا تلتفت ولا تبدى أية حـركة تدل على أنها علمت بوجـود أمها خلفها . يخيم على المكان صمت مقلق . يبتعد ست الى اليسار) حسنا . سوف

أجرى بعيدا (يختفى حول ناصية المنزل • تمر فترة قصيرة ثم تتكلم كريستين فى لهجة جافة ساخرة) •

كريستين فيم تحدقين هكذا فى ضوء القمر ؟ ان العذارى الطاهرات يجب ألا يرمقن الربيع بمثل هذا الفضول ، أليس الجمال رجسا ، والحب شيئا حقيرا ؟ (تضحك فى سخرية مريرة) لماذا لا تتزوجين بيتر؟ أنت لاتحبين طبعا أن تتركى عانسا عجوزا • أليس كذلك ؟

لافينيا : (بهدوء) لا داعى لأن تتمنى الخلاص منى بهذه الطريقة . اننى لن أتزوج فلدى واجبى نحو أبى •

كريستين : الواجب ! طالما سمعت هذه الكلمة تتردد فى هذا المنزل • حسنا لا تستطيعين أن تنكرى أنى أديت واجبى طوال هذه السنوات • ولكن ها قد جاءت النهاية •

لافينيا : وها قد جاءت نهاية أخرى ــ ويجب أن تؤدى واجبك من جديد •

كريستين : (تحاول الاجابة بتحد ولكنها تتكلم بهدوء) نعم اننى أدرك ذلك •

لافينيا : (بعد لحظة سكون • فى اشتباه) ماذا يدور فى خلدك ؟ اعلم أنك تدبرين أمرا •

كريستين : (تتمالك نفسها من رعدة) لا تكونى غبية أرجوك •

لافينيا : هل تفكرين فى الطريقة التى يمكنك بها رؤية آدم ثانية ؟ يستحسن ألا تفعلى •

كريستين : (بهدوء) لست حمقاء الى هذا الحد لقد ودعته مرة ، هل تظنين أننى أبتغى لنفسى صعاب الأمور ؟ .

لافينيا : ومتى كانت الأمور صعبة عليك ؟ اننى لم أكتشف ذلك قط ، مع أنى كنت أراقبك طول الوقت •

كريستين : لقد أنذرتك بعدم اعطائك فرصة الارتياح (لحظة سكون) متى تتوقعين عودة أبيك ؟ انك تريدين منى أن أحسن

القيام بدورى عندما يعود ، أليس كذلك ؟ لأجل خاطره أحب أن يصلنى انذار سابق ٠

لافينيا : انه يقول فى خطابه : انه لن ينتظر ختى تسرح فرقته ، وسيحاول أن يعود على الفور ٠ قد يصل الليلة أو غدا ـ أو بعد غد ـ لا أدرى ٠

كريستين : هل تعتقدين أنه يأتى الليلة ؟ (بابتسامة تهكمية) اذن فهذا هو العاشق الذى تنتظرينه فى ضوء القمر (فترة صمت) ولكن قطار المساء قد وصل ٠

لافينيا : (تنظر الى الطريق فى الناحية اليسرى الأمامية ، ثم تقف منتفضة باضطراب) هنــاك شخص قادم ـ (تنهض كريستين بتثاقل ٠ يسمع وقع أقدام ، وبعد لحظات يدخل ازرا مانون من اليسار الأمامى ، يتوقف تحت ظل شجرة ويقف هناك مستقيما جامدا كأنه فى حالة تحفز ويحدق فى المنزل ، وفى زوجته وابنته ٠ وهو رجل طويل ضامر عريض العظم فىحوالى الخمسين من عمره يرتدى زى قائد لواء فى الجيش ، وان الانسان ليدهش لوجهه الذى يبدو كالقناع أكثر مما يبــدو فى الآخرين وهــو يشبه تماما الصورة الموضــوعة فى المكتب والتى رأيناها فى المنظر الثانى بفروق طفيفة ٠ فوجهه الآن أصبح نحيفا وهزيلا ، وشعره ولحيته لحتهما المشيب ، أما حركاته فمحكمة وجامدة الأوضــاع التى يتخــذها فى الوقوف والجلوس بصلابة تعيد الى الذهن تماثيل الأبطال العسكريين، وحينما يتكلم فان لصــوته العميق صـفة الكبت كأنه يعمــل ـ باستمرار ـ على أن يكون خاليا من أية عاطفة أو انفعال ٠ ومظهره العام فظ وجاف يدل على أن صاحبه ذو سـلطة كبيرة) ٠

لافينيا : (ترى الرجل يقف فى الظل ـ تنادى بانفعال) من هناك؟

مانون : (يخطو خطوة بحيث يسقط عليه ضوء القمر) انه أنا ٠

لافينيا : (تصرخ فى فرح) أبى ... (تجرى نحوه وتلقى نفسها عليه وتحيطه بذراعيها وتقبله) أوه ... أبى (تنفجر باكية وتخفى وجهها فى كتفه) .

مانون : (يرتبك . يربت رأسها بخشونة) تعالى ، أظن أننى علمتك ألا تبكى أبدا .

لافينيا : (تجاهد لتمنع دموعها فى طاعة) آسفة يا أبى ولكنى سعيدة جدا ..

مانون : (يتأثر ببطء) ان الدموع دليل غريب على السعادة ... ولكنى أقدر مشاعرك .

كريستين : (تهبط السلم ببطء ، وتثبت عينها فيه وتقول بتوتر) هل هو أنت حقا يا أزرا ؟ لقد كدنا نفقد الأمل فى وصولك الليلة .

مانون : (يتجه نحوها بجمود) لقد تأخر القطار لأن الخط مزدحم جدا فالجميع فى أجازة (يلاقيها عند قاعدة السلم ويقبلها بوقار بارد ويقول بلهجة رسمية) اننى سعيد برؤيتك ياكريستين . انك تبدين فى حالة طيبة جدا (يتراجع خطوة الى الوراء وينظر اليها ثم يقول بصوت غريب يكشف عن مشاعر مكبوتة) لقد تغيرت قليلا . انك أجمل منك فى أى وقت مضى ولو أنك كنت دائما جميلة .

كريستين : (بلهجة خفيفة مغتصبة) هذه تحيات من الزوج . لقد أصبحت لطيفا جدا يا ازرا (ثم باهتمام) لا بد أنك متعب جدا . ألا تريد أن تجلس هنا لتستريح قليلا ؟ ان ضوء القمر ممتع .

لافينيا : (التى كانت تتحرك فى غيرة فترى أن تدخل بينهما بحدة لا ... ان الجو هنا رطب جدا ثم ان أبى جائع بلا شك (تأخذ ذراعه) تعال ، ادخل معى وسوف أعد لك طعاما تأكله يا أبى العزيز . لا بد أنك جائع جدا .

مانون : (فى ارتياح حقيقى لملاطفة ابنته اياه ـ مرتبكا أمام زوجته .. يسحب ذراعه ويقول مباغتنا) لا ، أشكرك اننى أفضل

أن أستريح هنا بعض الوقت • اجلسى يافينى • (تجلس كريستين على درجة السلم العليا فى الوسط ويجلس هو على الدرجة الوسطى الى اليمين وتجلس لافينيا على أول درجة الى اليسار • وفى أثناء ذلك لا يكف هو عن الحديث بعباراته المتقطعة وكأنه يحاول أن يخفى ما يعتمل فى نفسه من قلق) ان اجازتى أيام معدودات اذ يجب أن أعود لكى أسرح فرقتى • فان اتفاقية السلام يجب أن توقع قريبا جدا • ومصرع الرئيس الأمريكى كان كارثة مروعة ولكنها لن تغير من مجرى الحوادث •

لافينيا : مسكين • انه لفظيع أن يموت فى لحظة انتصاره •

مانون : نعم (بعد لحظة) بكآبة •• ان كل انتصار يتلاشى فى هزيمة الموت ، هذه حقيقة . ولكن هل تتلاشى الهزيمة فى انتصار الموت ؟ هذا هو السؤال (تحدق الاثنتان فيه ، لافينيا فى دهشة ، كريستين فى تعجب وقلق • تمر فترة من الصمت) •

كريستين : أين أورين ؟ ألم يستطع أن يحصل له على أجازة هو الآخر ؟

مانون : (يتردد ثم يقول فجأة) لقد أخفيت عنك شيئا • ان أورين جرح •

لافينيا : جرح ؟ انك لا تعنى طبعا أن اصابته خطيرة ، أليس كذلك؟

كريستين : (تثب نصف وثبة ـ ثم بمرارة غاضبة أكثر منها حزنا) لقد كنت أعلم هذا حينما أجبرته على الذهاب الى حربكم المروعة (ثم تستند بظهرها الى الوراء وتقول بتوتر) ليس ثمة ما يدعو لأن تبلغنى الخبر بالتدريج قل لى ، لقد مات أورين ، أليس كذلك ؟

لافينيا : لا تقولى ذلك فليس هذا بصحيح • أليس كذلك يا أبى ؟

مانون : (بفظاظة ـ وأثر من الغيرة فى نغمته) طبعا غير صحيح لو أن أمك سمحت لى بأن أنتهى من كلامى بدلا من أن تقفز الى النهايات والاستنتاجات الخاصة بطفلها (بارتياح

وكبرياء متجهمة) انه لم يعد طفلا الآن . لقد قام بعمل من أشجع الأعمال التي رأيتها في الحرب ثم جرح في رأسه باصابة قريبة خفيفة استحالت الى خدش . وأصيب بالحمى المخية من هذه الصدمة وهو الآو بخير . ويقولون في المستشفى : ان حالتـه كانت في تدهور .. انني لم أتصور ذلك قط .. الأعصاب ، لم أك لألحظ الأعصاب ، كان دائما قلقا وغير مستقر (يلتفت الى كريستين قليلا ويقول) لقد استمد ذلك منك .

كريستين : متى تتحسن حاله بحيث يمكنه العودة ؟

مانون : قريبا جدا . لقد نصحه الطبيب بأن يبقى بضعة أيام للراحة فهو ما زال ضعيفا . لقد فقد صوابه لفترة طويلة . وكان يتصرف كأنه طفل صغير وكان يتخيل أنك معه فقد كان دائما يناجي شخصا معينا بقوله « أمي » .

كريستين : (تتنهد بعمق وتوتر) آه .

لافينيا : (برثاء وبنبرة ازدراء في صوتها) مسكين أورين .

مانون : كريستين . انني لا أريد أن تعامليه كطفل عندما يعود ، ومن الخطر عليه أن يربط بخيوط مئزرك مرة أخرى .

كريستين : لا تشغل بالك . لقد انتهى كل شيء عندما ذهب الى الحرب (تمر فترة صمت ثم تتكلم لافينيا) .

لافينيا : كيف حال قلبك الآن يا أبي ؟ ان ما كنت أخشاه أن تكون حريصا على ألا تزعجنا فتصور الأمر بصورة أقل خطورة مما هو عليه فعلا .

مانون : (بخشونة) لو أن الأمر كان خطيرا لأخبرتكم لكي تستعدوا . ولو أنك رأيت من الموت ما رأيت أنا في السنوات الأربع الماضية لما خفتمنه الى هذا الحد (ينهض واقفا ويقول بلا مقدمات) فلنغير هذا الموضوع . ان فكرة الموت شغلتني بما فيـه الكفاية ، وما أريده الآن هو أن أنساها (يلتفت ويسير الى يمين السلم ذهابا وايابا في اضطراب كل ما أعرف أن الألم كالسكين . وهو – اذا

طال ـ يفقدنى صوابى • لقد أمرنى الطبيب بأن أتجنب القلق أو الاثارة أو أى افراط فى الجهد •

كريستين : (تحدق فيه) انك لا تبدو فى حالة طيبة ولكن من المحتمل أن يكون السبب هو أنك متعب ، يجب أن تذهب الى الفراش حالا يا أزرا •

مانون : (يقف وهو يخطو أمامها مباشرة ••• ينظر الى عينيها ثم يتكلم محاولا أن يكون صوته عاديا) ـ نعم ـ اننى أريد أن أذهب الى الفراش ـ حالا •

لافينيا : (وهى تنظر اليه فى غيرة ، تجذبه فجأة من ذراعه بلا حرج كالأطفال) لا ليس الآن •• أرجوك يا أبى لقد عدت منذ فترة قصيرة جدا ولم نتكلم تقريبا (ثم تقول لأمها بتحد)كيف تقولين انه يبدو متعبا • انه يبدو سليما كما رأيته دائما (ثم لأبيها وهى تنظر الى أمها بحقد) ان لديناكلاما كثيرا لنقوله ، يتعلق بالكابتن برانت (كريستين جالسة بلا حراك تلفحها النظرة المريبة الفاحصة التى يوجهها لها مانون •)

مانون : لقد كتبت لى فينى أنكما كنتما تجلسان معا • اننى لم أسمع عنه من قبل : ماعمل هذا الشخص هنا ؟

كريستين : (بابتسامة مطمئنة) يستحسن أن تسأل فينى . انه آخر محبيها • فهى تذهب لتسير معه فى ضوء القمر •

لافينيا : (بشهقة من هذا التحدى الصفيق) أوه .

مانون : (بغيرة واشتباه فى ابنته) ألاحظ أنك لم تذكرى ذلك فى خطابك أيتها الآنسة الصغيرة .

لافينيا : لقد ذهبت لاتمشى معه مرة واحدة ـ وكان هذا قبل ـ (توقف نفسها فجأة) •

مانون : قبل ماذا ؟

لافينيا : قبل أن أعرف أنه من ذلك النوع من الرجال الذى يلاحق كل امرأة يراها •

مانون : (لكريستين فى غضب) ياله من ضيف رائع جدير بأن تستقبليه فى غيابى .

لافينيا : أعتقد أنه كان يظن أن أمى تداعبه . هذا هو السبب الذى جعلنى أشعر أن من واجبى أن أكتب وأنت تعلم ثرثرة الناس فى المدينة يا أبى . ورأيت أن الواجب أن تحذر أمى وتبين لها أنها كانت حمقاء حين سمحت له بأن يأتى الى هنا .

مانون : ليس حمقا فحسب ... انه انحدار تام .

كريستين : (ببرود) أفضل ألا نناقش هذا الموضوع حتى ننفرد يا ازرا ما لم يكن لك رأى آخر . وأعتقد أن فينى فى منتهى التهور وسوء التقدير اذ تضايقك بمثل هذا اللغو المضحك فى اللحظة التى تعود فيها الى بيتك (تلتفت الى لافينيا) أعتقد أنك قمت بأضرار كافية . هل يمكن أن تتفضلى بتركنا وحدنا .

لافينيا : لا .

مانون : (بحدة) كفى عراكا ، لقد طالما تمنيت أن تتخليا عن هذا التشاحن ، اننى لا أريد مثل هذه الخلافات فى بيتى .

لافينيا : (بطاعة) سمعا يا أبى .

مانون : ان هذا موعد نومك يا فينى .

لافينيا : نعم يا أبى (تقبله باضطراب) أوه . اننى سعيدة جدا لأنك عدت . لا تدع أمى تجعلك تصدق أننى ــ أنك أنت الانسان الوحيد الذى أحببت فى حياتى وسأبقى معك على الدوام .

مانون : (يربت شعرها برقة ساذجة أتمنى هذا ــ اننى أريدك أن تظلى ابنتى الصغيرة ــ على الأقل لمدة قليلة (يلحظ نظرة الازدراء من كريستين . يدفع لافينيا قائلا) اذهبى الآن .

لافينيا : نعم ياأبى (تصعد الدرج مارة بأمها دون أن تنظر اليها .. تقف على الشرفة وتلتفت) لا يشغلك شىء يا أبى فسأعتنى بك دائما (تدخل ، مانون ينظر لزوجته التى تتبعها

بنظرتها محدقة • يتنحنح كأنه سيقول شيئا • ثم يخطو بضع خطوات ذهابا وايابا على يمين السلم ... بشيء من الخجل) •

كريستين : (تغتصب رقة النغم) اجلس يا أزرا فان وقوفك على قدميك يرهقك أكثر (يجلس بثقل أسفلها يمينا بدرجتين ملتفتا جانبا ليواجهها . تسأله ببساطة مستحية) والآن أخبرنى ، فيم تشك فى ؟ •

مانون : (يفاجأ) ما الذى يجعلك تظنين أننى أشك فيك ؟

كريستين : كل شيء لقد شعرت بعد ثقتك منذ أتيت • كانت عيناك تسبران غورى كما لو عدت قاضيا وأنا سجينة •

مانون : (شاعرا بالاثم) أنا .. .. ؟

كريستين : وكل هذا بسبب خطاب أحمق لم يكن من شأن فينى أن تكتبه • يبدو لى أن التهمة متأخرة عن أوانها فان وضعى كامرأة كبيرة فى السن وأم لأبناء كبار لا يسمح بأن تتهمنى بمداعبة قبطان سفينة أحمق •

مانون : (يبدو عليه التأثر والارتياح ويقول بهدوء) لم يخطر ببالى قط أن أتهمك بذلك وكل ما خشيته أن تكونى أعطيت الفرصة للألسنة الثرثارة أن تنطق بالخبث •

كريستين : أواثق أنت أن هذا هو كل ما بقلبك بالنسبة لى ؟

مانون : نعم بالطبع ــ وهل هناك شيء آخر (يربت يدها مرتبكا) فلنكف عن الحديث فى هذا الموضوع (ثم بخشونة) أريد فقط أن تشرحى كيف تسنى لبرانت هذا ؟ .

كريستين : ان هذا يسعدنى جدا • لقد التقيت به عند أبى • وكان معجبا به لسبب ما ، وحين أتى لزيارتنا هنا لم أستطع أن أقابله بجفاء . وكيف أستطيع ؟ ولكنى ألمحت له أننا لا نرحب بزيارته والرجال من هذا النمط لا يفهمون التلميحات • وعلى أى حال لم يزرنا سوى أربع مرات على ما أذكر • أما القول بأن هناك شائعات فلغو باطل • الشائعة

الوحيدة التى تناقلوها هى أنه أتى لخطبة فينى ويمكنك أن تسأل أى انسان فى المدينة .

مانون : يا له من وقح ! لقد كان من واجبك أن تخبريه بصراحة أنه غير مرغوب فيه .

كريستين : (تحاول أن تتصنع الندم) حسنا اننى أعترف أننى لم أهتم كثيرا بمجيئه كما كان المفروض لسبب واحد .. هو أنه كان دائما يحضر لى أخبار أبى ، وكان أبى مريضا طوال العام الماضى كما قلت لك فى خطابى (تختلج شفتاها كأنما تمنع ابتسامة ساخرة) انك لا تستطيع أن تتصور مدى ما كنت فيه من توتر وعناء . فقد كنت قلقة على أبى وعلى أورين ــ وعليك .

مانون : (متأثرا بشدة ــ يلتفت اليها ويأخذ يديها بين يديه ويقول ببطء) كريستين ــ اننى أعتذر اليك ــ فلم أكن عادلا . (يقبل يدها بانفعال . يرتبك لظهور عاطفته فيقول فى لهجة مازحة خشنة) كنت تخشين أن يصرعنا القدر .. أليس كذلك ؟

كريستين : (تجاهد بشدة لتمنع ضحكة ساخرة) أبك حاجة الى هذا السؤال ؟ (صمت ، ينظر اليها بافتتان ولهفة) .

مانون : (يندفع أخيرا) كنت أحلم بالعودة اليك يا كريستين (ينعطف اليها بصوت مرتعش ممتلىء بالرغبة والخوف والشعور بالغرابة يقول وهو يلمس شعرها ويربته ببطء) أنت جميلة .. أجمل منك فى أى وقت مضى .. وغريبة عنى كأنى لا أعرفك .. أنت أصغر سنا وأشعر بجانبك كأنى هرم . شعرك فقط هو هو ... شعرك الجميل الغريب الذى كنت دائما ...

كريستين : (تسحب يدها من يده وتبتعد عنه فى نفور وتقول بانزعاج لا . (يلتفت اليها وقد بدا عليه الألم والاستياء لهذا الرفض من جانبها ، وتستطرد هى بسرعة) اننى آسفة يا أزرا . لم أكن أقصد ــ اننى ــ متوترة الأعصاب

جدا الليلة . (يخطو مانون بضع خطوات الى اليمين ثم يقف وينظر الى الاشجار وكريستين تحدق فى ظهره بكراهية . تتنهد فى قلق وانفعال ثم تميل بظهرها الى الوراء وتغمض عينيها) .

كريستين : اننى متعبة يا ازرا .

مانون : (مندفعا) كان الواجب ألا أضايقك الليلة بحديثى السخيف عن برانت هـذا (يغتصب ابتسامة متوترة) ولكنى فى الحقيقة كنت أشعر بالغيرة (يجاهد ليتحول عنها ثم يرى عينيها المغمضتين ، فيتجه نحـوها فجأة وينحنى فوقها بتثاقل كأنه سيقبلها لكن شعورا غريبا يوحى به وجهها الجامد يمنعه من أن يقبلها) .

كريستين : (تشـعر برغبته فتبتعد بالغريزة دون أن تفتح عينيها) لماذا تنظر الى بهذه الصورة ؟

مانون : (يبتعد عنها شاعرا بالاثم) أى صـورة ؟ (بقلق) كيف تسنى لك أن تعرفى ؟ ان عينيك مغمضتان (ثم يقـول مندفعا بعنف وكأنه يلقى بحمل من الغم كان جاثما على صدره) لم أتعود البيت بعد . انه موحش . لقد تعودت مشاعرى حياة المعسكر بآلاف الرجال حولى فى المساء — وفى ذلك ما يوحى بالحماية والاطمئنان — ربما (وبقلق مفاجىء يعود اليه) لا تغمضى عينيك هكذا . لماذا هذا الجمود ؟ (ثم ينفجر فى اسـترحام وهى تفتح عينيها) يا الهى — اننى أريد أن أتحدث اليك يا كريستين ان لدى بعض الأمور فى أعماقى — أريد أن أوضحها لك — أنت زوجتى — حاولى .. حاولى ياكريستين (يجلس بجانبها) أغمضى عينيك ثانية . اننى أفضل أن أتحدث اليك وأنت مغمضة العينين ، لقد كنت دائما أجد صعوبة فى الحديث عن مشاعرى وكان من العسير على أن أتحدث وأنت تنظرين الى . لقد كانت عيناك دائما مليئتين بالصمت منـذ أن

تزوجنا ، لا بل قبل ذلك ، أيام خطوبتنا . كانتا تتكلمان وتجعلانى أتكلم لأنهما تجيبان .

كريستين : (تقول بتوتر وما زالت عيناها مغلقتين) لا تتكلم يا أزرا .

مانون : (وكأنه صمم ـ ما دام قد بدأ ـ على أن يستمر فى عناد وبلا مبالاة بالمقاطعة) ان رؤيتى للموت طول الوقت فى الحرب هى التى جعلتنى أفكر فى هذه الأمور . كان الموت شيئا عاديا ولا يعنى شيئا وهذا حفزنى للتفكير فى الحياة . عجيب . أليس كذلك ؟ الموت يجعلنى أفكر فى الحياة .. وكانت الحياة من قبل تجعلنى أفكر فى الموت .

كريستين : (بدون أن تفتح عينيها) لماذا تتحدث عن الموت ؟

مانون : كانت هذه طريقة آل مانون فى التفكير دائما . لقد كانوا يذهبون الى منزل الاجتماع الأبيض أيام السبت لكى يتأملوا ويفكروا فيه . انهم يعتبرون الحياة رحلة الى الموت . وأن مولد الانسان هو بداية الطريق للموت وأن الموت هو الميلاد (يهز رأسه فى ارتباك عنيد) كيف يمكن للناس فى الجحيم أن تكون لديهم مثل هذه الأفكار ؟ ان منزل الاجتماع ما زال ماثلا فى ذهنى وقد نظف بالفرشاة فلمع بياضه ـ انه يشبه معبدا للموت . ولكنى فى هذه الحرب الأخيرة رأيت كثيرا من الحيطان البيضاء وقد تناثر عليها الدم وكأنه لا يعنى أكثر من مياه قذرة . ورأيت الجثث والأشلاء متناثرة هنا وهناك ، لا تعدو أن تكون مجرد نفاية فى انتظار التخلص منها . ان هذا جعل منزل الاجتماع وحديثهم الوقور عن الموت يبدو بالنسبة لى غير ذى معنى .

كريستين : تفتح عينيها وتحدق فيه فى رعب غريب) ما علاقة هذا الحديث عن الموت بى ؟ .

مانون : (يتجنب نظرتها ويقول باصرار) أغمضى عينيك مرة أخرى ، أنصتى الى وسوف تعرفين . (تغمض عينيها ويستطرد هو وفى صوته نبرة يأس) لقد كنت أفكر فى

حياتى ــ حين كنت أظل الليل ساهرا ــ وفى حياتك أنت •
وفى وسط الموقعة قد أفكر أننى سأموت بعد لحظة ولكن
حياتى وهى تنتهى تبــدو كأنها لا تستحق التفكير على أى
وجه ••• ولكن أنصتى ••• كونى زوجك وقد قتل يبدو
عجيبا وخطأ ••• كأن شيئا يموت وهو لم يعش قط •••
وكانت تقفز الى مخيلتى السنوات التى قضيناها معا كزوج
وزوجة وأظل أفكر فى هــذه السنوات وأحاول أن أتأملها
ولكننى لا أستطيع أن أميز غير صورة واحدة ••• صــورة
هذا الجدار الذي يفصل بيننا ، ويحجب كلا منا عن الآخر
وطالما حاولت أن أعرف بالتحديد هــــذا الجدار الفاصل
ولكننى لم أستطع قط أن أكتشفه (باشارة رجاء ثقيل)
هل تعرفينه أنت ؟

كريستين : (بتوتر) لا أدرى عم تتحدث •

مانون : ولكنك تعرفين أن ثمة حاجزا يفصــــل بيننا • لا تكذبى
يا كريستين (ينظر الى وجهها الســـاكن وعينيها المقفلتين
متوسلا اليها أن تؤكد له ••• ثم يندفع فى عناد) ربمـــا
كنت تعرفين دائما أنك لم تشعرى نحــوى بعاطفة حب •
اننى حين أذكر الحرب المكسيكية أذكر أيضـــا أنك كنت
حريصة على ذهابى ، وشعرت فى تلك الفترة أنك بدأت
تكرهيننى ، أليس كذلك ؟ (تظل صامتة لا تجيب) وكان
هذا هو السبب الذى جعلنى أذهب الى الحرب • لقد كنت
آمل أن أقتل ، وربمـــــا كنت أيضا تأملين ذلك ، أليس
كذلك ؟

كريستين : (تتلعثم) لا ، لا ، أنا ••• ما الذى يجعلك تقول هذا ؟

مانون : وحينما عــدت من الحرب اتجهت بكل اهتمامك الى طفلك
الجديد أورين ، اننى تقريبــا لم أعد أحيا بالنسبة لك •
هذا هو شعورى وحاولت ألا أكره أورين ، ولهذا اتجهت
نحو فينى ولكن الابنة لا يمكن أن تحل محل الزوجة • ثم
صممت على أن أسير فى طريقى وأتركك وحيدة فى حياتك

ولا أهتم بك . وهذا هو السبب فى أن عمليات الملاحة لم تكن كافية بالنسبة لى فأصبحت قاضيا ، وعمدة وأمثال هذه السخافات ، مما جعل الناس فى المدينة ينظرون الى كانسان قادر ـ ها ! قادر على ماذا ؟ اننى غير قادر على تحقيق ما أريد قبل كل شيء فى حياتى ولا على أن أحبك . لا ، بل قادر فقط على أن أمنع نفسى من التفكير فيما فقدت، (يحدق فيها ثم يسألها برجاء) ذلك أنك كنت تحبيننى قبل أن نتزوج . انك لا تنكرين ذلك . أتنكرين ؟

كريستين : (بيأس) اننى لا أنكر شيئا) .

مانون : (ينهض فى كبرياء صارمة ووقار ... وفى استسلام القائد أمام قوى معاكسة تدعو لليأس) حسنا . اذا لقد عدت لكى أعترف لك بكل ما فى نفسى . انى أحبك وأحببتك طوال السنوات الماضية وما زلت أحبك حتى الآن .

كريستين : (وهى شاردة) أرجوك يا أزرا ..

مانون : أحب أن يقال هذا . ولو نسيته فلن ألومك لأنى أعتقد أنى لم أقله من قبل ولم أظهره قط .. شيء عجيب فى نفسى يجعلنى أبكم فيما أحب أن يقال ، وأخفى ما أحب أن يظهر ... شيء يجعلنى خامدا فى داخل قلبى كتمثال رجل ميت فى ميدان مدينة ... (يصل اليها فجأة ويتناول يدها) اننى أريد أن أكتشف ذلك الجدار الذى أقامه الزواج بيننا وأن تساعدينى على هدمه . ما زالت أمامنا عشرون عاما جميلة . لقد كنت أفكر فيما يمكننا أن نفعله لكى نعود الى ما كنا عليه من ألفة . ان لدى احساسا بأننا اذا ذهبنا فى رحلة ما ، الى الجانب الآخر من العالم فاننا قد نجد جزيرة ننعم فيها بالوحدة بعض الوقت فستجدين أنى تغيرت . لقد سئمت الموت وأريد الحياة . وربما استطعت أن تحبينى . (فى توسل يائس) لقد حاولت أن أجعلك تحبيننى .

كريستين : (تسحب يدها منه وتنهض على قدميها) أرجوك أن تكف عن الكلام وانى لا أدرى عما تتحدث . دعنى منفردة ! ما يجب أن يكون يجب أن يكون . انك تجعلنى أضعف (ثم بغتة) الوقت متأخر .

مانون : (يشعر بجرح عميق لكرامته ، ويعود الى شخصيته العسكرية يخلع ساعته من معصمه بطريقة آلية) صحيح، الساعة الآن الحادية عشرة وست دقائق . لقد حان وقت النوم (يرتقى درجتين من السلم ووجهه نحو الباب ثم يقول بمرارة) تقولين لى أن أكف عن الكلام . انها والله لمهزلة !

كريستين : (تعود الى ثباتها واتزانها . وتمسك ذراعه باغراء) لقد كنت أعنى — ما جدوى الكلام ؟ ليس هناك أى جدار يفصل بيننا . اننى أحبك .

مانون : (يمسكها من كتفيها ويحدق فى وجهها) كريستين . اننى أتخلى عن روحى لأصدق ذلك — ولكنى خائف (يحتويها بين ذراعيه ، ويضغط عليها بشدة وانفعال) كريستين . (يفتح الباب من خلفه وتظهر لافينيا على حافة الشرفة خلفه الى أعلى بخفين تحت قدميها العاريتين وغطاء قاتم فوق قميص النوم . تجفل حين تراهما متعانقين وتتراجع . ينفعلان فى دهشة .)

مانون : (بحيرة وبغضب) لقد ظننت أنك ذهبت الى فراشك يا آنستى الصغيرة .

لافينيا : (مرتبكة) لا أشعر بحاجة للنوم . والليل رائع جدا فظننت أننى أستطيع المشى قليلا .

كريستين : (تمسك بيد مانون وتقوده الى الباب خلفها مارة بلافينيا) اننا ذاهبان الآن الى الفراش ان والدك متعب .

مانون : وأرى أن تذهبى الى فراشك حالا . فليس ثمة وقت للمشى اذا سألتنى .

لافينيا : نعم يا أبى .

مانون : مساء الخير (يغلق الباب وراءهما . لافينيا تقف محدقة النظر أمامها . تسير بجمود أسفل السلم . ثم تقف ثانية . ينبعث الضوء من بين شقوق « المصاريع » فى غرفة النوم فى الطابق الثانى ، فى الناحية اليسرى . ترفع عينيها الى الغرفة) .

لافينيا : (بهلع وكراهية وغيرة) أكرهك ، فأنت تسرقين منى حتى حب أبى مرة أخرى . لقد سرقت كل الحب من نفسى عندما ولدت . (تخفى وجهها بين يديها وتقول بصوت وكأنه نشيج) أوه يا أمى . لماذا فعلت ذلك بى ؟ ما الضرر الذى سببته لك ؟ (باشمئزاز شديد وهى تنظر الى النافذة ثانية) كيف تحب هذه الداعرة العديمة الحياء يا أبى ؟ (ثم بحنق) لا يمكن أن أتحمل ذلك . ان واجبى يحتم على أن أخبره بشأنها . سوف أخبره بكل شيء (تنادى بيأس) أبى .. أبى . (تفتح نافذة غرفة النوم ويطل منها مانون) .

مانون : (بحدة) ما هذا ؟ .. لا تصيحى هكذا .

لافينيا : (ترتبك وتقول فى لكنة) لقد ... لقد تذكرت . نسيت أن أقول مساء الخير يا أبى .

مانون : يا الهى . ماذا – (ثم برقة) أوه مساء الخير يا فينى . اذهبى الآن الى الفراش كالبنات الطيبات .

لافينيا : نعم يا أبى . أسعد الله مساءك (يذهب هو الى غرفته ويسدل الستار على النافذة بينما تظل هى تحدق فى النافذة بافتتان وهى تفرك يديها فى يأس حزين) .

ستار

الفصل الرابع

(المنظر ــ غرفة نوم أزرا مانون . فى الخلف سرير كبير بأربعة أعمدة فى وسط الغرفة ــ الرأس الى الحائط الخلفى والقدم مواجهة • والى يساره قاعدة عليها شمعة وبجانب القاعدة باب يؤدى الى غرفة كريستين • الباب مفتوح . وفى الحائط الأيسر نافذتان ... والى اليسار نضد عليه مصباح وبجانبه مقعد • وفى مقدمة الحائط الأيمن باب يؤدى الى البهو وفى المؤخرة مكتب ملتصق بالحائط • الغرفة مظلمة الا من ضوء القمر الذى ينفذ خلال الستائر المسدلة ولذا لا يمكن تمييز الجزئيات من البداية ــ الوقت حوالى فجر الصباح التالى •

ويمكن فى الظلام تبين هيكل كريستين وهى تنسل خفية وفى بطء من السرير كشبح شاحب ــ تسير على أطراف أصابعها الى المنضدة وتلتقط الروب الفاتح اللون الملقى على المقعد وترتديه • تقف فى انصات الى الصوت الصادر من الفراش • وبعد فترة صمت يأتى صوت مانون فجأة من الفراش ... ضعيفا خاليا من الحياة .. ..)

مانون : كريستين !

كريستين : (تنزعج بشدة ثم بصوت مرهق) نعم •

مانون : أوشك الفجر على الطلوع • أليس كذلك ؟

كريستين : نعم . الضوء الأشهب بدأ فى الظهور .

مانون : ما الذى جعلك تقفزين حين تكلمت ؟ هل صوتى غريب عليك الى هذا الحد ؟

كريستين : لقد ظننتك نائما ٠

مانون : حاولت عبثا أن أنام ٠ كنت راقدا أفكر ٠٠ ماذا يقلقك ؟

كريستين . وأنا أيضا لم أستطع أن أنام ٠

مانون : لقد انسحبت من الفراش بمنتهى الهدوء ٠

كريستين لم أرد أن أوقظك ٠

مانون . : (بمرارة) ألم تحتملى أن ترقدى ملاصقة لى ؟ .

كريستين أردت ألا أقلقك بكثرة تقلبى ٠

مانون : يستحسن أن نضىء النور ونتحدث قليلا ٠

كريستين : (بخوف) لا أريد أن أتكلم ٠ اننى أفضل الظلام ٠

مانون : ولكنى أريد أن أراك ٠ (يتنـــاول الثقاب من القــاعــدة الموضوعة بجانب السرير ويشعل الشمعة الموضوعة فوقه، كريستين تسرع بالجلوس على المقعــد الى جانب المنضــدة وتدفع المقعد بحيث تتجه بوجهها الى الناحية اليسرى أماما وبحيث تلتفت بثلاثة أرباع وجهها الى الناحية الأخرى بعيدا عنه ، يعتدل أزرا رافعا ظهره الى الفراش فى نصف جلسة ويبدو وجهه فى ضوء الشمعة المتأرجح وقد ارتسم عليه تعبير مخيف مرير) انك تحبين الظلام حيث لا ترين وجه زوجك العجوز ، أليس كذلك ؟

كريستين : لا أريد أن تتكلم هكذا يا أزرا ، اذا كنت تنوى أن تقول أشـــياء سخيفة ، فسوف أذهب الى غرفتى ٠ (تقوم من مكانها وما زالت متجهة بوجهها الى الناحية الأخرى) .

مانون : انتظرى (ثم بلهجة توسل) لا تذهبى ، لا أريد أن أظل وحيــدا (تجلس ثانية فى نفس الوضع ويستطرد هـــو بتذلل) لا أقصد أن أقول هذه الأشياء ٠ اننى أشعربنوع من المرارة فى أعماقى ، وأحيانا يظهر هذا الشعور قبل أن أتمكن من السيطرة عليه ٠

كريستين : لقد كنت دائما تشعر بالمرارة ٠

مانون : قبل أن نتزوج ٠ ؟

كريستين : لا أذكر .

مانون : انك لا تريدين أن تذكرى أنك قد أحببتنى يوما ما ·

كريستين : (بتوتر) لا أريد أن أتحدث عن الماضى (تغير موضوع الحديث فجأة) هل سمعت فينى فى بداية المساء وهى تروح وتجىء أمام المنزل كأنها حارس يحرسك ؟ انها لم تذهب الى الفراش حتى الساعة الثانية · لقد سمعت الساعة تدق ·

مانون : هناك على الأقل شخص يحبنى (ثم بعد فترة صمت) اننى أشعر شعورا غريبا يا كريستين ·

كريستين : تقصد .. قلبك ؟ هل تظن أنك سوف تمرض مرة أخرى .

مانون : (بجفاء) كلا (صمت ــ ثم باتهام) أهذا ما كنت تنتظرينه ؟ امن أجل هذا كنت راغبة فى اعطائى نفسك هذه الليلة ·؟ هل كنت تتمنين ·· ؟

كريستين : (تقف منفجرة) أزرا ، كف عن هذا الحديث ··· لا يمكننى احتماله ... (تتحرك كأنما تتجه الى غرفتها) .

مانون : انتظرى اننى آسف لقولى هذا (تجلس كريستين ويستمر هو فى حزن) ان الذى يضايقنى ليس قلبى،انه شىء مقلق يشغل ذهنى ــ كأن شيئا فى أعماقى ينصت ويراقب وينتظر حدوث شىء ما ·

كريستين : حدوث ماذا ؟

مانون : لست أدرى (فترة صمت ثم يستطرد بحزن) هذا المنزل ليس منزلى وهذه ليست غرفتى ولا هذا فراشى · فراغ ينتظر شخصا ما ليشغله وأنت لست زوجتى ، انك تنتظرين شيئا ما ·

كريستين : (تهب واقفة مرة أخرى وقد بدأت تنكسر تحت وطأة الجهد) ماذا يمكن أن أنتظر ·

مانون : الموت ، لكى يمنحك الحرية ·

كريستين : دعنى وحدى · أرجو ألا تضايقنى بهذه الشكوك المجنونة (ثم بصوت ملىء بالغضب والكراهيــة) لست زوجتك ــ

لقد كنت تتصرف معي كأنني زوجتك .. متاع تملكه ، منذ فترة غير بعيدة .

مانون : (باحتقار مر) جسدك ؟ ماذا تعني الأجساد بالنسبة لي ؟ لقد رأيت مئات الأجساد تتعفن في الشمس لكي تجعل العشب أكثر اخضرارا . رماد على رماد ووحل على وحل . هل هذا تصورك الحب ؟ هل تظنين أنني تزوجت جسدا ؟ (ثم بانفعال كأنه لا يستطيع أن يحتفظ بالآلام والمرارة التي تملأ نفسه فتجاوزت حدودها) لقد كنت تكذبين على الليلة شأنك معي دائما . كنت تتصنعين الحب .. وجعلتني آخذك كرقيق أسود اشتريته في المزاد ، وجعلتني أبدو في نظر نفسي كحيوان شهواني كما فعلت دائما منذ ليلة زفافنا . انني أبدو أنظف الآن لو ذهبت الى ماخور داعر ... وأبدوا أمينا بين نفسي والحياة .

كريستين : (في صوت مخنوق) حذار يا أزرا انني لن ..

مانون : (يضحك ضحكة قاسية جافة) لقد كنت أتمنى أن تكون عودتي من الميدان بداية حياة جديدة وبداية حب جديد بيننا . لقد أخبرتك بمشاعري الخفية ، انني أمزق نفسي من أجلك لتفهمي ... يا الهي كم أنا غبي !

كريستين : (بصوت حاد) أتظن أنك تستطيع اضعافي ؟ وهل أنسى ما مضى من حياتي ؟ لا يا أزرا لقد فات الأوان (يتغير صوتها وكأنها ترسم خطة حادث فتقول بتأنيب مقصود) هل تريد الحقيقة ؟ لا بد أنك أدركتها لقد عاشرتني كثيرا وأنجبت منك أطفالا ولكني لم أكن لك قط .. ولم أستطع أن أكون كذلك . ومن المخطيء ؟ كنت أحبك حين تزوجتك وأردت أن أهبك نفسي ولكنك جعلت هذا غير مستطاع فقد ملأت نفسي بالاشمئزاز والنفور .

مانون : (بغيظ) هل تقولين ذلك لي ؟ (ثم يحاول أن يهديء نفسه ــ ويقول متلعثما) كلا ... لا داعي للشجار . يجب ألا أفقد صوابي .. سوف تؤول الى ...

كريستين : (تستفزه فى قسوة مقصودة) ليس ثمة ما يدعوك لأن تستعمل هـــذه اللهجـــة . أنت تريد الحقيقة وها أنت تسمعها الآن .

مانون : (فى فزع ويكاد يتوسل) اهدئى ـ ياكريستين .

كريستين : لقـد كنت أكذب فيما قلت ، لقد كتبت بخصوص كابتن برانت . انه ابن مارى برانتوم ولقد كان يأتى ليرانى أنا لافينى ، وأنا الذى جعلته يأتى ..

مانون : (لا يتمالك نفســه من الغضب) هل جرؤت ؟ أنت ... ابن تلك ال ؟

كريستين : نعم وجميــع رحلاتى الى نيويورك لم تكن لزيارة أبى بل لألتقى بآدم . انه انسان رقيق ولطيف ، ان فيه كل ما ينقصك وفيه كل الصفات التى طالما اشتقت اليها طوال هذه السنوات التى قضيتها معك ـ انه محب . وأنا أحبه الآن ، ها قد عرفت الحقيقة !

مانون : (فى جنون واندفاع يجاهد لكى يترك الفراش) أنت . أنت أينها العاهر سوف أقتلك (وفجأة يسقط على جنبه الأيسر ويتأوه من الألم الشديد) .

كريستين : (بارتياح قاس عنيف) آه (تسرع الى غرفتها من الباب وتعود بعد لحظة وفى يدها علبة صغيرة بدون أن يلاحظ مانون ذهابها وعودتها لأن وجهه فى الجانب الآخر ولأنه مستغرق فى آلامه فضلا عن أنها تتحرك بمنتهى الهدوء).

مانون : (لاهثا) الدواء ... بسرعة .

كريستين : (تبتعد عنـــه ، وتسأله بتوتر بينما تتناول قرصـا من العلبة) أين دواؤك ؟

مانون : فوق القاعدة ... أسرعى .

كريستين : انتظر .. ها قد وجدته (تتظاهر بأنها تأخذ شيئا من فوق القاعدة الموضــوعة الى جانب السرير ـ ثم تناوله القرص وكوبا من الماء) ها هو ! (يعاود أنينه ويفتح فمه تضع

القرص على لسانه وتضغط بكوب الماء على شفتيه) والآن اشرب .

مانون : (يأخذ جرعة من الماء ثم فجأة تبدو على وجهه نظرة مليئة بالرعب يتنفس بشدة) هذا ... هذا ليس دوائى .
(كريستين تنكمش وتتراجع الى المنضدة ، وقد أخفت العلبة وراء ظهرها كأنها تبحث عن مكان تخفيها فيه . تضع العلبة على المنضدة ثم تمد يدها الى الأمام كأنها مدفوعة بالغريزة لأن تثبت له أن ليس معها أى شىء ... عيناه مثبتتان عليها فى تألق واتهام يحاول أن يستنجد ولكن صوته يخذله ويتحول الى همس) النجدة ... فينى ...
(يسقط على السرير فى غيبوبة ويتنفس بصعوبة . كريستين تحدق فيه مأخوذة ، ثم تنزعج حين تسمع صوتا يتناهى من القاعدة فتخطف العلبة من فوق المنضدة فى حركة جنونية وتمسكها خلف ظهرها وتتجه بوجهها نحو الباب وهو يفتح وتظهر لافينيا .. مرتدية كما فى نهاية الفصل الثالث قميص النوم ومتدثرة بغطاء وفى قدميها خفان ، تقف مترددة وخائفة كأنها استيقظت من النوم فجأة لتوها) .

لافينيا : انتابنى حلم مزعج ، وخيل الى أنى سمعت أبى ينادينى — لقد أيقظنى هذا من نومى .

كريستين : (ترتعد فى رعب آثم وتلعثم) لقد انتابته أزمة .

لافينيا : (تسرع الى الفراش) أبى (تحيطه بذراعيها) لقد أغمى عليه .

كريستين : لا ... انه بخير الآن ... دعيه نائما (يستجمع مانون قواه فى تلك اللحظة بآخر مجهود لمحتضر ويعتدل جالسا بين ذراعى لافينيا ، وعيناه تحدقان فى زوجته ، يرفع ذراعه بصعوبة ويشير اليها بأصبعه متهما) .

مانون : (يتنفس بلهفة) انها آثمة — هذا ليس دوائى (يسقط فى استرخاء) .

لافينيا : أبى (تجس نبضه فى رعب ، وتضع أذنها على صدره لتسمع دقات قلبه) .

كريستين : دعيه وحده ... انه نائم .

لافينيا : انه ميت .

كريستين : (تردد بطريقة آلية) ميت ؟ (ثم فى لهجة باردة غريبة) آمل أن يرقد فى سلام .

لافينيا : (تلتفت اليها فى حقد) لا تحاولى أن تتظاهرى . لقد كنت تريدين أن يموت ... نعم ... أنت (تتوقف قليلا وتحملق فى أمها فى شك مروع - ثم تتهمها بعنف) . لماذا كان يشير اليك ؟ لماذا قال انك آثمة ... أجيبينى .

كريستين : (تتلعثم) قلت له : انه كان بينى وبين آدم صلة .

لافينيا : (مذعورة) قلت له ، وأنت تعلمين ما بقلبه ؟ أوه لقد فعلت ذلك عن عمد ... لقد قتلته .

كريستين : لا ... لقد كانت غلطتك أنت - أنت التى جعلته يشك فى . لقد ظل يتحدث عن الحب وعن الموت واضطرنى لان أخبره (يغلظ صوتها ، كما لو كانت تجاهد النوم وعيناها نصف مغلقتين) .

لافينيا : (تمسكها من كتفيها - وتقول بشراسة) اسمعى ... انظرى الى ، لقد قال هذا ليس دوائى .. ماذا يعنى بذلك؟

كريستين : (محتفظة بعلبة السم خلف ظهرها وقد ضغطت عليها بيدها) أنا .. لا أعرف ...

لافينيا : أنت تعرفين ، ما الذى تناوله اذن ؟ أخبرينى .

كريستين : (تبذل المحاولة الاخيرة التى تسمح بها ارادتها لكى تتمالك نفسها من الوقوع وتقول مدعية الاحساس بالاساءة) هل تتهمين أمك بال ...

لافينيا : نعم ... اننى .. ولكن لا ... لا يمكن أن تكونى شريرة الى هذا الحد .

كريستين : (تفقد قواها وتترنح فى ضعف) لا أدرى عم تتحدثين

(تبتعد عن لافينيا وتتجه الى باب غرفتها ويدها الممسكة بالسم خلفها • وتقول بضعف) كاد يغمى على – يجب أن أذهب ••• يجب أن أنام •• انني ••• (تلتفت محاولة الجرى الى غرفتها ••• ثم فجأة تخذلها ركبتاها• فتسقط مغمى عليها بجانب السرير •• حيث تصطدم يدها بأرض الغرفة وترتخى أصابعها وتنزلق العلبة على السجادة •)

لافينيا : (لا تلحظ هذا • تنزعج لانهيار كريستين فتنحنى الى جوارها على ركبتيها بطريقة آلية وتجس نبضها بسرعة • ترتاح لكونه مجرد اغماء فتعود اليها الكراهية ثم تقول فى وعيد وحدة فى الصوت) لقد قتلته بأن أخبرته بعلاقتك بآدم • أظنك تتصورين أنك ستكونين حرة فى أن تتزوجى آدم الآن لا لن تتزوجيه ما دمت حية • سوف أجعلك تدفعين ثمن جريمتك ، سأجد وسيلة لمعاقبتك (تقف على قدميها فتقع عيناها على العلبة الصغيرة على السجادة تلتقطها بسرعة وتتحول نظرة الشك الى يقين فظيع ومروع• تنبعث منها صيحة مرتعدة وهى تتراجع الى ناحية السرير وقد شددت قبضتها على العلبة وتهوى على ركبتيها الى جانب أبيها الميت وتحيطه بذراعيها وتقول فى ضراعة وعذاب) أبى • لا تتركنى وحدى – عد الى يا أبى • قل لى ماذا أفعل •

ستار

القسم الثاني

المطارد

مسرحية ذات خمسة فصول

الأشخـــــــاص

كريستين . أرملة ازرا مانون
لافينا « نيني » : ابنتـــها
أورين : ابنها ملازم أول فى المشاه
قبطان آدم برانت
هيزل نيلز : بيتر : أخوها رائد بالمدفعية
جوسيابوردن: مدير شركة ملاحة
امـــا : زوجتـــه
ايفريت هيلز : دكتور فى اللاهوت من الكنيسة المستقلة
زوجته
دكتور جوزيف
بليـــــك
المغنى

المنـــــــاظر

الفصل الأول : بيت آل مانون من الخارج ـ ليلة مقمرة بعد مقتل مانون بيومين .
الفصل الثانى : غرفة الجلوس فى البيت ـ يتلو الفصل الاول مباشرة .
الفصل الثالث : غرفة مكتب ازرا مانون ـ يتلو الفصل الثانى مباشرة .
الفصل الرابع : مؤخرة السفينة الشراعية السريعة « فلاينج تريدز » ـ على رصيف الميناء ببوستن الشرقية بعد يومين مساء .
الفصل الخامس : كالاول ـ بيت آل مانون من الخارج مساء اليوم التالى .

الفصل الأول

(نفس المنظر فى الفصلين الأول والثالث من « العودة من الميدان » منزل مانون من الخارج . ليلة مقمرة بعد يومين من مقتل أزرا مانون • المنزل به نفس المنظر العجيب الرهيب • الرواق الأبيض يبدو فى ضوء القمر كأنه قناع • النوافذ جميعها مغلقة ، اكليل من الأزهار مثبت على العمود الذى على يمين السلم وآخر على الباب . تتناهى من داخل المنزل أصوات عديدة . يفتح الباب الأمامى ويخرج منه مستر جوسيا بوردون وزوجته ومستر هيلز الكاهن والواعظ الجماعى وزوجته والدكتور جوزيف بليك طبيب أسرة مانون • ترى كريستين فى القاعة والجميع يودعونها ويرددون « مساء الخير مسز مانون » ثم يتجهون الى السلم ويغلق الباب .

هؤلاء الناس مستر بوردن وزوجته ومستر هيلز وزوجته ودكتور بليك ، يشبهون — مع فارق المركز الاجتماعى — آل أيمز فى الفصل الأول من « العودة من الميدان » انهم بمثابة فرقة تمثل طرزا من سكان المدينة أو بمثابة قاعدة خلفية بشرية لمأساة آل مانون .

« جوسيه بوردن » مدير شركة مانون الملاحة ذو شخصية ، واسع الحيلة قدير ، فى حوالى الستين من عمره ضئيل الحجم ذو وجه شاحب وشعر ابيض ولحية بيضاء وصوت أجش كأنه يتكلم من انفه وعينين ضيقتين حادتين . أما زوجته فهى أصغر منه بعشر

سنوات وهى مثال صادق للمرأة الانجليزية الحديثة المنحدرة من أصل انجليزى عريق ، ذات وجه جاف وأسنان بارزة وقدمين كبيرتين ، وسلوكها يميل الى الحدة الدفاعية والاعتداد بالنفس .

أما مستر هيلز فهو نموذج الواعظ الطاعم لمجتمع المدينة الصغيرة الناجح . وهو انسان متزلف حديث النعمة وهو قوى البنية ممتلىء الجسم وهو حريص جدا على واجباته الدينية شديد الاحساس بها . الا أنه خجول جدا ودائما يتحسس طريقه فى الحياة بمنتهى الحذر ، وهو فى حوالى الخمسين من عمره وكذلك زوجته وهى امرأة شاحبة اللون مترهلة ضعيفة الشخصية كزوجة كاهن ، أما الدكتور بليك فهو طبيب أسرة مانون المفضل منذ زمن بعيد وهو انسان ضخم ، لديه احساس عميق بأهميته ، وتعبيرات وجهه تنم عن عناد واصرار وثقة مطلقة بالنفس .

يهبط الجميع درجات السلم . مسز بوردن ومسز هيلز يسيران معا الى اليسار المواجه ، حتى اذا كانتا بجانب المقعد توقفتا قليلا حتى يلحق بهما الرجال الذين توقفوا أمام السلم حتى يشعل كل من بوردن وبليك سيجارتين .

مسز بوردن : (بحدة) لا يمكن أن أطيق هذه المرأة .

مسز هيلز : فعلا هناك شيء شاذ فى تصرفاتها .

مسز بوردن : (مخلصة فى حقد) على أية حال أنا لم أحبها فى أى وقت مضى كما أحببتها اليوم حين رأيتها وهى منهارة حزنا على وفاة زوجها .

مسز هيلز : صحيح أنها تبدو فى منتهى الحزن أليس كذلك ؟ ان الدكتور بليك يقول انها سوف تضطر لأن تلزم الفراش ما لم تأخذ حذرها .

مسز بوردن : أنا لم أشك مطلقا فى أنها تحمل فى قلبها مثل هذا القدر

من العواطف . ان ما كان يدفعنى للشك أحيانا هو أنها لم تكن دائما زوجة عارفة بواجباتهـا ، بقدر ما يعرف الجميع .

مسز هيلز : نعم كان يبدو عليها هذا .

مسز بوردن : وهذا يدل على أن الانسان قد يسيء الحكم على شخص ما دون قصد خصوصا عندما يكون هذا الشخص من أسرة مانون فمن العسـير جـدا أن يفسر سلوكهم . ان الفرق بين لافينيا وأمها عجيب للغاية فكل منهما قد انفعلت بموته بصورة مغايرة تماما . ان لافينيا هادئة وباردة كالثلج .

مسز هيلز : فعلا انها ليست حزينة كما ينبغي لها أن تحزن .

مسز بوردن : هذا هو عين الخطأ انها تشعر بالحزن الكثير مثل أمهـا تماما . كل ما هنالك أن طبيعة آل مانون أصيلة فيها جدا لدرجة أنها لا تسمح لأى انسان أن يدرك ما تشعر به ولكن هل لاحظت النظرات التى فى عينيها ؟ .

مسز هيلز : لقد لاحظت أنها لم توجه أية كلمة لأى انسـان ترى أين اختفت هكذا فجأة ؟

مسز بوردن : ذهبت الى القطار مع بيتر نيلز لكى يستقبلا أورين . لقد سمعت أمها تتحدث اليها فى القاعة وكانت تصر على أن يصحبها بيتر الى القطار . لابد أن لافينيا كانت تنوى الذهاب بمفردها . لقد كانت أمها غاضبة جدا لهذا السبب (تنظر الى الرجال الذين ابتعدوا بضع خطوات عن السلم ثم وقفوا يتحدثون فى صوت خفيض) ترى فيم يثرثر هؤلاء الرجال ؟ (تنادى) جوسيا ، لقد حان الوقت لنعود للبيت .

بوردن : اننى آت حالا يا ايما . (يتجـه الرجال الثلاثة الى السيدتين . بجانب المقعد مستر بوردن يصل حديثه الى أصدقائه) ليس من حقى أن أناقش الترتيبات التى قامت بها ياجو ، ولكن يبدو لى أنه كان المفروض أن

يوضع جثمان أزرا فى قاعة المدينـــة حيث تستطيع المدينة كلها أن تؤدى نحوه مراسيم الاجلال والوداع ، ثم يشيع جثمانه فى جنازة كبيرة وعامة فى الغد .

هيلز : كان أزرا عمدة المدينة وبطلا من أبطال الحرب الأهلية .

بليك : ولكنها تقول : ان هذه هى رغبته التى كثيرا ما عبر عنها .. أن يتم كل شيء فى هدوء وفى أضيق نطاق . ان هذه فعلا هى طبيعة ازرا فلم يكن أبدا يحب الظهور . فقد كان يؤدى العمل الجليل ثم يترك للآخرين عرضه .

هيلز : (بتزلف) كان رجلا عظيما . ان موته لخسارة حقيقية لكل فرد فى هـــذا المجتمع . لقد كان قوة تعمل فى سبيل الخير .

بوردن : فعلا لقد قام بأعمال مجيدة .

هيلز : ويا لها من مأســاة أن يموت فى أول ليلة يعود فيها الى بيتـــه بعد سنوات عديدة قضاها بين أهوال الحرب ومخاطرها دون أن يصيبه أذى .

بوردن : لم أستطع تصديق الخبر . من كان يظن ... انه لأمر غريب حقا . كالقدر .

مسز هيلز : مندفعة بدون لباقة أو ذوق) قد يكون القدر فعلا . هل تذكر يا افريت ؟ لقد كنت دائما تقول : ان آل مانون متكبرون جـــدا ، وان الله سينتقم من كبريائهم الآثم يوما ما .

(ينظر الجميع اليها فى ذهول وغيظ) .

هيلز : (باضطراب) لا أذكر اننى قلت شيئا من هذا القبيل .

بليك : (بغضب) اسمحوا لى .. هـــذا لغو باطل . لقد عرفت ازرا مانون طول حياتى ، والى هؤلاء الذين يهمهم الأمر أقول : انه كان فى منتهى الوضوح والبساطة .

هيلز : (بسرعة) طبعا ـ طبعا ـ يا دكتور . لا شك انزوجتى أساءت فهمى تماما فربما كنت أقصد ـ خاطئا ـ مسز مانون .

بليك : انها هى الأخرى طيبة جدا حين تعرفها عن قرب .

هيلز : (بجفاف) أنا لا أشك فى هذا مطلقا .

بليك : وانه لوقت غير مناسب أبدا ـ حين يبتلى هذا البيت بموت فجائى أن ..

هيلز : انك على حق يا دكتور . كان على زوجتى أن تذكر ..

مسز هيلز : (بارتباك) اننى لم أكن أقصد سوءا يا دكتور .

بليك : (محاولا تلطيف الجو) اذن فلننس هـــذا الحديث (يلتفت الى بوردن ومظهره ينم عن الارتيـــاح والفهم) فيما يتعلق بقولك من كان يتوقع هـــذا الحادث .. حســـنا . انك أنت واما تعرفان أننى كنت أتوقع أن أزرا لن يعيش طويلا .

بوردن : نعـم ، وأذكر أنك قلت : خائف عليـــه لأنه مريض بقلبه .

مسز بوردن : اننى أيضا اتذكر ذلك .

بليك : وثقت من الأعراض التى وصفتها لى مسز مانون نقلا عن أحـد خطـاباته انه مريض بالذبحـة الصدرية . وكنت واثقا من ذلك كأننى فحصته بدقة . والواقع أننى لم أدهش لذلك . اذ كثيرا ما أخبرت أزرا أنه يبذل مجهودا أكبر بكثير من طاقة الانسان العادى ، وانه اذا لم يسترح فسوف يصـــاب بالانهيار . لقد أدركت ما حدث بمجـرد أن أرسلوا فى طلبى . وأكد تصورى هذا ما أخبرتنى به مسز مانون من أنها استيقظت من النوم فوجدته يئن من الألم . لقد أعطته دواءه ـ نفس الدواء ، الذى كنت أصفه بنفسى ـ ولكن هذا حدث متأخرا جدا . أما بخصوص وفاته فى أول ليلة يعود فيها من الحرب فان هذا تعليله بسيط ـ لقد انتهت الحرب . وكان مرهقا جدا من رحلته الطويلة الشاقة الى وطنه . والذبحة الصدرية لا تقيم وزنا لاعتبارات

الزمان والمكان . انها تضرب ضربتها فى أى وقت يحلو لها ذلك .

بوردن : (يهز رأسه) هذا أمر سيىء .. سيىء جدا . ان المدينة لا تستطيع أن تجد انسانا فى مثل مقدرة ازرا فى وقت قصير (الجميع يهزون رؤوسهم ويبدو عليهم الحزن ـ تمر فترة قصيرة) .

مسز بوردن : حسنا لا فائدة من وقوفنا هنا على هذه الحال . يحسن بنا أن نذهب الى البيت يا جوسيا .

مسز هيلز : نعم ، ونحن أيضا يا افريت (يتجهون يسارا الى الخارج ببطء . هيلز يسير مع المرأتين ودكتور بليك يلكز بوردن بكوعه ويشير اليه أن يتباطأ قليلا حتى يختفى الآخرون ثم يهمس له وهو متجهم الوجه) .

بليك : سأقول لك سرا لا يعرفه أحد يا جوسيا سوانا أنت وأنا .

بوردن : (بلهفــــة وقد خمن شيئا من تصرفه) طبعا . ما هو يا چو ؟ .

بليك : اننى لم أسأل مسز مانون أســــئلة تدعو للارتباك ولكنى أشعر شعورا قويا بأن الذى قتل ازرا ليس المرض .. بل الحب .

بوردن : الحب ؟ .

بليك : أجل ... الحب على الأقل هــو الذى جعل الذبحة الصدرية تقتله . اذا فهمت ما أعنى بالتحديد . انها امرأة جميلة ومثيرة وهو كان غائبا منذ مدة بعيدة . ان هذا وضع طبيعى بين رجل وزوجته . ولكن ليس هو العلاج الذى أصفه للذبحة الصدرية . كان المفروض أن يدرك الأمر بصــورة أكثر وعيــا . الا أنه بشر على أية حال .

بوردن : (وعلى شــفتيه ابتســـامة ذات مغزى اننى ألومه أكثر منك ! ـ انها امرأة حسناء ! اننى لا أحب هذه المرأة

ولم أحبهـا فى أى وقت مضى ولكن ــ أيا كان ــ فانى استطيع أن أتخيل طرقا أخرى أسوأ للموت (يضحكان ضحكة مكتومة) حسنا ، فلنلحق بالجماعة (يختفيان من الناحية اليسرى وبعدها مباشرة يفتح باب المنزل وتخرج كريستين وتقف لحظـة على قمة السلم أمام الباب ثم تهبط الى الطريق ــ يبدو بوضوح أنها فى حالة نفسية مضطربة . وتحت وجهها الذى يشبه القناع خطـوط عميقة حـــول فمها • وعيناها تتوهجان ببريق محمـوم • تشـــعر أنهـــا بمنأى عن الأنظار ، فتحاول الانطلاق • فمها يختلج وعيناها تنظران حولهما فى يأس كأنها تريد أن تهرب من شىء معين ، تخرج هيزيل نيلز من المنزل الى قمة السلم وهى ما زالت كما كانت فى « العــودة من الميــدان » • (تشــعر كريستين على الفور بوجودها فتستعيد سيطرتها على نفسها) .

هيزيل : (بفرحة ورقة وحنان) اذن فأنت هنـــا لقد بحثت عنك فى كل مكان ولم أجدك .

كريستين : (بتوتر) لم أستطع البقـــاء فى المنزل . ان أعصـــابى مضطربة جـــدا . لقد كانوا شيئا مرهقا حتما ، هؤلاء الناس الذين أتوا من كل مكان لكى يحملقوا فى الميت وفى أنا أيضا .

هيزيل : أعرف هذا . ولكن لا يوجد شىء من هذا الآن . (ثم بنغمة حماسة تندفع رغما عنها) بعد قليل لابد أن يعود بيتر وفينى اذا لم يتأخر القطار . أوه اننى أتمنى أن يعود أورين .

كريستين : (مذهولة) نفس القطار . لقد تأخر أيضا فى الليلة التى عاد فيها ازرا منذ يومين فقط . انها بالنسبة لى تعنى دهرا . لقد كبرت جدا .

هيزيل : (برقة) حاولى ألا تفكرى فى هذا الموضوع .

كريستين : (بتوتر) تقولين ذلك كما لو كنت لم أحاول . ولكنه يلح على ذهنى بعنف .

هيزيل : أخشى أن يؤدى هذا بك الى المرض .

كريستين : (تسترد قواها وتغتصب ابتسامة) اننى بخير · يجب ألا أبدو عجوزا أو زائغة النظر عندما يأتى أورين · أليس كذلك ؟ لقد كان دائما يحب أن أبدو جميلة .

هيزيل : سوف يكون شيئا رائعا أن نراه مرة أخرى (ثم بسرعة) أنه بلا شك سيكون سلوى لك فى حزنك .

كريستين : نعم (ثم فى شذوذ) لقد كان دائما طفلى المدلل ـ كما تعلمين ـ قبل أن يرحل عنى · (تحدق فى هيزيل فجأة ، كأن فكرة معينة خطرت فى بالها فجأة) انك تحبين أورين أليس كذلك ؟ ·

هيزيل : (ترتبك فى خجل) أنا ـ أنا ...

كريستين : اننى سعيدة بذلك وأريدك أن تحبيه وأتمنى أن يتزوجك (تضع ذراعها حولها وتقول بلهجة مجهدة) سوف نتآمر معا فى سرية تامة ، أنفعل ؟ أنا أساعدك ، وأنت تساعديننى ·

هيزيل : لا أفهم .

كريستين : أنت تعرفين مدى سيطرة فينى على أورين . لقد كانت تغار منك دائما . اننى أنذرك بأنها سوف تفعل كل ما بوسعها لكى تحول دون زواجكما .

هيزيل : (وقد صدمت) مسز مانون . لا يمكننى أن أصدق أن فينى ···

كريستين : (تواصل حديثها) ولهذا السبب يجب أن تساعدينى . يجب ألا تدعى أورين يقع تحت سيطرتها مرة أخرى ، خصوصا فى هذه الحالة العليلة المتوهة من الحزن الذى تعانيه ، ألم تلاحظى كيف أصبحت شاذة ؟ انها لم تنطق بكلمة واحدة منذ وفاة أبيها وحتى حينما أتحدث اليها لا ترد على ومع ذلك فهى تتبعنى فى كل

مكان أذهب اليه . أنها لا تتركنى وحدى لحظة واحدة (تضحك بعصبية) ان هذا يثير أعصابى لدرجة أنى أكاد أصرخ .

هيزيل : مسكينة فينى . لقد كانت مغرمة جدا بأبيها . اننى لا أدهش أبدا لو أنها .

كريستين : (تحدق فيهـــا بنظرة عادية) انك صــافية النفس بطبيعتك يا هيزيل ، أليس كذلك ؟ .

هيزيل : (بارتباك) أنا . لا . . . أبدا .

كريستين : لقد كنت مثلك يوما ما ـ منذ مدة بعيدة ـ قبل (ثم باشتياق مرير) لو اننى بقيت مثلما كنت فى ذلك الحين لماذا لا نحتفظ بفطرتنا وما فيها من براءة وثقة وحب ؟ ولكن الله لا يتركنا وحدنا . ان الأيام تشوه أرواحنا وتعذبها وتجعلها تصطدم بأرواح الآخرين حتى يسمم كل منا الآخر ويودى به الى الموت (تلاحظ نظرات هيزيل فتعود لنفسها بسرعة) لا تهتمى بما قلت . هيـا بنا ندخل الى المنزل . اننى أفضــل أن أنتظر أورين بالداخل فأنا لا أتحمل أن أنتظره هنــا وأن أراه وهو يرتقى السلم . . . مثل . . . انه فى أحيان كثيرة يكون قريب الشبه جدا من والده وأيضا مثل . . . ولكن ما هــذا اللغو الذى أهذى به ! هيا بنـــا ندخل . اننى أكره ضـــوء القمر . انه يجعل كل شيء موحشـــا كأن الأشباح تحوم حوله (تتجه نحـــو المنزل فجأة وتتبعها هيزيل ثم تغلق الباب وتمر فترة قصيرة ، ثم يسمع وقع أقدام وأصوات من الناحيةاليمنى الأمامية البعيدة وبعد لحظة يظهر أورين مانون ومعـــه بيتر ولافينيا وان المرء ليدهش للشبه الأسرى الغريب بينه وبين أزرا مانون وآدم برانت . وقد رأينا مدى الشبه بين ازرا وآدم فى « العودة من الميـدان ، نفس الوجه الذى يوحى للمرء لأول وهلة بأنه يرتدى قناعا وهو مرتاح ـ ونفس الأنف

الأقنى والحواجب الكثيفة والبشرة السمراء والعينين المتألقتين والشعر الأسود الكثيف ، أما فمه وذقنه فهما صورة طبق الأصل من والده الا أن التعبير المرتسم على فمه يعطى انطباعا بالحساسية الزائدة .. الأمر الذى لم يكن موجودا لدى والده ، وذقنه الدقيق صورة مهذبة ملطفة من ذقن أبيه وهو فى نفس طول ازرا وبرانت الا أن جسمه أكثر نحافة وبشرته السمراء تميل الى الاصفرار . وقد ضمد رأسه بضمادة بيضاء ترتفع قليلا فوق جبهته وهو يحمل جسمه فى تراخ واضح أو فى خجل ، مع جموده واستقامة ظهره وكتفيه مما يدل على أن السلوك العسكرى أمر غير طبيعى بالنسبة له وهو يتكلم بطريقة غريبة غامضة . ولكنه حين يبتسم ابتسامة طبيعية ، فان وجهه يتهلل بفرح صبيانى لطيف يجعل النساء يتمنين أن يصبحن أمهات له وهو ذو شارب يشبه الى حد بعيد شارب آدم برانت الأمر الذى يساعد على ابراز الشبه بينهما وتدعيمه وبالرغم من أنه ما زال فى العشرين من عمره فانه يبدو فى حوالى الثلاثين . وهو يرتدى سترة متهدلة لا تناسبه . سترة ... ملازم أو مشاة فى جيش الاتحاد) .

أورين : (ينظر نحو المنزل فى لهفة ثم يقول بيأس ومرارة) أين أمى ؟ . لقد كنت أتوقع أن تكون فى انتظارى . (يقف ويحدق فى المنزل) يا الهى . كم كنت أحلم بالعودة . لقد كنت أظن أن هذه المعارك لن تنتهى وأننا لن نكف عن أن نقتل ونقتل حتى لا يبقى أحد حيا ، أخيرا عدت الى وطنى . كلا . والله .. لابد أننى أحلم مرة أخرى . (ثم بلهجة حزينة) ولكن هل المنزل يبدو غريبا حقا أو أن السبب فى داخلى أنا ؟ لقد فقدت مقدرتى على التفكير مدة طويلة . ان كل شيء يبدو غريبا وشاذا منذ

أن عدت الى وعيى • ترى هل يبدو المنزل دائما موحشا هكذا وعليه كآبة الموت ؟ •

بيتر : ان ضوء القمر هو الذى يوحى بهذا الجو الموحش أيها الغبى •

اورين : انه يبدو مثل القبر أذكر أن أمى كانت دائما تقول : انه يذكرها بالقبر •

لافينيا : (بتوبيخ) لا تنس أنه الآن قبر فعلا ... يا أورين •

أورين : (بسرعة وقد بدا عليه الحرج) آه ـ لقد نسيت • أننى ببساطة لا أستطيع أن أصدق حتى الآن أنه مات • كأنما كنت أتوقع أن يعيش الى الأبد (يبدو فى لهجته نبرة استياء) أو على الأقل نعيش حتى أموت أنا . اننى لم أكن أتصور على الاطلاق أن قلبه ضعيف الى هذا الحد . لقد أخبرنى بأن الحالة التى انتابته لم تكن خطيرة .

لافينيا : (بسرعة) هل أخبرك أبى بذلك حقا ؟ كنت أتمنى أن أسمع هذا (ثم تلتفت الى بيتر)اذهب أنت يا بيتر وأخبرهم أنا قادمان بعدك بدقائق ، أريد أن أتحدث قليلا الى أورين •

بيتر : بكل تأكيد يا فينى (يدخل من الباب الأمامى ويغلق الباب خلفه) .

أورين : اننى سعيد لأنك تخلصت منه . ان بيتر انسان طيب ـ ولكننى أريد أن نتحدث على انفراد • (يضع ذراعه حولها بطريقة أخويه صبيانية) انك بلا شك محط أنظار العيون الحزينة يا فينى • على أية حال كيف حالك أيتها الثرثارة العجوز يبدو لى أمرا طبيعيا أن أناديك باسم الدلع القديم هذا . ألست سعيدة بعودتى ؟ .

لافينيا : (بتأثر ومحبة) طبعا ، سعيدة جدا .

أورين : اننى لم أشعر بذلك أبدا . انك لم تتفوهى بكلمة واحدة منذ أن التقينا • ماذا حدث لك ؟ (يسحب ذراعه حين

يراها تنظر اليه بتأنيب ويقول وقد عيل صبره) لقد قلت لك انني لا أستطيع أن أصدق أنه مات . فيني ... سامحيني . انني أعرف كم هي صدمة عنيفة بالنسبة لك .

لافينيا : أو ليست صدمة عنيفة بالنسبة لك يا أورين ؟ .

أورين : بكل تأكيد . ماذا تظنينني ؟ ولكن ـ أوه ـ لا استطيع أن أشرح لك أنك لن تفهمي ما أعني ما لم تعيشي فترة في ميدان القتال . لقد جمدت عواطفي وروضت نفسي على توقع المـوت ـ موتي أنا أو موت الآخرين ، وألا أرى في ذلك أمرا خطيرا . كذلك كان على أن أحافظ على حياتي . وكان هذا جزءا من واجبي ، كجندي أحارب تحت قيادته . انه هو الذي علمني هذا المعنى ... والآن وقد جاء دوره فان من العسير توقع ... (تقاطعه لافينيا بحدة وهو يتحدث في مرارة متزايدة) .

لافينيا : أورين كيف تكون عديم الشعور الى هذا الحد ؟ .

أورين : (يخجل مرة أخرى) انني لم أقصد ذلك . فمازال عقلي مليئا بالأشباح ، انني لا أستطيع أن أدرك أى شيء الا الحرب . المكان الذى كان أبى يتفجر فيه بالحياة والقوة . لقد كان بالنسبة لي يعني الحرب . الحرب التى لن تنتهي أبدا حتى أموت . انني لا أستطيع أن أفهم السلام ـ لأن السلام يعني نهايته . (ثم بحنق وغيظ) لعن الله الحرب يا فيني . أعطني فرصة لكي أعود لحالتي الطبيعية .

لافينيا : أورين ! .

أورين : (باستياء) اني آسف . أوه انني أعرف ما تفكرين فيـه . لقد تعودت أن أكون رقيقا ومهذبا دائما ، أليس كذلك ؟ ـ والآن تريدين أن أكون بطلا . ولهذا يستحسن أن تتخلى عن رأيك . ان القتل لا يصلح أخلاق الانسان . (يغير الموضوع فجأة) ولكن لماذا

بحقك نتكلم عن نفسى ؟ اسمعى يا فينى ... اننى أريد أن أسألك عن شيء معين قبل أن أرى أمى .

لافينيا : أسرع اذن . فسوف تخرج حالا . ان لدى شيئا أريد أن أقوله لك أنا أيضا ! .

أورين : ما هذا اللغو الذى كتبته عن المدعو كابتن برانت الذى كان يأتى لزيارة أمى ؟ هل تقصدين أن الاشاعات حامت حولها فعلا ؟ (ثم يقول باندفاع وحقد بدون أن ينتظر اجابتها) أقسم بالله أننى سأجعله يندم اذا سولت له نفسه أن يأتى الى هنا مرة أخرى ! .

لافينيا : (بتجهم) اننى سعيدة لأنك تحمل مثل هذه المشاعر ولكن ليس هناك وقت للحديث الآن . كل ما أريده هو أن أحذرك وأن تكون حريصا ـ لا تجعلها تدللك وتعاملك كطفل كما كانت تعاملك من قبل ، ولا تجعلها تسيطر عليك مرة أخرى . لا تصدق الأكاذيب التى ستقولها لك ! انتظر حتى نتحدث معا ! هل تعدنى ؟ .

أورين : (يحدق فيها بدهشة) من تعنين ؟ أمى ؟ (ثم بغضب) عم تتحدثين بحق الله ؟ هل أنت خبيثة ؟ بصراحة يا فينى ان الخصام الدائم بينك وبين أمى أمر جاوز الحد ! ينبغى عليك أن تخجلى من نفسك ! (ثم بارتياب) ما هو الأمر الذى أنت تلغزينه ؟ هل يتعلق ببرانت ؟ .

لافينيا : (تسمع صوتا آتيا من داخل المنزل) ش ! ش ! (يفتح الباب الخارجى للمنزل وتخرج كريستين وقد بدت عليها اللهفة) .

كريستين : (بغضب لبيتر الواقف فى الصالة) لماذا لم تنادنى يا بيتر ؟ كان المفروض ألا تتركه بمفرده ! .. (تناديه كأنها لا تصدق عودته) أورين .

أورين : أمى (تهبط السلم بسرعة وتفتح ذراعيها وتحضنه) .

كريستين : ابنى ! . ابنى ! (تقبله) .

أورين : (ينسى كل ما بنفسه من شكوك) أوه يا أمى ، يا الهى

انني في منتهى السعادة برؤيتك (يدفعها بعيدا عنه قليلا ويحدق فيها) ولكنك تغيرت كثيرا ! ماذا حدث لك ؟ .

كريستين : (تغتصب ابتسامة) أنا ؟ تغيرت ؟ لا أظن هذا يا عزيزى انني بكل تأكيد أتمنى ألا يكون قد حدث ذلك بالنسبة لك أنت ! (تلمس الضمادة التي على رأسه برفق) هل تؤلمك رأسك يا حبيبي ؟ لابد أنك قاسيت الكثير ! (تقبله) ولكن كل شيء قد انتهى الآن ، شكرا لله . لقد عدت لى مرة أخرى ! (ما زالت واضعة يدها حوله يصعدان السلم) هيا بنا ندخل . هناك شخص آخر ينتظرك ويسعده جدا أن يراك .

لافينيا : التي وصلت الى أسفل السلم (وتقول بجفاء) تذكر يا أورين (كريستين تلتفت وتنظر اليها أسفل . الأم والابنة تتبادلان نظرات مفعمة بالكراهية . ينظر أورين الى أمه بارتياب ثم يسحب نفسه بعيدا عنها .)

كريستين : (تستعيد اتزانها على الفور وتقول لأورين ، كأن لافينيا لم تقل شيئا) هيا ادخل يا عزيزى . ان الجو بارد جدا ، ورأسك — (تمسك بيده وتقوده الى داخل المنزل وتغلق الباب خلفها . لافينيا تظهر واقفة مكانها تتابعها بنظراتها . ثم يفتح الباب فجأة مرة أخرى وتخرج كريستين وتغلق الباب وراءها . وتقف في مواجهة لافينيا . تمر بضع لحظات وكل منهما تحدق في الأخرى . ثم تبدأ كريستين الحديث بلهجة تحاول عبثا أن تبدو هادئة ومقنعة) فينى ، يجب أن أتحدث اليك قليلا — بعد أن عاد أورين انني أقدر مشاعرك وأحزانك وأعلم أنها قد أثرت فيك تأثيرا عميقا . وألتمس لك العذر . ولكنى لا أستطيع أن أفهم موقفك منى . لماذا تتبعينني في كل مكان وتحدقين في هكذا ؟ لقد كنت زوجة وفية لأبيك ثلاثة وعشرين عاما — حتى

التقيت بآدم . اننى أعترف بأنى مخطئة فى ذلك ، ولكنى ندمت على ما فعلت ، ووضعته خارج حياتى . وكنت أنوى أن أعود زوجة وفية لوالدك لو أنه عاش ، وأهم من ذلك يا فينى فأنا أمك . أنا التى أتيت بك الى هذا العالم يجب أن يكون لديك بعض الحنان والعاطفة نحوى . (تتوقف قليلا عن الكلام منتظرة أن تتجاوب لافينيا معها . ولكن لافينيا تحدق فيها صامتة جامدة نبرة خوف تزحف الى صوت كريستين) لا تحدقى فى هكذا . فيم تفكرين يا فينى ؟ قطعا لا يمكن أن تكون تلك الفكرة الجنونية المريبة ما زالت مسيطرة عليك .. أننى .. (بلهجة تدل على الاحساس بالاثم) اننى ـ ماذا فعلت فى تلك الليلة بعد أن أغمى على ؟ لقد فقدت شيئا ــ الدواء الذى أتناوله لكى يساعدنى على النوم (ترتسم على شفتى لافينيا ابتسامة غريبة . تستطرد كريستين بانزعاج) أعتقد أنك وجدته وأنك ربطت بينه وبين ... لا شك أنها فكرة جنونية ــ أن تشكى ــ فى الوقت الذى يعلم فيه الدكتور بليك أنه مات من الـ ... (ثم بغضب) اننى أعرف ماذا كنت تنتظرين أن تخبرى أورين بأكاذيبك لكى يبلغ الأمر للشرطة . انك لا تجرؤين على القيام بذلك على مسئوليتك الخاصة ــ ولهذا تريدين أن تجعلى أورين يقوم به . أليس هذا هو ما تفكرين فيه ؟ أليس هذا ما كنت تدبرينه فى اليومين الماضيين ؟ أخبرينى ! (ترى أن لافينيا ما زالت صامتة فتنفجر غاضبة وتهبط السلم بسرعة وتشدها من ذراعها وتهزها بعنف) ردى على حين أتحدث اليك ! ماذا تدبرين ؟ ماذا أنت فاعلة ؟ أخبرينى ! (لافينيا مازالت متماسكة وصامتة وقد ثبتت عينيها على عينى أمها . كريستين تتركها وتبتعد عنها ، لافينيا توليها ظهرها وتسير ببطء ورزانة نحو

الجهــة اليسرى بين المنزل ، وأشـــجار البنفسج .
كريستين تلاحقهــا بنظراتها وقد أوشــكت قواها على الانهيار وهى ترتجف رعبا . يتناهى من داخل المنزل صوت أورين بحدة « أمى » أين أنت ؟ ... كريستين تستجمع ارادتها وتســتعيد سيطرتها على نفسها .
(تصعد السلم بسرعة وتفتح الباب • توجه كلامها لأورين فى صوت طبيعى هادىء) : أنا هنا يا عزيزى .
(تغلق الباب خلفها)

ســــتار

الفصل الثانى

غرفة الاستقبال فى منزل مانون وهى تشبه غرفة المكتب الى حد ما ولكن أكثر اتساعا وهى عبارة عن مدخل مكون من خطوط مستقيمة شديدة حواشيها ثقيلة معقــدة . الحوائط تكسوها طبقة من الجص الرمادى بزخارف بيضــاء متقنة . وهى غرفة مهيبة وقاتمة توحى بجو من الفخامة الجامدة غير المريحة . أما عن الأثاث فهو فاخر للغاية وموضوع بمنتهى النظام والدقة ، الى اليسار فى الصدر مدخل يؤدى الى غرفة الطعام ، والى الخلف من الناحيــة اليسرى منضدة وكرسى وكتب . وفى منتصف الحائط الخلفى مدخل يؤدى الى القاعة الرئيســـية والسلم ، أما على اليمين فتوجد مدفأة من الرخام الأسود وعن جانبيها نافذتان . وعلى الجدران صــور عـــديدة للأســلاف . فعلى يمين المدفأة توجـــد صــورة كاهن متجهم الوجه من عصر « حرق الساحرات » وعلى الحائط المقابل صورة أخرى لجد ازرا مانون وهو يرتدى زى ضابط فى جيش واشنطون . وفوق المدفأة مباشرة صورة والد ازرا ــ آب مانون ، والصورة تمثله وهو فى الستين من عمره . وهو يشبه صورة ازرا الباقية فى الكتب ، الى أبعد حد ، باستثناء الفروق

لرجل يبدو من مظهره أنه كان من أصحاب السفن الناجحين أيام الاستعمار القديمة . والملاحظ أن كل الوجوه فى الصور تبدو وكأنها تضع قناعا .. نفس الظاهرة التى تبدو على وجوه شخصيات المسرحية وفى الصدر وسط الغرفة الى اليسار توجد منضدة وأمامها كرسيان كما يوجد كرسى آخر فى الوسط أماما وأريكة فى الناحية اليمنى فى الصدر ووجهها الى اليسار . بداية هذا الفصل تتبع مباشرة ـ من الناحية الزمنية ـ نهاية الفصل السابق .

(يرفع الستار عن « هيزيل » جالسة على مقعد فى وسط الغرفة وبيتر جالسا على أريكة الى اليمين يتناهى من القاعة صوت أورين ينادى « أمى » ، أين أنت كما كان يناديها فى نهاية الفصل السابق) .

* * *

هيزيل : ترى أين ذهبت ؟ لقد استغرقت فى أحزانها ، ولست أعتقد أنها تدرى ماذا تفعل .

بيتر : أن فينى هى الأخرى قد فقدت وعيها تماما .

هيزيل : وأورين المسكين ! . يا لها من عودة مخيفة بالنسبة له ! . انه يبدو متغيرا ومريضا للغاية . أليس كذلك يا بيتر ؟ .

بيتر : ان الجروح التى فى رأسه ليست مزاحا . ومن حسن حظه أنه استطاع أن يعود من الميدان حيا . (يتوقفان عن الكلام مرتبكين . حين يدخل أورين وكريستين . أورين يسأل أمه بارتياب) .

أورين : لماذا تسللت هكذا ؟ ماذا كنت تفعلين ؟ .

كريستين : (تغتصب ابتسامة فاترة) ان سعادتى برؤيتك يا أورين كانت أكثر مما تحتمل نفسى اننى خائفة يا عزيزى . لقد شعرت فجأة كأننى أوشك أن يغمى على ولهذا خرجت الى الهواء الطلق .

أورين : (يخجل من نفسه على الفور ـ ويقول برقة وقد أحاطها

بذراعه) أماه ... انني آسف جدا ... اجلسى الآن لتستريحى . أو ربمـــا كان من الأفضـــل أن تذهبى لفراشك .

هيزيل : أجل . اجعلها تذهب لفراشها يا أورين . لقد حاولت ذلك عبثا ، ولكنها لم تستجب لى .

كريستين : أأذهب للفراش فى الدقيقة التى يعود فيها ؟ .. من المؤكد أننى سأرفض !.

أورين : (يتضايق ولـكنه يشعر بسرور فى نفس الوقت) . ولكنك يجب ألا تفعلى أى شيء من شأنه أن ...

كريستين : (تربت خده) هـــذا لغو باطل ان مجرد عودتك هو الدواء الذى أحتاج له لكى تعود الى قواى وقدرتى على الاحتمـــال (تلتفت الى هيزيل) انصتى اليـــه يا هيزيل . لقـــد كنت تظنين أننى أنا المريضـــة وليس هـــو .

هيزيل : صحيح ، يجب أن تعنى بنفسك أنت أيضـــا يا أورين .

أورين : أوه ، انسينى الآن ... انني بخير .

كريستين : اننا ــ أنا وهيزيل ــ سنقوم بتمريضك حتى تستعيد صحتك . أليس كذلك يا هيزيل ؟ .

هيزيل : (تبتسم بسعادة) طبعا سنفعل .

كريستين : لا تقف هكذا يا عزيزى . لابد أنك مرهق جدا . انتظر سوف نوفر لك كل أســباب الراحة . احضرى لى وســادة ان سمحت يا هيزيل (هيزيل تحضر وسادة وتساعد فى وضعها خلف ظهره على المقعد أيمن النضد . عينا أورين تتألقان ويصر على أسنانه بطريقة صبيانية . ومن الواضح أنه مرتاح جدا لهذا التدليل) .

أورين : يا لهـــا من متع تلك التى يكفلها لنا البيت يا بيتر . ان من المستحيل وجـــود مثل هذه الراحة فى ميدان القتال . أليس كذلك ؟ .

بيتر : مستحيل بالطبع كما لحظت أنت .

أورين : (يغمز بعينيـــه لهيزيل) ان بيتر سـيغار منى • اننى أقترح أن تنادى فينى لكى تضع وسادة خلفه •

هيزيل : (تبتسم) لا أعتقد أن فينى يمكن أن تكون لطيفة الى هذا الحد .

أورين : (وفى صوته نوع من الغيرة والاستياء) انها يمكن أن تكون لطيفة عند الحاجة . انها دائما تدلل أبى ، وهو يحب ذلك بالرغم من أنه يتظاهر .

كريستين : (تقشعر وتلتفت الى الناحيـــة الأخرى) أورين ! انك تتكلم عنـــه كما لو أنه ما يزال حيا . (يسود المكان صمت مقلق . تتراجع هيزيل فى هدوء وتجلس على كرسى فى وسط الغرفة . كريستين تجلس على الكرسى المقابل لأورين بعد أن تدور حول النضد لتصل اليه)

أورين : (بابتسامة مشمئزة) لقد نسينا جميعا أنه مات . أليس كذلك ؟ حسنا اننى لا أستطيع أن أصدق ذلك بعد . اننى أشعر أنه ما زال موجودا فى هذا المنزل . . . مازال حيا .

كريستين : أورين ! •

أورين : (بطريقة غريبة) لقـــد تغير كل شى بصـــورة شاذة •• البيت وفينى وأنت وأنا وكل شيء ما عــدا أبى . انه ما زال كما هو وسيظل كذلك دائما ، . . . لا يطرأ عليه أى تغيير ، ألا تشعرين بذلك يا أمى ؟ (ترتجف كريستين وتنظر أمامها ولكنها لا تجيب) .

هيزيل : (برقة) يجب ألا تجعل أمك تفـكر فى هــذا الموضوع يا أورين •

أورين : (يحدق فيها ثم يقول بلهجة شكر غريبة) انك ما زلت كما كنت دائما يا هيزيل ــ طيبة وحلوة . (يتجه الى أمه ويقول بلهجة اتهام) ان هيزيل على الأقل لم تتغير ، شكرا لله ! .

كريستين : (تنشـــط ثم تغتصب ابتسامة وتقول) ان هيزيل لن

تتغير أبدا ، اتمنى هذا اننى سعيدة لأنك تتذرها (هيزيل ترتبك . تستطرد كريستين فى رعاية الأمومة) ألم تكن المرحلة الطويلة فى القطار مرهقة بالنسبة لك يا أورين ؟ .

أورين : حسنا انها على أية حال لم تكن رحلة ممتعة . لقد أصيب رأسى بصداع حتى خيل الى أنه سينفجر .

كريستين : (تميل ناحيته وتضع يدها على جبهته) يا بنى الحبيب ! هل تؤلمك الآن ؟ .

أورين : ألما عاديا . ولكن حينما تضعين يدك عليه لا يؤلمنى على الاطلاق . (يقبل يدها بحرارة وبطريقة صبيانية) اننى سعيد جدا بعودتى اليك . (ثم يحدق فيها مرة أخرى بارتياب) دعينى أنظر اليك مليا . لقد تغيرت كثيرا . فقد لحظت ذلك بمجرد أن رأيتك فى الحديقة . ما تعليل ذلك ؟ .

كريستين : (تتجنب عينيه ـ وتغتصب ابتسامة) التعليل ببساطة هو اننى أتقدم فى السن ، اننى خائفة يا عزيزى .

أورين : كلا . انك الآن أجمل منك فى أى وقت مضى . وأكثر شبابا أيضا الى حد كبير . ولكن يبدو أن هذا ليس هو السبب (يكاد يدفع يدها بعيدا عنه ويقول بمرارة) قد أستطيع أن أخمن السبب الحقيقى ! .

كريستين : (تغتصب ضحكة) أجمل وأكثر شبابا . هل سمعته يا هيزيل ؟ وعلى أن أقول انه تعلم الكياسة وفنون المجاملة . (تظهر لافينيا فى مدخل الباب . تظل واقفة فى المدخل وقد ركزت عينيها على أمها وأورين) .

أورين : (ينظر الى هيزيل مرة أخرى ، ويقول بجفاء واندفاع) هل تذكرين يا هيزيل كيف كنت تلوحين لى بمنديلك يوم أن سافرت لكى أصبح بطلا ؟ لقد خيل الى أن معصمك سيلتوى من كثرة التلويح، وكانت كل الأمهات والزوجات والشقيقات والبنات يفعلن نفس الشىء . يجب أن

يجعلوا النساء يذهبن الى الحرب بدلا من الرجال لمدة شهر أو شهرين لكى يذقن طعم القتل !

كريستين : أورين ! .

أورين : لكى يهشمن رءوس الآخرين بالبنادق ويبقرن أحشاء الآخرين بالحراب . وبعدها ربما يمتنعن عن التلويح بالمناديل للأبطال (تبدو على هيزيل دهشة الصدمة) .

كريستين : أرجوك ! .

بيتر : (بخشونة) لقد انتهت يا أورين فلنسترح من ذكراها ويجب أن تعطى نفسك الفرصة لكى تنسى هذا الموضوع ولا يوجد بيننا أحد يريد أن يستعيد ذكراها مرة أخرى أكثر مما أردت أنت .

أورين : (يخجل من نفسه على الفور) هذا صحيح يا بيتر كم أنا أحمق كثير الشكاية اننى آسف يا هيزيل — لقد كان هذا من فساد الذوق .

هيزيل : لا يا أورين . اننى أدرك حقيقة مشاعرك . أدركها فعلا . .

أورين : اننى . . . اننى أحيانا أنطلق فى الوقت الذى يجب أن أسكت فيه . (ثم فجأة) هل ما زلت تغنين يا هزيل ؟ لقد تعودت — أن أسمعك تغنين فى الحديقة . وكان هذا يشعرنى بأن الحياة ستظل مشرقة فى مكان ما . . كذلك غناؤك وأحلام أمى وذكرى فينى وهى تلقى الى الأوامر كأنى جندى تحت التدريب . لقد تعودت أن أسمعك تغنين فى أعجب الأوقات وكان صوتك حلوا وصافيا وواضحا بحيث كان يعلو على صرخات الصرعى .

كريستين : (بتوتر) أتمنى أن تكف عن الحديث عن الموت .

لافينيا : (من مدخل الباب . تقول بلهجة آمرة جافة كلهجة أبيها) أورين تعال لترى أبى .

أورين : (ينهض فجأة من مقعده ويؤدى التحية بطريقة اتوماتيكية ويقول) أجل يا سيدى ! (ثم باضطراب)

ماذا بالله ـ ؟ ان صـوتك مثـل صـوته تمـاما . لا تفعلى ذلك مرة أخرى . بحق السماء ! (يحاول أن يغتصب ضحكة ، ثم يقول خجلا) لقد كنت أنوى أن يكون أول شيء أفعله هـو أن أذهب لرؤيته ـ ولكنى شغلت فى الحديث ـ سوف أذهب حالا .

كريستين : (بصوت متوتر ومغتصب) لا ! انتظر ! (ثم تقول لافينيا بغضب) ألا يمكنك أن تدعى أخاك يستريح لحظة ؟ انه ـ كما ترين ـ منهك للغـاية (ثم لأورين) اننى حتى الآن لم تتح لى فرصة لكى نتبادل بضع كلمات بعد غيابك هذه المدة الطويلة ! ابق معى قليلا ، هل تسمح ؟ .

أورين : (يتأثر بكلامها . . .) طبعا يا أمى ، انك عندى أهم من أى شيء آخر ! .

لافينيـا : (تهم بأن توجه اليه اجابة مرة ـ تنظر الى بيتر وهيزيل ثم تقول باتزان) حسن جـدا فقط تذكر ما قلته لك يا أورين . (تستدير وتتجه نحو البهو) .

كريستين : (بانزعاج) فينى ، الى أين أنت ذاهبة ؟ .

لافينيـا : (لا ترد عليها وانما تقول لأخيها) انك ستحضر بعد قليل أليس كذلك ؟ (تختفى فى البهو . أورين ينظر الى أمه نظرة جانبية مليئة بالقلق والارتباك . كريستين تحاول فى يأس أن تبدو هادئة . بيتر وهيزيل يقفان ، وقد بدا عليهما التلق) .

هيزيل : بيتر ، يجب أن نعود للبيت الآن .

بيتر : أجل .

كريستين : لقد كان كرما منكما أن تحضرا اليوم .

هيزيل : (تمد يدها الى أورين) يجب أن تستريح الآن بقـدر ما يمكنك يا أورين . وحاول ألا تفكر فى أى شيء من شأنه أن يقلقك .

أورين : انك فى منتهى اللطف يا هيزيل . يسعدنى جدا أن أراك مرة أخرى ـ وفى كل وقت .

هيزيل : (تغتبط ولكنها تسحب يدها فى خجل) أنا أيضا فى منتهى السعادة . مساء الخير يا أورين .

بيتر : (يصافحه) مساء الخير . استرح ولا تشغل بالك بأى شيء .

أورين : مساء الخير يا بيتر وأشكرك جدا لاستقبالى .

كريستين : (تذهب معهما الى الردهة) اننى آسفة جدا لأن البيت كئيب فى هذه الأيام بالذات ـ ولكن أرجو أن تأتينا مرة أخرى ـ قريبا جدا . ان بامكانك يا هيزيل أن تساعدى أورين أكثر من أى انسان آخر (تبدو نظرة الشك فى عينى أورين مرة أخرى يجلس على مقعد الى يسار المائدة وينظر أمامه فى مرارة . كريستين تعود من الردهة وتغلق الأبواب وراءها فى صمت . تقف لحظة وتنظر الى أورين وتهيىء نفسها لمحنة المقابلة القادمة ، وقد امتلأت عيناها برعب متوتر) .

أورين : (بدون أن ينظر اليها) ما الذى جعلك تستلطفين هيزيل هكذا فجأة ؟ انك لم تتعودى أن تفكرى فيها كثيرا ، ولم تكونى تقبلى أن أخرج معها .

كريستين : (تتجه نحوه وتستند على المائدة القريبة منه وتقول فى لهجة فيها رقة وأمومة) .. لقد كنت أنانية فى ذلك الحين ، بل وأعترف اننى كنت غيرى أيضا . ولكنى الآن يا عزيزى لا أريد شيئا سوى سعادتك . اننى أعرف كم كنت تحب هيزيل .

أورين : (يبوح بالسر) لقد كان هدفى الوحيد من ذلك هو أن أجعلك تغارين ! (ثم بمرارة) ولكن الآن ، وقد أصبحت أرملة ، تحاولين أن تزوجينى ، ولم تمض ساعة على عودتى من الميدان لابد أنك متلهفة جدا على التخلص منى مرة أخرى . ما السبب ؟

كريستين : يجب ألا تقول ذلك . لو انك علمت مدى الوحدة التى كنت أعانيها فى غيابك .

أورين : الوحـدة ؟ بدليل أنك كتبت لى خطابين فقط فى مدى الشهور الستة الأخيرة .

كريستين : كلا ، لقد كتبت لك خطابات كثيرة . لا بد أنها فقدت .

أورين : لقد تلقيت كل خطابات هيزيل ـ وخطابات فينى . انه لمن المضحك أن تفقد خطاباتك أنت بالذات دون الخطابات جميعا (لا يستطيع أن يمنع نفسه من الانطلاق فيستطرد قائلا) من هو ذلك الكابتن برانت الذى كان يتردد عليك دائما ؟ .

كريستين : (تبدو كأنهـا متوقعة هذا السؤال ، ولذلك واجهته بدهشـة مصطنعة) يتردد على أنا ؟ تقصد على فينى ، أليس كذلك ؟ (ثم حين يبدو على أورين الذهول) من أين أتيت بتلك الفكرة السخيفة ؟ أوه بالطبع ، لقد عرفت ! لابد أن فينى كتبت لك هذا الكلام الفارغ كما كتبته لأبيك من قبل .

أورين : هل كتبت له ذلك ؟ وماذا فعل ؟ .

كريستين : سخر منها بطبيعـة الحال . لقد كان أبوك مغرما جدا بفينى ، ولكنه كان يعرف مدى الغيرة التى تشعر بها نحوى ، وكان يدرك أنها يمكن أن تختلق أية كذبة لكى .

أورين : أوه . لا يا أمى ! لا أعتقـد أن فينى تفعل ذلك عن عمد لمجرد أنكما متخاصمان دائما .

كريستين : أوه ، ألا تصدق برغم هـذا ؟ انى واثقـة انك بعد مدة قصيرة ستكتشف بنفسك أنه لا يوجد لأختك حد تقف عنده ، بل انها قد تتمنى حتى أشد الأمور سفالة وفظاعة .

أورين : أمى ! انى أحدثك الآن باخلاص ! لا ينبغى أن تقولى هذا !

كريستين : (تقبل عليه وتمسك يده) اننى أعنى ما أقول يا أورين . اننى لم أكن لأقول ذلك لسواك ، أنت تعرف . ولكننا دائما كنا فى منتهى الألفة . اننى أشعر أنك فعلا من لحمى ودمى . أما هى فلا أشعر نحوها هذا الشعور . انها ابنة أبيك . أما أنت فابنى أنا . جزء منى

أورين : (فى اهتمام غريب) حتما . اننى أيضا أشعر بذلك يا أماه !

كريستين : اننى واثقة من أنك تفهمنى الآن كما كنت تفهمنى دائما (بابتسامة رقيقة) لقد كان لنا فى سالف الأيام عالم صغير ، خاص بنا وحدنا أليس كذلك ؟ — عالم لا يعلم أحد سوانا عنه شيئا .

أورين : (بسعادة) أذكره بلا شك يا أمى وكانت كلمة السر هى « ممنوع دخول المانون » أتذكرين ؟ .

كريستين : وهذا ما لم يغفره لنا أبوك وفينى ولكننا سنبنى عالمنا هذا من جديد أليس كذلك ؟ .

أورين : بلى ! .

كريستين : اننى أريد أن أعوضك عن كل ما قاسيته من ظلم واجحاف على يدى أبيك . وقد يكون من العسير أن أتكلم بهذه الصورة عن رجل ميت ولكنه فى الحقيقة كان يغار منك وكان يكرهك لأنى أحبك أكثر من أى شىء فى العالم ! .

أورين : (يضغط عليها بكلتا يديه ويقول بشدة) صحيح يا أمى ؟ هل حقا تحبيننى أكثر من أى شىء فى العالم ؟ (ثم يتذكر ما قالته عن والده فيقول باستياء) لقد كنت أعلم أنه يحمل نحوى مشاعر من هذا النوع ، ولكنى لم أكن أتصور أن يصل الأمر الى حد أن يكرهنى .

كريستين : صدقنى ، لقد وصل الى حد الكراهية ! .

أورين : (بمرارة واستياء) حسنا ، اذن سوف أخبرك بالحقيقة يا أمى . ليس ثمة ما يدعو لأن أتظاهر بالحزن على وفاته .

كريستين : (تخفض من صوتها لدرجة الهمس) نعم ، أنا أيضا سعيدة ! — لأنه تركنا وحدنا — أوه ، انك لا تتصور مدى السعادة التى سننعم بها معا ، أنت وأنا — فقط — اذا لم تسمح لفينى بأن تنفث سمومها فى عقلك وأن تثيرك ضدى بأكاذيبها المنفرة ! .

أورين : (يعاوده القلق من جـــديد) أية أكاذيب ؟ (يخلى يده من يدها ويحدق فيها بارتياب عليل) انك لم تخبرينى بعد من هو برانت هذا .

كريستين : ليس هناك ما أخبرك به ــ أللهم الا ما فى ذهن فينى الحاقد المريض . لقد قلت لك يا أورين : انك لا يمكن أن تدرك مدى التغير الذى طرأ عليها فى فترة غيابك . لقد كانت دائما فتاة متقلبـــة وغريبة ، أنت تعرف ذلك ، ولكنها منذ أن سافرت أصبحت مهمومة وكثيرة التأمل والتفكير حتى لقد اعتقدت فعلا أنها فقدت قواها العقلية . كان همها الوحيد هو افتراء الأكاذيب الفظيعة على كل فرد . واذا قلت لك بعض ما تدعيه فمن المستحيل أن تصدقه والآن بعد الصدمة العنيفة التى تعرضت لها بموت أبيك فأنى مقتنعة تماما بأنهـا أصيبت بالجنون . ألم تلحظ الطريقة الشـــاذة التى تتصرف بها ؟ لابد أنك لحظت ذلك ! .

أورين : لقــد لحظت أنهــا تغيرت جدا . أنهــا تبدو غريبة . ولكن . . .

كريستين : وكل ما تعانيه من جنون يتركز فى كراهيتها لى خذ مثلا حكاية الكابتن برانت .

أورين : آه ! .

كريستين : قبطان سفينة أحمق . حدث أن التقيت به عند جدك ، وبدون أن يدعوه أحــد سمح لنفسه ــ بحماقته ــ أن يتردد لزيارتنا عدة مرات . وأعتقـــدت فينى أنه جاء ليخطبها . وأنا بصراحة يا أورين أعتقد أنها وقعت فى حبه . ولكنها سرعان ما اكتشفت أنه لم يكن يهتم بهـــا على الاطلاق .

أورين : بمن اذن كان يهتم ــ بك أنت ؟ .

كريستين : (بحدة) أورين ، سوف أغضب منك اذا لم يكن ما تقول بقصد المزاح (تغتصب ضحكة) يبدو أنك لا تدرك اننى امرأة كبيرة ومتزوجة ولى ولدان فى سن الشـــباب ! لا ،

ان كل ما كان يهتم به هو أن يفرض نفسه كصديق للأسرة ، ثم يستغل والدك بعد عودته لكى يعينه فى سفينة أحسن ، لقد فهمت على الفور هدفه الحقير وهو لن يأتى الى هنا بعد ذلك أبدا ، اننى أعدك بذلك ! . (تضحك ـ ثم بطريقة تدعو للغيظ) وهذه هى فضيحة الكابتن برانت الكبيرة من بدايتها حتى النهاية . هل ارتاح ضميرك الآن أيها الساذج الغيور ؟ .

أورين : (بسعادة وندم) اننى لأحمق ! لقد جعلت الحرب منى انسانا أحمق على ما يبدو . ولو كنت تعرفين الجحيم الذى كنت أعيش فيه ! .

كريستين : ان فينى هى السبب فى ذهابك للحرب ، ولولا ذلك لما ذهبت اننى لن أغفر لها هذا الخطأ أبدا ، لقد حطمت قلبى يا أورين ! (ثم بسرعة) ولكنى كنت أنوى أن أعطيك مثالا على شكوكها المجنونة من حادثة الكابتن برانت بالذات . هل تصدق أنها فسرت المسألة على هذا النحو ؟ أليس هذا جنونا ؟ ثم هل تتصور لو أنه كان ابنها فعلا أن يأتى هنا لزيارتنا ؟ .

أورين : (وقد جمد وجهه) يا الهى ، اننى أريد أن أراه . لقد جلبت أمه العار لأسرتنا بدون . . .

كريستين : (تنزعج وتبتعد عنه) أورين دع هذا المظهر . . انك تشبه والدك تماما ! (ثم بسرعة) ولكنى لم أخبرك بعد بما هو أسوأ . ان فينى تتهمنى فعلا ـ أنا أمك ـ بأنى أحب ذلك الأحمق وبأنى كنت التقى به فى نيويورك وأذهب معه الى غرفته الخاصة . اننى بهذا المعنى لا أعدو أن أكون مجرد بغى فى نظر اختك .

أورين : (يصعق) اننى لا أصدق هذا ، مستحيل أن تقول فينى مثل هذا الكلام .

كريستين : لقد قلت لك : انها أصيبت بخبل وأكثر من هذا فقد تبعتنى ، حينما ذهبت لزيارة جدك المريض ، وذلك

لكى تتجسس على . لقـد رأتنى أقابل رجـلا معينا ـ لكن عقلها المخبول صور لها على الفور ان هذا الرجل هـو آدم برانت أوه ، منتهى التمرد يا أورين ! انك لا تعرف ما أبذله من أعصـابى لكى أتحمل فينى ، والا لرثيت لحالى ! .

أورين : يا الهى . وهل أخبرت أبى بذلك ؟ ان من الطبيعى جدا بعد هذا أن يموت ، (ثم بجفاء) من كان ذلك الرجل الذى قابلته فى نيويورك ؟ .

كريستين : انه المستر لامار ، صديق جدك العجوز الذى يعرفنى منذ أن كنت طفلة . لقد حدث أن قابلته بطريق الصدفة وطلب الى أن أذهب معه لزيارة ابنته (ثم ترى التردد والتذبذب يبدو على وجه أورين فتقول برقة) أورين انك تدعى انك تحبنى ! ومع هذا فانك تسألنى بطريقة غريبة كما لو كنت تشك فى ، أنت أيضا ! وليس لك عذر فينى . فلم تفقد عقلك بعد (تبكى بصورة هستيرية)

أورين : (يتغلب عليـه الحب وتأنيب الضمير) كلا أقسم لك (يركع على قدميه بجانبها ويحيطها بذراعه) أمى أرجوك لا تبكى اننى أحبك .. أحبك .

كريستين : اننى لم أخبرك بعد بما هو أفظع من هذا كله ، ان فينى تتهمنى بأنى سممت والدك ! .

أورين : (بذعر) ماذا ، لا يا الهى ، مستحيل لو أن هذا صحيح حقا ، لكان من الضرورى أن توضع فى مستشفى للأمراض العقلية ! .

كريستين : لقد وجـدت زجاجة بها بعض الأقراص التى أتناولها لتساعدنى على النوم ، ولكن ـ عقلهـا المخبول جعلها تظن ـ (ثم تتشبث به فى رعب حقيقى) أوه يا أورين اننى خائفة جدا منها . الله وحده يعلم ماذا يمكن أن تفعل وهى فى هذه الحالة . ان من المحتمل جدا أن تذهب للشرطة ـ لا تدعها تجعلك تنقلب ضـدى يا أورين .

تذكر أنك أنت الانسان الوحيد الذى أعتمد عليه ليحمينى ليس لى فى الدنيا أحد سواك يا حبيبى ! .

أورين : (يحاول تهدئتها برقة) أنقلب ضدك ؟ لا يمكن أن يصل بها الجنون الى حد أن تحاول ذلك ! ولكن اسمعى ، اننى بصراحة أعتقـــد انك عصـبية بعض الشيء . ان كل ما يتعلق ـ بموضوع أبى كلام فارغ . أما بخصوص ذهاب فينى للشرطة ـ فهل تعتقـــدين اننى لن أمنع ذلك ـ هناك مائة سبب ـ من أجل الأسرة ، ومن أجلى أنا من أجـــل فينى ، ومن أجلك أنت أيضـــا ، حتى لو عرفت .

كريستين : (تحدق فيـــه وتقـــول فى همس) عرفت ؟ أورين ، ألا تصدق ؟ .

أورين : كلا . أقسم لك كل ، ما أعنيه هـو أنه مهما فعلت ، فان هذا لا أهمية له ، اننى أحبك أكثر من أى شيء فى العالم .

كريستين : (بفرح وشكر مفاجئين ـ تضمه الى صدرها وتقبله) أوه ، أورين ، انك ابنى .. طفلى ! اننى أحبك ! .

أورين : أمى ! (ثم يمسكها من كتفيها ويحدق فى عينيها ويقول باصرار قاتم) اننى مســتعد أن أغفر أى شيء ـ أى شيء يتعلق بأمى ـ ما عدا مسألة برانت ! .

كريستين : أقسم لك ! .

أورين : لو اننى أرى ذلك الملعون ـ (بحقد ورغبة فى الانتقام) ـ يا الهى ، لأثبت لك اننى لم أتعلم القتل عبثا .

كريستين : (يسيطر عليهـــا الرعب من جديد ـ خوفا على حياة برانت وتقول بحيرة) أستحلفك بالله ، لا تتكلم بهذه الطريقة انك حينئذ تختلف عن أورين الذى أعرفه ـ أورين ابنى ، انك قاس ومخيف . انك تخيفنى ! .

أورين : (يندم على الفور ويقول محاولا تهدئتها وارضاءها) اهدئى يا أمى ! لن نفكر فى ذلك أبدا مرة أخرى ! سوف نتكلم فى موضوع آخر . أريد أن أخبرك بشيء معين .

(يجلس على الأرض بجانبها ، ويرفع بصره اليها ـ تسود فترة قصيرة ، ثم يسألها برقة وقد أمسك بيدها) . هل كنت تريدين حقا أن أعود يا أمى ؟ .

كريستين : (وقد هدأت بعض الشيء ، ولكن ما زالت عيناها مليئتين بالرعب وصوتها يرتعش) يا له من سؤال سخيف يا عزيزى .

أورين : ولكن خطاباتك كانت تبدو باردة جدا وخالية من أية عاطفة . ولهذا كدت أصاب بالجنون . ولقد خطر ببالى أن أهرب من الحرب وأعود للبيت بسرعة أو أعرض نفسى للقتل . لو أنك عرفت كم كنت مشتاقا لان أكون هنا معك ـ كما أنا الآن ! (يستند برأسه على ركبتيها . (ويصبح صوته حالما وخفيضا وملاطفا) لقد اعتدت أن أراك فى أحلامى فى صورة رائعة . هل حدث أن قرأت كتابا اسمه « تايبى » ـ يتعلق موضوعه بجزر البحر الجنوبى ؟ .

كريستين : (تنزعج وتقول بطريقة غريبة) جزر . حيث السلام والأمان ؟ .

أورين : اذن فقد قرأت هذا الكتاب ؟ .

كريستين : لا .

أورين : لقد أعطانى أحد أصدقائى كتابا ، فقرأته وأعدت قراءته عدة مرات حتى أصبحت هذه الجزر فى آخر الأمر تعنى بالنسبة لى كل شيء ، ما عدا الحرب ، كل شيء يحمل معنى السلام والدفء والأمان . لقد اعتدت أن أحلم أننى أعيش هناك . وفيما بعد أصبحت أشعر كأننى أعيش هناك فعلا . لم يكن هناك أحد سوانا ـ أنت وأنا . ومع هذا فلم أكن أراك . هذا هو الجانب المضحك فى المسألة . كنت فقط أشعر بوجودك يملأ المكان حولى . كنت أسمع صوتك فى هبوب الرياح . وكان للسماء لون

عينيك . وكان الرمل الدافىء يذكرنى ببشرتك . كانت الجزيرة كلها هى أنت . (تبتسم برقة حالمة) لقد كانت أوهاما غريبة ، أليس كذلك ؟ ولكن ليس ثمة ما يدعو لغضبك لأنى أشبهك بجزيرة ــ انها أجمل جزيرة فى العالم . جميلة مثلك يا أمى ! .

كريستين : (وكانت تحدق فيه وتنصت اليه مبهورة . تهزها هذه الصورة بعمق وحين يتوقف عن الكلام تشعر برقة مؤلمة نحوه فتقول باشتياق معذب) أوه ليتك لم تسافر قط يا أورين ، لو أنهم لم يأخذوك منى بعيدا !.

أورين : (بقلق) ولكنى عدت . ان كل شيء على ما يرام الآن . أليس كذلك ؟ .

كريستين : (بسرعة) بلى . لم أكن أقصد ذلك . كان لابد أن يكون كل شيء على ما يرام .

أورين : ولن أتركك مرة أخرى أبدا . اننى لا أريد هيزيل ولا أية فتاة أخرى (ثم برقة) انك فتاتى الوحيدة ! .

كريستين : (تبتسم وتقول برقة وهى تربت شعره) أنت الآن رجل كبير ، أليس كذلك ؟ اننى لا أستطيع أن أصدق . ما زلت أتصورك وأنت تختفى فى المساء فى القاعة العليا وأنت برداء النوم وتنتظرنى فربما أحضر وتأخذ قبلة أخرى . اننى أتذكر ذلك كأنه حدث بالأمس فقط هل تذكره أنت أيضا يا أورين ؟ .

أورين : (بطريقة صبيانية) طبعا أذكره ، وأذكر الزوبعة التى أثيرت حينما أمسكنى أبى ! هل تذكرين أنت كيف اعتدت أن تجعلينى أمشط لك شعرك ، وكيف كنت أفرح جدا بذلك ؟ لقد كان ذلك يضايقه جدا . ان شعرك ما زال جميلا ياأمى . (يلمس شعرها برفق وحنان ، بينما تصده برعدة خفيفة . وتبتعد عنه قليلا ولكنه يسعد اذ يلحظ هذا) أوه يا أمى ان الأحوال ستتحسن من الآن فصاعدا ! سوف نزوج فينى لبيتر ، ولن يبقى أحد

سوانا . (يفتح الباب الخلفى قليلا وتدخل لافينيا فى صمت وتنظر اليهما) .

كريستين : (تشعر بوجودها على الفور فتسيطر على نفسها وتقول بجفاء) ماذا تريدين ؟ (أورين يلتفت الى أخته وينظر اليها باستياء) .

لافينيا : (فى صوت بارد خال من العاطفة) ألن تأتى لرؤية أبيك ، يا أورين ؟ .

أورين : (ناهضا بانفعال وضيق) حسنا ، سوف آتى الآن (يسرع مارا بلافينيا ويسير بطريقة تدل على أنه يؤدى واجبا بغيضا يريد أن ينتهى منه بسرعة ، يغلق الباب وراءه بصوت عنيف ، لافينيا تحدق فى أمها لحظة ، ثم تتجه نحو الباب لتلحق بأورين بوجه جامد) .

كريستين : (تنهض واقفة) فينى ! (ثم تقول بحدة حين تلتفت لافينيا لتواجهها) تعالى هنا ــ أرجوك . اننى لا أريد أن أرفع صوتى عبر الغرفة (لافينيا تتقدم ناحيتها ببطء حتى تصبح على بعد ذراع منها ، وهى تضغط على فمها ، وقد امتلأت عيناها بالحزن والكآبة . يبدو الشبه الغريب بينهما واضحا للغاية حين تقف الى جانبها . كريستين تتكلم بصوت خفيض بارد تبدو فيه نبرة باردة من التحدى والانتصار) حسنا ، يمكنك الآن أن تذهبى وتخبرى أورين بأى شىء تريدينه ! لقد أخبرته بكل شىء فعلا ــ ولهذا يستحسن أن توفرى على نفسك هذه المشقة . لقد قال : انك لابد أن تكونى مجنونة ! لقد أخبرته كيف انك كذبت بخصوص رحلاتى الى نيويورك ــ بقصد الانتقام ــ لأنك أنت نفسك تحبين آدم ! (لافينيا تبدو فى رعدة المغمى عليه ولكنها تسيطر على نفسها وتعود الى ما كانت عليه من هدوء وجمود . كريستين تبتسم بتوتر) أليس من الأفضل اذن ألا تقحمى أورين فى هذا الموضوع ؟ لا يمكنك أن تحمليه على الذهاب الى الشرطة

لأجل خاطرك ، حتى ولو تمكنت من اقناعه بأنى قد سممت والدك . انه لا يريد — ونفس الشيء ينطبق عليك وعلى أبيك وعلى أى فرد فى أسرة مانون — لا يريد الفضيحة التى ستترتب على المحاكة بخصوص جريمة قتل . ذلك أن كل شيء سيتضح فى هذه الحالة . كل شيء ... من هو آدم .. ومدى علاقتى الآثمة به وعلمك أنت بهذه العلاقة وكذلك حبك لآدم . أوه — صدقينى ، اننى سوف أركز كل اهتمامى على هذه المشكلة اذا ماوصل الأمر الى القضاء . ســوف أظهرك للعالم باعتبارك ابنة كانت تحب حبيب أمها ، ثم بعد ذلك حاولت أن تؤدى بأمها الى حبل المشنقة بدافع الحقد والغيرة ... (تضحك بتوتر . لافينيـــا ترتجف ، الا أن وجهها يظل صارما وخاليا من أية عاطفة . شفتاها تنفرجان كأنها توشك أن تتكلم ، ولكنها تضمهما ثانية ... كريستين تبدو غير واعيةبتهورها وتحديها) اذهبى . وحاولى أن تقنعى أورين بحقارتى . اننى واثقة منه لأنه يحبنى . حتى لو عرف اننى قتلته فسوف يحمينى . لقد كان يكره أباه وقد فرح أشد الفرح لموته (تضعف عندهاكل مظاهر التحدى وتقول فى شفاعة وقد سيطر عليها رعب جنونى كانت تحاول اخفاءه) أستحلفك بالله يا لافينيا أن تبعدى أورين عن هذا الموضوع . انه ما زال مريضا . لقد تغير كثيرا .. وأصبح قاســـيا وصعبا . انه لا يفكر الا فى الموت . لا تخبريه بأى شيء عن آدم فمن المحتمل جدا أن يقتله . وفى هذه الحالة لن أستطيع الحياة . سوف أقتل نفسى ..

(لافينيا تنزعج وتتألق عيناها بكراهية قاسية . مرة أخرى تنفرج شفتاها الشاحبتان كأنها توشك أن تتكلم ولكنها تضبط نفسها وتقاوم هذا الدافع ثم بغتة تستدير وتسير فى خطوات مضـــطربة متجهة الى خارج الغرفة

كأنها دمية آلية تصور مأساة . كريستين تتابعها بنظراتها حتى تختفى ثم تنهار وتستند على المائدة بيدها حتى لا تسقط وتقول برعب) يجب أن أذهب لمقابلة آدم ! لابد أن أحذره ! .

(تهوى على المقعد على يمين المائدة) .

ســـتار

الفصل الثالث

(نفس المنظر فى الفصل الثـــانى من « العودة من الميــدان : مكتب ازرا مانون • يرقد جثمان الفقيد مرتديا الزى العسكرى كاملا على نعش مكلل بالسـواد فى وضع طولى أمام صورته المعلقة فوق المدفأة • رأســه الى اليمين ووجهه الذى يشبه القناع والذى هــو صورة مدهشة من وجهه فى الصورة الموضوعة أعلى ـ ولكن يبدو عليه صرامة الموت وأبديته ، كأنه وجه تمثال منحوت فى الصخر •

المنضدة والمقاعد التى كانت موضـــوعة فى وسط الغرفة أزيحت الى اليسار • يوجــــد مصباح على المنضدة وشمعدانان كبيران عـلى جانبى المدفأة الرخامية السوداء لكل منها ثلاث شمعات مضيئة وكلها تلقى نورها الهادىء على صورة ازرا المعلقة وعلى جثمانه المسجى •

يوجد كرسى بجانب رأس الميت ••• أمام النعش •

يرفع الستار عن أورين وهـــو واقف أمام النعش ، مرفوع الرأس منتصب القامة كأنه حارس فى أثناء تأدية عمله • وهو لا ينظر الى والده ، وانما يحدق الى الأمام • مستغرقا فى تأمل مرتاب وحين ينعكس الضوء الهادىء على وجهه يبدو الشبه واضحا بينه وبين الوجه فى الصـــورة المعلقة وفى الرجل الميت •

بداية هذا الفصل تسبق من الناحية الزمنية نهاية الفصل السابق ببضع دقائق) •

* * *

أورين : (بخجل وبشعور بالذنب ـ ينفجر فى نفســـه بغضب)

يا سيدى المسيح مستحيل أن أقتنع بهذه الافكار · اننى فى منتهى الحماقة اذ . . . لعنة الله عليه يا فينى · انها مجنونة ولا شك · » (ثم يعود ويحدق فى أبيه كانما ليصرف فكره عن هذه التأملات · وفى نفس اللحظة تدخل لافينيا الغرفة فى صمت وتقف فى هدوء تنظر اليه · أورين لا يلحظ دخولها · ويستمر فى التحديق فى وجه أبيه الذى يشبه القناع ويخاطبه بطريقة ساخرة غريبة كأنه صديق) من أنت ؟ جثة أخرى ! لقد رأينا ـ أنت وانا ـ آلاف الجثث تغطى السهول والتلال ـ ولم يكن لها على كثرتها ـ أى معنى على الاطلاق · معنى واحد فقط هو الذى كانت توحى به هذه الجثث هو أن الحياة تسخر من نفسها · (ثم بابتسامة جافة) ان الموت يربض عليك بصورة طبيعية جدا · ان الموت يناسب آل مانون · لقد كنت دائما طوال حياتك عبارة عن تمثال لفقيد مشهور ـ جالس على مقعد فى حديقة أو ممتطيا صهوة جواد فى أحد الميادين العامة ينظر الى رأس الحياة من عل ، دون أية علامة من علامات الادراك يضربها ضربة قاضية ـ لأن الحياة كما يرى ـ غير صالحة · (يضحك ضحكة فاترة مكتومة) انك لم تهتم بأن تعرفنى فى حياتك قط ـ ولكنى فى الحقيقة أرى أنه يجب أن نكون صديقين ··· الآن ·· بعد أن طواك الموت ·

لافينيا : (بعنف وجفاء) أورين ·

أورين : (يلتفت اليها خائفا) عليك اللعنة ، لا تتسلل هكذا مرة أخرى ماذا تحاولين أن تفعلى ؟ اننى مضطرب الاعصاب بما فيه الكفاية (ثم يقول بارتياب حين توصد الباب خلفها) لماذا توصدين الباب ؟ .

لافينيا : أريد أن أتحدث اليك ، ولا أريد أن يقاطعنا أحد (ثم بجفاء) ماهذا الكلام الذى كنت تقوله منذ قليل ؟ اننى

لا أتصور انك أصبحت قاسيا لدرجة أنك لا تشعر بأية عاطفة اجلال •

أورين : (باستياء وشعور بالذنب) انكم فى داخل الوطن تأخذون موضوع الموت بطريقة رهيبة جدا • ولو أنكم ذهبتم الى ميدان القتال لعرفتم أنه مجرد فكاهة • انك لا تفهمين ما أقول يا فيني يجب أن تتعلمى السخرية ، أو تعيشى فى جنونك ، ألا تفهمين ؟ اننى لم أقصد أن أقول ذلك الكلام بمعناه القاسى . كل ما هنالك أنه يبدو مألوفا الى حد عجيب نفس الغريب المألوف ، الذى لم أعرفه قط . (ثم يرنو الى جثمان أبيه وعلى شفتيه ابتسامة حنون) هل تعرفين اسمه فى الجيش ؟ لقد كان اسمه الوتد العجوز — اختصارا لاسم الوتد فى الوحل • ان الجنرال جرانت نفسه هو الذى أطلق عليه هذا الاسم . لقد كان يقول : ان أبى لا يصلح للهجوم ولكنه فى الدفاع يستطيع أن يثبت كالوتد الثابت فى الوحل ويحافظ على موقعه حتى ينتهى جحيم المعركة •

لافينيا : أورين • ألا تدرك أنه كان والدك ، وانه الآن ميت ؟

أورين : (بانفعال) ان هذا الكلام الذى قاله الجنرال جرانت يعتبر — من زاوية — مدحا كبيرا •

لافينيا : لقد كان فخورا جدا بك يوم أن عاد من الميدان • وكان موضع فخره انك قمت بعمل من أشجع ما رأى فى الحروب •

أورين : (مدهوشا ، ثم يضحك فى سخرية مريرة) عمل من أشجع ما رأى •• شيء جميل جدا • سوف أخبرك بقصة هذا العمل البطولى وما فيه من فكاهة • لقد حدثت فى الليلة التى سبقت تسللى الى خطوط الأعداء • لقد كنت دائما أتطوع للقيام بالأعمال الخطيرة ، لانى كنت أخشى أن يظن انسان أننى خائف • كان الضباب كثيفا جدا وكان الجو

فى غاية الهـــدوء بحيث كان من الممكن أن تسمعى صوت قطرات الضباب على الأرض . وحدث أن رأيت أحد جنود العدو يزحف نحو خطوطنـــا . واستطعت برغم كثافة الضباب أن أميز وجهه وهو يتجه نحوى فاستللت سيفى على الفور وضربته ضربة عنيفة تحت الأذن مباشرة . ونظر الى نظرة بلهاء كأنه يجلس على مسمار ، ثم أظلمت عيناه وانتهى (صوته يخفت شيئا فشيئا كأنه يتحدث الى نفسه . يتوقف عن الكلام ويحدق فى جثمان أبيه وهو فى الحقيقة لا يحدق فى شيء بالتحديد) .

لافينيـا : (بقشعريرة) لا تفكر فى هذا الآن .

أورين : (يستطرد بنفس الأسلوب) وقبل أن أعود . اضطررت لأن أقتل شخصا آخر بنفس الطريقة . لقد شعرت كأننى أقتل الرجل نفسه مرتين . وكان يداخلنى شعور غريب بأن الحرب تعنى أن أقتل نفس الرجل أكثر مـن مرة ، وفى النهاية أكتشف أن هذا الرجل هو أنا . لقد ظلت وجوههم تتراءى لى فى الأحلام ـ وكانت أحيانا تبدو فى صورة وجه أبى أو وجهى ـ ماذا يعنى ذلك يا فينى؟

لافينيـا : لست أدرى ! ان لدى كلاما أود أن أقوله لك ، أستحلفك بالسماء أن تنسى الحرب ! لقد انتهت الحرب الآن !

أورين : ولكنها لم تنته بعــد فى أعماقنا نحن الذين قتلنا ! (ثم بلهجة تنم عن مرارة وأسى) ، ان الباقى كله عبـــارة عن نكتة . فى الصباح التالى كنت فى الخندق . كان هذا فى بيترزبرج . لم أذق طعم النــــوم وكنت أفكر فى أشياء غريبة جدا . كنت أفكر فيما ستكون عليـــه الحالة اذا ما حدث واكتشف القادة الأغبياء مثل أبى وكل فرد فى الطرفين أن الحرب ليست سوى فكاهة منصبة عليهم ، وبالتالى سخروا منها وتصافحوا . ولهذا بدأت أضحك ، واتجهت نحـــو خطوطهم رافعا يدى . ان النكتة بالطبع

تكمن فى أنا ، ذلك أن النتيجة الأولى لهذا التصرف كانت هذه الاصابة برأسى والتى سببت لى آلاما بالغة • عندها جن جنونى ، وسيطرت على الرغبة فى القتل ، فانطلقت أجرى وأنا أصرخ بصوت رهيب • وقد أثار هـذا بعض الحمقى من رجالنا ، فانطلقوا ورائى وكان ان استولينا على جزء من أحد خطوطهم التى لم نكن لنجرؤ على الاقتراب منها ونحن فى حالتنا الطبيعية• لقد تصرفت بدون أوامر، طبعا ولكن أبى قرر أن يتغاضى عن ذلك وأن يعتبرنى بطلا• أليس فى ذلك ما يدعو للضحك ؟!

لافينيا : (برقة • تتجه نحوه وتمسك بذراعه) انك شجاع،وأنت تعرف ذلك • اننى فخور بك •• أنا أيضا •

أورين : (بيأس) أوه ، حسنا • كونى فخورا اذن • (يتركها ويجلس على مقعد على يسار المائدة • تقف لافينيا أمام النعش وتواجهه فيقول باستياء) حسنا • ابدئى وقولى كل ما عندك انك تجهدين نفسك وأنا أعرف ما ستقولين• لقد حذرتنى أمى (يتداعى فى ذاكرته بسرعة ما قالته أمه) يا الهى ، كيف يمكن أن تخطر ببالك هذه الافكار عن أمى؟ ماذا أصابك بالله ؟ (ثم بمزاح) ولكنى أدرك أنك لست فى حالتك الطبيعية . اننى أعلم كيف كان خبر وفاته صعبا عليك . ألا تظنين أنه من الأفضل أن نؤجل حديثنا حتى •••

لافينيا : لا ! (بمرارة) هل نجحت فى اقناعك بأننى فقدت عقلى؟ أوه يا أورين ، كيف يمكن أن تكون غبيا الى هذا الحد ؟ (تتجه نحوه وتمسكه من كتفيه وتقرب وجهها منه وتقول باصرار) انظر الى . أنت تعلم فى أعماقك أننى ما زلت كما كنت دائما ــ أختك ــ التى تحبك يا أورين !

أورين : (يتأثر بكلامها) أنا لا أقصد ــ اننى أعتقد فقط أن صدمة وفاته قد •••

لافينيا : اننى لم أكذب عليك أبدا ، ـأليس كذلك ؟ حتى عندما كنا صغيرين • كنت أقول الصدق دائما ، أليس كذلك ؟

أورين : بلى ـ ولكن ـ

لافينيا : اذن يجب أن تثق أننى لا يمكن أن أكذب عليك الآن !

أورين : انك لا تكذبين عن عمد • ان المسألة •••

لافينيا : وحتى بعد أن سيطرت عليك مرة أخرى وجعلتك تشك فى كلامى فلا يمكن أن تشك فى الدليل القاطع •

أورين : (بجفاء) دعينا من هذه الادلة ، اننى أعرف كل شيء عنها مقدما (ثم باضطراب) والآن اسمعى،اذا كنت ستخبريننى بمجموعة من السخافات عن أمى، فانى أحذرك بأنى لن أستمع اليها • ولهذا يستحسن ألا تتكلمى على الاطلاق •

لافينيا : (بلهجة تهديد) اذا لم تنصت لى ، فسألجأ للشرطة •

أورين : لا تكونى مجنونة •

لافينيا : هذا هو الحل الاخير • وسوف ألجأ اليه اذا اضطررتنى لذلك •

أورين : يا الهى • انك مجنونة اذ تتكلمين عن •••

لافينيا : ولكن الشرطة لن تظن ذلك •

أورين : فينى هل تدركين ماذا سيعنى ذلك ؟

لافينيا : نعم أدركه جيدا • وأدرك أيضا أننا ـ أنت وأنا ـ ولا ذنب لنا ، سوف نلقى عقوبة أكثر من الذنب نفسه ، لاننا سنواصل الحياة من بعده • قد يعنى ذلك أن ذكرى أبى وذكرى جميع أشراف آل مانون الذين ماتوا سوف تجر الى ساحة المحكمة فى قضية قتل بشعة ، ولكننى أفضل ذلك على أن أترك أبى يقتل بلا قصاص •

أورين : يا الهى ، هل تعتقدين فعلا أن ••• ؟

لافينيا : نعم • اننى أتهمها بالقتل ،(تخرج من صدرها العلبة الصغيرة التى وجدتها فى غرفة كريستين بعد مقتل أزرا مباشرة (الفصل الرابع من « العودة من الميدان ») هل

ترى هذه العلبة ؟ لقد وجدتها بعد وفاة أبى مباشرة ·

أورين : لا تكونى مجنونة ، لقد أخبرتنى بكل شيء عن هذا · انها مجرد أقراص تساعد على النوم ·

لافينيا : (تستطرد بغضب متجاهلة مقاطعته لها) وكان أبى يعرف انها أعطته السم فقد قال لى : انها « انها محرمة » ·

أورين : انها أوهامك المجنونة · يا الهى كيف تظنين — ؟ هل تدركين أنك تتهمين أمك عن عمد — ان هذا منتهى الجنون · سوف أجعل الدكتور بليك يعلن جنونك — ويضعك فى مستشفى الأمراض العقلية ·

لافينيا : أقسم لك برحمة أبى — أننى أقول الحقيقة (تضع يدها على جثمان أبيها وتخاطبه) اجعل أورين يصدقنى يا أبى ·

أورين : (بجفاء) لا تقحمى أبى فى هذا الموضوع · فقد كان دائما يقف فى صفك ضد أمى وضدى · (يمسك بذراعها بشدة ويجبرها على أن تترك العلبة) أعطنى هذه · (يضع

أورين : أبدا · ولكنى سأضع حدا لأفكارك السخيفة · يالى من أحمق اذ أعيرك أى اهتمام ! ان المسألة كلها تنطوى على جنون ولن أتحدث الى فتاة مجنونة · بالله عليك يا فينى · دعى أمى وشأنها والا · · ·

لافينيا : (تنظر اليه بمرارة) مسكين أبى الحبيب · كان يظن أن

كنت تكرهه ! (فى صوتها نبرة توسل) أورين أستحلفك بالله ــ هنــا أمام جــثمان أبى ــ أن تخبرنى على الأقل أن ذلك ليس صحيحا !

أورين : (يغلبه الشعور بالذنب فيقول محاولا الدفاع عن نفسـه بشدة) • طبعا ، أنا لم أقل ذلك قط ــ وأنا لا أصـدق أنها فعلت ذلك • انى أقدر أمى أكثر بألف مرة مما قدرته طول حياتى•اننى أقول ذلك أمامه الآن وهو ميت ومستعد لان أقوله أيضا لو كان يسمعنى !

لافينيــا : (بتأنيب واحتقار) اذا كنت قد فشلت فى اقناعك بواجبك من هذه الناحية فسوف أحاول من ناحيـة أخرى • اذا كنت لا تريد أن تساعدنى لكى نعاقبها ، فأرجو ألا يصل بك الجبن لدرجة أن تترك عشيقها يهرب !

أورين : (بلهجة تنم عن ارتياب) يستيقظ عشيقها ؟ من تعنين ؟

لافينيــا : أعنى الشخص الذى تآمرت معــه على قتل أبى ، الشخص الذى لا بد أنه أحضر لها السـم • أعنى الكابتن برانت ، الذى حدثتك عنه فى رسائلى •

أورين : (يحاول أن يقاوم شكوكه الغيرى) انك تكذبين ! لقــد حدثتنى عن أكاذيبك وافتراءاتك العفنة فيما يتعلق به ــ وبسفره وراءها الى نيويورك • ان الذى قابلته كان مستر لامار •

لافينيــا : هذا هو ما قالته لك ، وكأننى من الغباء بحيث لا أستطيع أن أفرق بين لامار وآدم برانت• يالك من أحمق ياأورين• انها تقبلك وتتظاهر بأنهــا تحبك بينما هى قد نسيت حيــاتك من أســـاسها ، ولم تعد تفكر الا فى عشيقها الوضيع • • •

أورين : (بتهور وعنف) كفى ، اننى لن • • •

لافينيــا : وكل ما تفكر فيــه الآن هو كيف تستغلك لتمنعنى من القيام بأى شيء ، وسوف تنتهز أول فرصة لتهرب معــه وتتزوجه !

أورين : انك تكذبين !

لافينيا : انها تدللك وتقوم بدور الأم الحنون ، وأنت عاجز تماما عن اكتشاف نياتها • لقد قلت لك انها ذهبت الى غرفته الخاصة ، وقد تبعتها حتى باب الغرفة وسمعتها تقول له « أحبك يا آدم » وكانت تقبله !

أورين : (يشدها من كتفيها ويهزها بعنف ، ويجبرها على الركوع على ركبتيها) لعنة الله عليك • قولى : انك تكذبين ، والا ... !

لافينيا : (تنظر الى عينيه وتقول ببرود وبلا خوف) أنت تعرف أننى لا أكذب ! لقد ذهبت الى نيويورك بحجة زيارة جدى «هاميل» ولكن السبب الحقيقى هو أن تمنح نفسها لـ ... !

أورين : (بألم) انك تكذبين ، عليك اللعنة (بلهجة تهديد) أتجرؤين على أن تقولى هذا الكلام عن أمى ؟ والآن يجب أن تثبتى صحة ذلك ! انك لست مجنونة ! انك تدركين ما تقولين ! ولهذا يجب أن تثبتى صحة كلامك والله فوالله سوف ...

لافينيا : (تبعد يديه عن كتفيها وتنهض) ان كل ما أطلبه هو أن تعطينى الفرصة لكى أثبت لك صحة ما أقول • (ثم بحدة) ولكن بعد أن أثبت لك ذلك ، هل تساعدنى على معاقبة من قتلوا أبى ؟

أورين : (ينفجر فى غضب قاتل) لا بد أن أقتل هذا الجبان ابن السفاح • (ثم بلهجة تنم عن شك وقلق) ولكنك لم تثبتى أى شىء بعد ! كل ما قلته تجريح لا أصدقه • انك تقولين : ان برانت عشيقها ! ولو ثبت هذا لكرهتها ولصدقت أنها قتلت أبى ولعاونتك على الانتقام . ولكن عليك بالبينة أولا !

لافينيا : (ببرود) أستطيع أن أفعل ذلك فى غاية السرعة ، وهى فى أشد القلق ! والانزعاج ، ولكنها ستذهب لرؤية

برانت في أول فرصة تسنح لها يجب علينا أن نعطيها هذه الفرصة • هل تصدقني • اذا وجدتهما معا ؟

أورين : (بألم) نعم (ثم يغضب) لعنة الله عليه ، لا بد أن • • •

لافينيا : (بحدة) ش • ش • اهدأ هناك أحد في الردهة !

(يتوقفان عن الكلام ويحدقان في الباب • ثم يدق أحد الباب بشدة) •

كريستين : (يتناهى) صوتها عبر الباب وقد بدا عليها الرعب والاجهاد) أورين !

أورين : (بتلعثم) يا الهي ، لا أستطيع أن أواجهها الآن !

لافينيا : (تهمس بسرعة) لا تدعها تعرف أنك تشك فيها • تظاهر بأنك تعتقد أنني جننت ، كما تريد هي •

كريستين : أورين • لماذا لا ترد علي؟ (تحاول أن تدير مقبض الباب ــ وحين تجده مغلقا تقول بانزعاج) لماذا أغلقت الباب ؟ افتح لي لأدخل (تدق الباب بعنف) •

لافينيا : (بهمس) أجب عليها ، ودعها تدخل •

أورين : (يطيعها بطريقة آلية ــ وينادي بصوت مذهول) حسنا • انني آت يا أمي (يتجه نحو الباب كارها) •

لافينيا : (تخطر لها فكرة مفاجئة ــ فتجذبه من ذراعه) انتظر (وقبل أن يتمكن من منعها ، مدت يدها في جيبه وتناولت العلبة ووضعتها على جثمان أبيها ، وفوق قلبه مباشرة ، بحيث تبدو واضحة جدا) • راقب حالتها حين ترى هذه ــ اذا كنت تريد دليلا !

كريستين : افتح الباب (يفتح الباب بطريقة توحي أنه اضطر لذلك، ثم يقف الى جانبه • كريستين تدخل مضطربة وهي في حالة تكاد تشبه الانهيار تلقي بذراعيها حول أورين كأنما تحتمي به (أورين لقد أصابني ذعر شديد عندما وجدت الباب مغلقا !

أورين : (يقاوم رغبة عنيفة لكي يبعدها عنه بشدة ويقول بجفاء) ومم الذعر يا أمي ؟

كريستين : (ترتبك) لماذا تنظر الى هكذا ؟ انك تشبه ــ والدك ــ الى حد بعيد !

أورين : اننى ابنه ــ أيضا ــ تذكرى هذا !

لافينيا : (بلهجة تحذير) أورين !

كريستين : (تلتفت الى لافينيا التى تقف على رأس النعش) يبدو لى أنك ملأت رأسه بأكاذيبك الدنيئة • ــ

أورين : (يذكر التعليمات التى قالتها لافينيا فيقول): انها مجنونة يا أمى •

كريستين : ألم أقل لك ؟ لقد كنت أعلم أنك ستكتشف ذلك بنفسك •• (ثم تقول بقلق وقد ركزت عينيها على لافينيا) ألم تخبرك بما كنت تنوى القيام به يا أورين ؟ انى أعلم أنها كانت تعد أمرا جنونيا ! هل هددت بالذهاب الى الشرطة ؟ ربما لا يصدقون أنها مجنونة (تتوسل اليه فى يأس وما زالت عيناها مركزتين على لافينيا) انك بطبيعة الحال لن تسمح لها بأن تقوم بمثل هذا التصرف الفظيع ، أليس كذلك ؟

أورين : (يشعر باثمها ويقول بارتباك) طبعا يا أمى •

كريستين : (يقع نظرها على الجثة وقد تملكها الفزع وكانت من قبل تتجنبها بكل وسيلة) تذكر أن والدك قال : انه يريد أن يرقد فى سلام ولا يريد أى فضائح ــ (توجه كلامها للرجل الميت مباشرة بلهجة تنم عن تحد) انك بالنسبة لى وأنت ميت ، مثلك وأنت حى يا ازرا • لقد كنت دائما بالنسبة لى انسانا ميتا ! اننى أكره منظر الموت ، وأكره التفكير فيه ! (تلحظ علبة السم موضوعة فوق قلبه ، فتتراجع الى الخلف فى جزع وتصرخ صرخة مروعة وتحدق فيها ــ رعب وشعور بالاثم •)

البيت مهربا من الموت • ولو كنت أعلم أنه على هذه الحال لما عدت من جزيرة السلام التى كنت أعيش فيها • (ثم يحدق فى أمه بطريقة غريبة) ولكن كل هـــذا قد ضاع الآن • انك جزيرتى المفقـــودة • أليس كذلك يا أمى ؟
(يتجه الى خارج الغرفة وهو يتعثر فى خطواته • لافينيا تتسلل الى جثمان والدها ، وتلتقط العلبة ـ كريستين يفك سحرها (تعـــود الى رشـــدها) وقد كانت عيناها مثبتتين على العلبة وكأنها منومة مغناطيسيا • تنظر بقسوة الى وجه لافينيا الجامد العنيد الملئ بالاتهام)

لافينيـــا : (بصوت بارد مخيف) ان برانت هو الذى أحضر لك هذا الدواء لكى تنامى فى هدوء ••• أليس كذلك ؟

كريستين : (بحيرة وقلق) لا • لا • لا •

لافينيـــا : لقد أخبرتنى أنه هو الذى أحضرها لك • وكنت أعـــلم الحقيقة ولكنى كنت أريد أن أتأكد • (تضع العلبة فى صدرها وتتجه نحو الباب بطريقة صارمة جامدة) •

كريستين : (تلاحقها بنظراتها القاسية • ثم تثبت عيناها على وجـــه الميت وتقـــول بقلق وحـــيرة) ازرا ، لا تدعها تؤذ آدم • اننى أنا المذنبة الوحيدة • لاتدع أورين ـــ (ثم تتوقف عن الكلام وقد امتلأت بالرعب ، كأنها قرأت اجابة ما على وجـــه الميت) تقف فى رعب ، ما زالت مثبتة عينيها على وجهه وهى تتراجع نحو الباب ثم تندفع الى الخارج) •

ســـــتار

الفصل الرابع

(المقطع الرأسى لمؤخرة سفينة شراعية سريعة راسية بطولها على أحد أرصفة بوسطن الشرقية وأرض الرصيف فى مقدمة المسرح • السفينة موضوعة بحيث تختفى مقدمتها ووسطها يسار المسرح ولا يظهر منها سوى صارى المؤخرة ونهايتها المقوسة • السفينة غير محملة ويرتفع جانبها الأسود تسع أو عشر أقدام عن مستوى رصيف الميناء ، العجلة فوق سطح مؤخر السفيعة الى اليمين والى اليسار غرفة الادارة ثم طريق السلم النازل الى القمرة ، وفى أقصى اليسار نرى الجزء الأسفل من صارى المؤخرة بينما يمتد الشراع الىالناحية اليمنى فوق سطح السفينة، وفى جدار السفينة فتحات تنبعث منها أضواء خافتة من القمرة،وفى الناحية اليسرىمن المسرح والميناء يبدو الجزء الأخير من مخزن كبير للبضائع • الزمن بعد ليلتين من الفصل الثانى ،أى اليوم التالى لجنازة أزرا مانون•الوقت مساء والقمر يرفع فى الأفق من اليسار الخلفى ويلقى ضوءه الهادىء على السفينة الراسية فيساعد على تحديد معالمها • من بعيد يحمل الريح المقطع الحزين من أغنية « الشينباندوه » ينشدها أحد المغنين من ملاحى احدى السفن التى توشك على الاقلاع وهم يجذبون الهلب منقاع الميناء • مغن مستلق على ظهره يغط فى نوم ثمل وقد اختفى نصفه فىظل مخزن البضائع وظهر النصف الآخر • يبدو أن صوت الغناء قد لقى استجابة فى أوتار مخه فهو ينهض (ويزوم) ثم يحمل جسمه بصعوبة ليجلس فىضوء

القمر وراء الظل • وهو رجل نحيف ضامر ، في حوالى الخامسة والستين،ذو شعر أسود أشعث ولحية وشارب• ووجهه الذى لفحته الشمس يبدو فيه أثر انهماك في الشهوات ، وفمه ضعيف وعيناه الزرقاوان الكبيرتان أصابهما الاحمرار من أثر الخمر • ولكن شيئا من الخيال الروائى كان يحف به ويسبغ عليه صفة الشاعر البحرى الجوال الغريبة •

* * *

المغنى : (ينصت الى الغناء وقد بدا عليه الاستنكار) ياله من مغن مقلق هذا الذى يغنى • ان البوم تعتبر مغنيات أوبرا بالقياس له • سوف أعلمه كيف ينشد الشيناندوه (يبدأ الغناء بصوت حاد رخيم بدرجة مثيرة للدهشة ومثيرة للحزن الى حد كبير محاولا أن يجعل لأنشودته قدرها الكامل :

أوه شيناندوه ، انني مشتاق اليك •
ألا ابتعد أيها النهر المنساب •
أوه شيناندوه ، لا أستطيع أن أقترب منك •
انني مقيد بعيدا عنك •
وراء نهر الميسورى العظيم •
أوه شيناندوه ، انني أحب ابنتك •
ألا ابتعد أيها النهر المنساب •

(يتوقف عن الغناء فجأة ويهز رأسه فى حزن ويأس) انني ثمل للغاية وغنائى لا يعطينى حكما عادلا • (يستلقى الى الخلف على مرفقيه ويقول باضطراب) أين أنا ؟ ما الفرق بين هذا المكان والجحيم؟ يوجد مزيد من الهواء الطلق وضوء القمر الذى يبدد الظلام ، لا داعى للتدقيق • ماذا تريد على أية حال ؟ فراشا من الريش وبيانو؟(يغنى بلذة ونشوة) •

* * *

زجاجة من النبيذ وزجاجة من الجعة •
وزجاجة من الويسكى الأيرلندى •

في الصباح الباكر ٠
يحب البحار زجاجته ٠

(يتوقف عن الغنـــاء ويتمتم) من ذا الذى يشترى شرابا لأحســـن مغن فى المحـــيط الغربى أو أى محـــيط آخـــر ؟ اذهب اذن الى الجحيم اننى أستطيع أن أشتريها بنفسى (يعبث فى جيب السروال) لقد كان ٠ فى هـــذا الجيب ـ اننى وضعتها هنا بالذات ـ عشرة دولارات كانت فى هذا الجيب ـ (يخرج جيبه الى الخارج فى ارتباك وقد بدا عليه غضب ثمل) أقسم بالله لقد ضاعت ٠ لقد نشلت تماما (يجاهد لكى يجلس) ما هو آخر مكان ذهبت اليه ؟ آه ٠٠٠ تذكرت ، تلك الخنزيرة التى كانت ترتدى الملابس الحمراء ٠ لقـــد أحاطتنى بذراعيها وعبرت لى عن اعجابها بصوتى ٠٠ (يقف على قدميه مترنحا) أقسم بالله لأذهبن اليها وأرفسها فى مؤخرتها السمينة حتى تتعلم (يخطو خطوة واحدة ، ثم يميل نحو الظل ، ويستند على جـــدار المخزن) الحالة سيئة ٠٠ زوابع وعواصف حـــول الرأس الجامد ، كل شىء غرق ما عدا الشرف كما قال الفتى ومع ذلك فالقليل منه طغا ٠٠ يقف ازاء المخزن فى انتظار أن تهدأ الدنيا التى يشعر بها متأرجحة وغير مستقرة ٠ يفتح الباب المؤدى الى سطح السفينة ويخرج منـــه آدم برانت وقد بدا عليه الحذر الشديد يتلفت حوله بسرعة وبطريقة تنم عن قلق وارتياب ، وهـــو يرتدى الزى الأزرق الذى يرتديه بحارة الســـفن التجارية ٠ يشعر بارتياح حين يكتشف عدم وجـــود أى انسان فوق سطح السفينة ، ثم يسير قليلا ٠ المغنى يفقد توازنه ويترنح الى الأمام ، ثم الى الخلف ، فيرتطم بالجدار ويحـــدث صوتا عاليا ٠ برانت يتراجع بانزعاج ، ويخرج مســـدسا من جيب معطفه ، وينادى بلهجة تهديد) ٠

برانت : من هناك ؟ أخرج ودعنى ألق عليك نظرة،والا والله سأطلق عليك الرصاص ٠

المغنى : (ينزعج بدوره ويسترد وعيه على الفور ويقول بسرعة) ان المسألة بسيطة يا صديقى ٠ اخفض هذا المسدس ٠ اننى لا أسبب لك أى أذى ٠ (يتجه نحو ضوء القمر ـ ثم فجأة يقول بلهجة توحى بأنه يحب المشاكسة) ليس بسبب خوفى منك أو من مسدسك ومن أنت بحق الجحيم حتى تهدد حياة مغن شريف مثلى ؟ هل تحاول أن تمنعنى من الغناء ؟ لقد سرقت دولاراتى الليلة ! وسوف أذهب الى الشرطة لأبلغهم أن بيننا لصا هنا ٠٠٠

برانت : (بلهجة فيها نوع من الرضا والصفح) لم أقصد الأذى ٠ اننى ربان هذه السفينة ، وأعلم أن عددا كبيرا من القراصنة يحوم حولها أخيرا وليس لدى حارس ، ولهذا يتحتم على أن أراقبها وأحرسها بنفسى ٠

المغنى : (يعود اليه وعيه مؤقتا يضع يده على جبهته) أجل أجل يا سيدى ٠ يجب أن تفتح عينيك ٠ لقد سمعت أن هؤلاء اللصوص اقتحموا السفينة « آنى لودج » منذ يومين ٠ وحطموا كل شيء وسرقوا مائتى دولار من ربانها ٠ وهم ليسوا لصوصا فحسب ، بل قتلة أيضا ، وقد كادوا يهشمون رأس الحارس (ثم تنتابه حالة السكر المشاكسة من جديد) هل أعتقد أننى أحد أفراد هذه العصابة ؟ انزل من السفينة وسوف أريك من هو اللص الحقيقى ٠ وأراهن أن أتوب عن اللعن ـ ان كنت ربانا حقيقيا يمكن أن تكون « بولى ووترمان » نفسه ، ومع هذا لا أسمح لك بأن تسبنى ، اننى لست مقيدا فى سفينتك القديمة ، وليس لديك حقوق على ، اننى أقف على أرض صلبة ، وهذه بلاد حزة ـ (يعلو صوته حتى يصل الى درجة الصياح٠ برانت ينزعج لأنه يشعر أن الحديث بهذا الصوت المرتفع قد

يجذب انتباه النـــاس • يعيد المسدس الى جيبه ويحملق بقلق فى المينـــاء ، ثم يقاطع ثرثرة المغنى بلهجـــة آمرة حاسمة) •

برانت : اغلق فمك اللعين هذا ، والافقسما بالله الباقى ـ لأنزلن اليك ولأعيدن اليك صوابك •

المغنى : (يستجيب آليـا لصوت صاحب السلطان يقول بهدوء) نعم ـ نعم يا سيدى • (ثم بتناقض) الست فى حاجة الى مغن فى رحلتك القادمة يا سيدى ؟

برانت : لن أبحر قبل شهر•واذا ظللت طوال هذه المدة بدون عمل فسوف •••

المغنى : (بفخر) انك لا تعرفنى على ما يبدو ، اننى أرق مغن وضع النغم على شفتيه ، اننى لا أبحث عن أعمال ، ولكن الأعمال هى التى تبحث عنى•ان البحارة يسعدهم جدا أن أصحبهم فى رحلاتهم فكثيرا ما أرى ربانا ورفقاءه يريقون الدم عبثا ليحملوا الملاحين عـلى العمـل ولكن •• بمجـرد أن أطلق أنغامى تنتشر كل قلوع السفن قبل أن يشعروا •

برانت : (وقد نفد صبره) لا أشك فى موهبتك ، ولكنى أنصحك بأن تذهب الآن وتنام •

المغنى : (لا يكترث بكلامه ويقـــول بحزن) آه ، لكن لن تطول الحال فالبخار قد عم ••• ـ والسفن التجارية التى تشبه غلايات الشاى ملأت البحر ••• الأيام القديمة فى طريقها للزوال ، ترى الى أين ســـينتهى مصـــيرنا أنا وأنت • (تنتابه حـــالة السكر مرة أخـرى ان كل شىء يموت • ابراهام لنكولن مات • لقـــد اعتدت أن أبحر على سفن البريد الخاصـــة بمـــانون ورأيت الجريدة التى بهـــا خبر وفاته (برانت ينزعج شاعرا بالذنب بينما يستطرد المغنى وهو ثمل) لقد قيل ان الذى قضى عليه هو هبوط فى القلب ، ولكنى أكثر معرفة ••• لقد أبحرت على سفن

المانون وكنا نعمل حتى الموت وحتى نصبح طعاما للدود ٠٠ وأعلم أنه بلا قلب ٠٠ افتحه تجده كاللفتة الجافة ٠ انني أرجح أن العجوز البخيل قد ترك ثروة كبيرة ، أما من الذى سيأخذها فهذا مالا أعلمه ، هل ترك أرملة ؟

برانت : (بجفاء) كيف يتسنى لى أن أعلم ؟ (يغير الموضوع بحساب) ماذا تعمل هنا أيها المغنى ؟ اننى أتصور أن الانسان الذى لديه مثل هذا الصوت الجميل لا بد أن يعيش فى الصالونات ، يغنى ويحيا حياة مرحة ٠

المغنى : فعلا ٠٠ فعلا ٠٠ ولكننى سرقت يا سيدى ـ نعم ـ وأعلم من السارق ـ انها تلك الفتاة الشقراء التى أحاطتنى بذراعيها ٠ ابتعد عن النساء والا سرقن جلدك ونسجنه سجادا ٠ أحذرك يا كابتن ٠ انهن لا يصلحن للملاحين مثلى ومثلك الا اذا كنا نبحث عن المتاعب (ثم بلهجة فيها نوع من التلميح) اننى لاأملك ثمن كأس واحدة ياسيدى٠ وهذا هو السبب فى أنى هنا الآن ٠

برانت : (يفتش فى جيبه ثم يلقى اليه دولارا فضيا) خذ ٠

المغنى : (يبحث عن الدولار حتى يجده) أشكرك جدا يا سيدى (بتملق) انها لسفينة عظيمة يا سيدى ٠ أطلق شراعها وستفوق معظم السفن وانك لخير من يطلق الشراع وقد عرفت ذلك من سيماك ٠

برانت : (يشعر بسرور ثم ينظر لسفينته المرتفعة باعجاب) نعم اجعلها تسير باحكام وكل ما تحتاج اليه مغن ذو صوت جميل ليساعدك ٠٠ وهذه أغنية « شنق جونى » أغنيها لك

المغنى : (يبدأ فى الغناء بطريقة محزنة قاتمة) انهم يدعوننى جونى المشنوق ٠٠٠ ألا فابتعدوا ٠٠ يقولون : انى أشنق للمال ٠٠ اشنقوا يافتية ٠٠ هيا اشنقوا ٠

برانت : (بجفاء) كفىغناء ، دعك من هذه الأغنية الحزينة واذهب من هنا الآن ٠

المغنى : (يهم بالذهاب) نعم يا سيدى (باستياء) يبدو لى آنك لست ميالا للموسيقى .. مساء الخير .

برانت : (بارتياح) مساء الخير (يخرج المغنى من الناحية اليسرى بين المخزن والسفينة ، يعود للغناء بالطريقة المحزنة المؤثرة « يقولون : انى شنقت أمى . ألا فابتعدوا .. يقولون انى شنقت أمى .. اشنقوا يافتية .. هيا . (برانت يتابعه بنظراته وهو واقف فى الحاجز يهمهم بالسباب ثم يسير جيئة وذهابا) لعنة الله على هذه الأغنية . انها كئيبة كالموت ، اننى أتنبأ بأننى ن أقود هذه السفينة فى البحر فهى لا تريدنى اننى جبان مختف وراء أطراف ثياب امرأة والبحر يكره الجبناء (يبدو شبح امرأة ترتدى ملابس سوداء وتضع على وجهها حجابا كثيفا ، وهى تتحسس طريقها خارجة من الظلام يسارا بين المخزن والسفينة تراه واقفا فوق سطح السفينة فتتراجع الى الخلف ، وتند عنها صيحة رعب . برانت يسمع الضوضاء فتمتد يده على الفور الى مسدسه ويحدق فى أسفل بين ظلال المخزن) من هناك ؟

كريستين : (تصيح بلهفة وارتياح) آدم !

برانت : كريستين ! (ثم بسرعة) عودى الى الممر ، سوف أقابلك هناك (تتراجع كريستين ويسرع اليها برانت ويختفى فى الناحية اليسرى ليلاقيها . تسمع أصواتهما وبعد لحظة يظهران على سطح السفينة . وقد مالت عليه فى ضعف ، وهو يسندها وقد أحاطها بذراعه) كان لا بد أن نأتى من هذا الطريق ، لاننى أغلقت باب السطح الرئيسى .

كريستين : لقد كنت خائفة جدا ، ولم أكن متأكدة من السفينة . لقد التقيت فى طريقى برجل ثمل يغنى ـــ

برانت : نعم تخلصت منه منذ لحظات . لقد فصلت الحارس هذا الصباح حتى أكون وحدى هنا فى المساء وكنت آمل أن أراك الليلة . هل رآك هذا الرجل الثمل ؟

كريستين : لقد اختفيت وراء الصناديق . (ثم يفزع) لماذا تحمل هذا المسدس ؟

برانت : (بتجهم) كنت أنوى أن أقاتلهم بسبب هذه المشكلة لو أن الأمور سارت على غير ما يرام .

كريستين : آدم !

برانت : طبعا لن أسمح لهم بأن يأخذونى حيا ـ أليس كذلك ؟

كريستين : أرجوك ، أرجوك . لا تتحدث فى هـــذا الموضوع . فقط ضمنى اليك بشدة ! قل لى انك تحبنى !

برانت : (بجفاء) ليس هـــذا وقتا مناسبا . أريد أن أعرف ماذا حدث (ثم يشعر بالندم فيقبلها برقة متكلفة تنطوى على كثير من الخشونة) لا تشغلى بالك بشأنى ! لقـــد انهارت أعصابى من الانتظار هنا وحيدا ، بدون أن أعلم ســـوى ما نشرته الصـــحف ـ أنه مات . ان الأيام الأخيرة كانت جحيما !

كريستين : وكانت بالنسبة لى أكثر من جحيم لو كنت تعرف .

برانت : لقـــد حدث خطأ ! أستطيع أن أقرأ ذلك على وجهك ! ماذا حدث يا كريستين ؟

كريستين : (باضطراب) فينى تعرف الحقيقة . لقد جاءت الى الغرفة فى اللحظة التى كان يموت فيها ! وقد أخبرها هـــو ...

برانت : (بجفاء) يا الهى . وماذا هى فاعلة ؟ (ثم يلتفت حـــوله بقلق دون أن ينتظر اجابتها) كريســـتين . كيف تمكنت من الحضور الى هنا ؟ انها حتما ستشك فى أنك لم تذهبى لزيارة والدك ـ لقد تبعتك مرة سابقة ـــــ ..

كريستين : لا ، ان المسألة على ما يرام ، لقد قال أورين هذا الصباح ان أبناء عمه آل برادفورد قد وجهوا اليها الدعوة ـ هـــو وفينى ـ لزيارتهم فى المســـــاء فى بلاكريدج وقد صحب فينى معه لانه تصور أن تغيير المكان قد يهدىء أعصابها ! لقد جعلته يظن أنها فقدت صوابها من الحزن ـ وبالتالى فهو لن ينصت لما تقول ...

برانت : (باهتمام) وهل يصدق ذلك ؟

كريستين : نعم ـ يصدقه ـ الآن ـ ولكنى لا أعلم الى أى حد ــ

برانت : آه !

كريستين : ولهذا فقد طلبت اليه بكل الوسائل أن يذهب • فهـذه هى الطريقة الوحيـدة التى تتيح لى الفرصة لكى أحضر اليك • لقد ذهبا هذا الصباح ، ولا يعلمان أننى خرجت ، لا أستطيع أن أمكث كثـيرا يا آدم ـ يجب أن ندبر خطة لمواجهة الموقف • لقد حدثت أمور كثيرة لم أكن أتوقعها ـ وانما أتيت لأحذرك • • •

برانت : ش • ش • لننزل فى القمرة ! ان من الحماقة أن نتحدث هنا • (يحيطها بذراعه ويرشدها خـلال الباب والسلم المؤدى للقمرة ثم يغلق بابها بهدوء • تمر فترة قصـيرة يسمع فى أثنائها صوت البحارة على سفينته فى الميناء وهم يرددون أغانيهم الحزينة ثم يأتى أورين ولافينيا من الجهة اليسرى بمنتهى الخفة • لافينيا ترتدى ملابسها السوداء كالعادة • وأورين يرتدى معطفا فوق حلته العسـكرية ويضع الكاب فوق رأسـه مائلا نحو عينيه • تبـدو على لافينيا أمارات الصرامة والبرود وأورين فى أقصى حالات الغضب • يقتربان من القمرة فى صـمت وينحنى أورين لكى ينصت ويبـدو وجهه فى الضوء الخافت وقد امتلأ بالحقد والثورة والغضب ، لافينيا تضـع يدها على ذراعه كأنها تطلب منـه أن يتماسك وأن يسيطر على نفسه • (يخيم الظلام على المسرح بما معناه أن بضع دقائق قد مضت وحين يعود الضـوء من جديد يكون المنظر قد تغير فتظهر القمرة من الداخل وهى غرفة صغيرة دهنت جدرانها حديثا باللون الرمادى الفاتح وتوجد بها فتحة فى السقف كمـا توجـد بوصـلة بحرية موضـوعة فوق مائدة من خشب الصنوبر وحولها ثلاثة كراسى اثنـان الى جانب المائدة

مباشرة والثالث الى الخلف ، وفوق المائدة زجاجة ويسكى مملوءة الى النصف تقريبا وكوب ودورق ماء ٠وعند الحائط الأيمن سرير ضيق عليه وسائد جلدية مريحة وفى الناحية اليمنى من الحائط باب يؤدى الى غرفة ادارة القبطان وفى الناحية اليسرى بوفيه صغير ، وفوقه ساعة بحرية وفى الخلف باب آخر يفتح على الممشى المؤدى الى سطح السفينة الرئيسى والسلم يؤدى الى هذا الممشى وعلى البوفيه مصباح مضيء ٠٠٠ وفوق الحافة اليمنى للمائدة فانوس مضيء أيضا ٠ وقد جلس برانت الى يمين المائدة ، بينما جلست كريستين خلفها ، يبدو وجهها فى غاية الشحوب والكهولة، فمها مضغوط ومسحوب أسفل الى ركنيه ٠٠ ومنظرها العام ومظهر شعرها وملابسها يعطى صورة الهارب اللاجيء، حين يضاء المسرح تكون هى قد أوشكت على الانتهاء من سرد قصة الجريمة والأحداث التى تلتها ، وهو ينصت فى توتر بالغ ٠

يظهر أورين ولافينيا فوق سطح السفينة ، وقد انحنى أورين على الحاجز الخشبى واقترب لكى ينصت لكل ما يقال) ٠

كريستين : حين كان يحتضر أشار الى وقال لها : اننى مجرمة ٠٠ ثم بعد ذلك عثرت على السم ٠

برانت : (ينهض فجأة) يا الهى ! ــ لماذا لم ــ

كريستين : (بطريقة مثيرة للشفقة) لقد أغمى على قبل أن أتمكن من اخفائها ٠ لقد رتبت كل شيء بمنتهى الدقة والحذر وانى لى أن أتنبأ بأنها ستأتى فى هذه اللحظة بالذات ؟ وهل كنت أعلم أنه سيكلمنى بهذه الطريقة؟انه أفقدنى صوابى! لقد ظل يحدثنى عن الموت ! كان يعذبنى بكلماته ! كنت أريده أن يموت لكى يتركنى وحدى !

(تلوح فى عينيه نظرات غريبة تدل على الارتياح والتشفى)

قلت انه كان يعلم قبل أن يموت ابن من أنا ، أليس كذلك؟يا الهى يبدو لى أن هذا قد أثار جنونه الى أبعد حد!

كريستين : (تستطرد باشفاق) لقد أعددت كل شيء بدقة ، ولكن الأمور لم تسر فى طريقها الذى رسمته لها .

برانت : (يغلبه الحزن والقلق فيغوص فى كرسيه) كنت أعلم هذا ! كنت أشعر به فى أعماقى ، على أية حال ان هذا ما أستحق...ما حدث ، أو ما يحدث الآن ! ان هذا ليس هو الانتقام الذى أقسمت على جثمان أمى أن أنتقمه ، كان ينبغى أن أتصرف كما أردت ـ أن أبارز أزرا مانون . كأى رجلين يتبارزان من أجل امرأة ! (باحتقار بالغ لنفسه) ان دم أبى الجبان يسرى فى عروقى ! هذا هو السبب !

كريستين : آدم ! انك بهذا تجعلنى أشعر بأننى آثمة !

برانت : (ينهض ويقول بخجل) لم أقصد لومك ياكريستين (ثم بجفاء) فليس لدينا وقت للندم على أية حال . يجب أن نفكر فيما سنفعل .

كريستين : نعم ! اننى خائفة جدا من فينى ! أوه يا آدم ! يجب أن تعدنى بأن تكون على حذر فى كل وقت ! انها اذا أقنعت أورين بأنك حبيبى ـــ أوه ، لماذا لا نرحل من هنا يا آدم .. بعيدا عن متناول يدها ؟

برانت : ان « الفلاينج تريدز » لن تتمكن من الابحار قبل مضى شهر على الأقل . ولا نستطيع الحصول على حمولة السفينة بمجرد أن يفكر أصحابها .

كريستين : ألا نستطيع الرحيل على سفينة أخرى ـ كمسافرين . نذهب الى الشرق ونتزوج هناك .

برانت : (بكآبة) المدينة ستعلم أنك رحلت وهذا سيثير جوا من الريبة .

كريستين : لا . ان أورين ولافينيا سيكذبان على الناس . انهما سيفعلان ذلك من أجلهما . لا من أجلى أنا ، لكى يتجنبا

الفضيحة. سيقولان اننى ذهبت الى نيويورك عند والدى.
أوه يا آدم، هــذا هو الحل الوحيــد. اذا لم نبتعد عن لافينيا، فاننى أتوقع شيئا فظيعا.

برانت : (بحزن وقلق) نعم. ليس هنـاك حل آخر. ان سفينة « الاطلانتيس » ستبحر يوم الجمعة الى الصين. سـوف أتفق مع ربانها على أن يسمح لنــا بالسفر عليها، وأن يعتبر هذه الرحلة سرا. انها تبحر فى فجر الجمعة. أفضل أن نلتقى هنا مساء الخميس (ثم بجهد) وســوف أكتب لكلارك وداوسون الليــلة وأخطرهما بأن يبحثا عن ربان آخر « للفلاينج تريدز ».

كريستين : (تلحظ نبرة الألم فى لهجته فتقول بحزن) آدم ياحبيبى! اننى اعــلم مــدى الألم الذى تعانيــه وأنت تتخلى عن سفينتك.

برانت : (يرفع نفسه من المقعد شاعرا بالاثم، ويربت يدها ويقول برقة خشنة) هناك مئات السفن يمكن الحصول عليها. ولكن ليس هناك غير كريستين واحدة !

كريستين : اننى أشعر بالاثم يا آدم ! لم أجلب لك سوى المتاعب !

برانت : وجلبت لى الحب ـ وكل ماعدا هذا فهو ثمن الحب الذى يساوى أضعاف هــذا الثمن ملايين المرات، انك لى الآن (يضمها لصدره ويحدق فىرأسها بنظرات حزينة غريبة).

كريستين : (بصوت مرتعش) ولكننى خائفة ألا أكون الآن شــيئا يستحق أن تفخر بامتلاكه. لقد امتد بى العمر سنوات فى الأيام القليلة الأخيرة. لقد ذهب جمالى ولكنى سأشيده من جديد ـ لاجلك أنت ـ ســوف أعوضك عن كل شىء فقدته. حاول ألا تندم كثيرا على سفينتك يا آدم !

برانت : (بخشونة) فلندع الحــديث عن السفينة الآن. (ثم يغتصب ابتسامة ساخرة). سوف أهجر البحر لقــد نفض يده منى الآن فالبحر يرفض الجبناء.

كريستين : (تحاول باشفاق أن تدخل على قلبه السرور) لا تتكلم هكذا [illegible]

[illegible]

يقشعر بدنها) عجبا . لقد حدثنى أورين عن جزيرة ...
(فوق سطح السفينة يقوم أورين ـ الذى انحنى على القمرة ـ بحركة تنم على تهديد ووعيد • لافينيا تشد ذراعه لتحد من انطلاقه) •

برانت : (بحنين و يأس ومرارة) ـ الجزر المباركة ! ربما استطعنا أن نجد السعادة وأن ننسى الماضى • (ثم كأنما يخاطب نفسه) اننى أرى هذه الجزر أمامى الآن وهى على بعد ملايين الأميال ـ الأرض الدافئة الحنون الغارقة فى ضوء القمر ، والرياح التجارية التى تعبث بأشجار الجوز الهندى وأمواج الشاطىء الصخرى تعزف أنغامها الهادئة كأنها تغنى لطفل ينام • هناك ننعم بالسلام والنسيان ـ ليتنا نستطيع أن نجد هذه الجزر الآن •

كريستين : (بيأس) سوف نجدها •• نعم سنفعل (تقبله ، وتمر فترة قصيرة ، ثم فجأة تلمح الساعة بخوف) انظر الى الساعة ، يجب أن أذهب الآن يا آدم •

برانت : أستحلفك بالله أن تراقبى فينى . اذا حدث لك شىء ...

كريستين : لن يحدث شىء لى •• ولكن يجب أن تأخذ حذرك من أورين

[illegible]

(يتجهان نحو الباب) سندهب عبر السطح الرئيسى ،فهو أقصر ، وسوف أسير معك الى نهاية الرصيف • لن أذهب بعيدا • لئلا يرانا أحد •

كريستين : اذن فلدينا بضع دقائق قبل أن نقول وداعا ••
(يخرجان الى المشى ويغلق برانت الباب وراءه • تمر فترة قصيرة • فوق سطح السفينة يسحب أورين المسدس من جيب معطفه ويقوم بحركة معينة كأنه سيندفع وراءهما فى الطريق الرئيسى • لافينيا ـ التى كانت تخشى ذلك ـ تلقى بنفسها فى طريقه وتجذبه من ذراعه) •

أورين : (بغضب وبصوت هامس) دعينى أذهب •

لافينيا : لا • اهدأ • اننى أسمعهما على السطح الرئيسى • هيا الى القمرة • بسرعة ! (تدفعه اليها من باب المؤخرة ثم تغلق بابها خلفهما • وبعد لحظة يفتح الباب الأيسر للقمرة أسفل ويدخلان) انه ذاهب الى نهاية الرصيف • هذا يمنحنا فرصة لبضع دقائق (بتجهم) كنت تريد الدليل • حسنا • هل ارتاح ضميرك الآن ؟

أورين : نعم • لعنة الله عليه • ان الموت جزاء مناسب له ، كان يجب .

لافينيا : (بلهجة آمرة جادة) أورين • وعدتنى ألا تفقد نفسك • يجب أن تتصرف كما اتفقنا بحيث لا تكون هناك شبهة حولنا • أما اذا تهاونا فلن يرحمنا أحد •

أورين : (وقد نفد صبره) لقد قلت هذا الكلام كثيرا • هل تظنيننى أحمق لأشنق من أجل هذا الانسان الحقير • (ثم بعذاب ومرارة) لقد سمعتها تطلب منه أن يقبلها • وسمعتها تحذره منى • (يضحك ضحكة فاترة مخيفة) وجزيرتى ـ التى حدثتها عنها ـ والتى كانت هى فى نظرى ـ تريد الآن ان تذهب اليها معه • (ثم بغيظ) لعنة الله عليك لماذا منعتنى من اللحاق بهما ؟ كنت أريد أن أقتله وأخرج أحشاءه أمام عينيها •

لافينيا : (باحتقار) تقتله فوق سطح السفينة ، بحيث تسمع الطلقة فيقبض علينا فورا ـ ثم نضطر لأن نقول الحقيقة لكى ننقذ أنفسنا وهذا معناه أن تشنق هى ، وحتى لو حاولنا الهروب فان حياتنا ستحطم • الشخص الوحيد الذى سيكون محظوظا هوبرانت نفسه • لأنه سيموت سعيدا وهو واثق تماما من أنه انتقم لنفسه منا بصورة أكبر بكثير مما اجترأ وتمنى • هل هذا هو ما تريد ؟

أورين : (بكآبة) لا •

لافينيا : اذن لا تتصرف بحماقة مرة أخرى (تنظر فى القمرة نظرات متفحصة ثم تقول بلهجة آمرة) اذهب واختبىء فى الخارج• انه لن يراك وهو يعبر الممر الضيق فى الظلام • سوف يتجه الى هنا مباشرة •• وهذا وهو وقتك •••

أورين : (يتجهم) اننى أعرف ما ينبغي على أن أعمله• لقد مارست هذه اللعبة مدة كافية ــ شكرا لك ولأبى •

لافينيا : اخرج الآن • بسرعة • سوف يعود حالا •

أورين : (يتجه نحو الباب ثم يقول بسرعة) أسمعه قادما • (يخرج فى صمت ، وتختفى لافينيا بجانب « البوفيه » الصغير الى اليسار الأمامى • تمر لحظة ثم يظهر برانت فى المشى • ويقف قليلا داخلا وعيناه تطرفان فى الضوء وينظر حوله فى حزن) •

برانت : (بصوت أجش) الى اللقاء اذن أيتها «الفلاينج تريدز» انك على حق فلست الرجل الذى يصلح لقيادتك • (اورين يخطو خطوتين الى الأمام ويصوب المسدس الى جسم برانت ، ويطلق مرتين • برانت يتمايل ويترنح على الأرض بجانب النضد • يدور وينقلب على ظهره ثم تخمد حركته الى الأبد • اورين يندفع من مكمنه ويقف بجانب الجثة وقد صوب اليها مسدسه على استعداد لأن يطلق مرة أخرى) •

لافينيا : (تحملق بارتياح فى وجه برانت الخالى من الحياة) هل مات ؟

أورين : نعم .

لافينيا : (بحدة) لا تقف هنا . أين الازميل الذى أحضرته ؟ حطم كل شيء فى غرفة الادارة . يجب أن نجعل الأمر يبدو كأن لصوصا قتلوه . تذكر هذا ! خذ أى شيء ذا قيمة . وسوف نلقيه فى البحر فيما بعد . أسرع ، (أورين يضع مسدسه على المائدة ويتناول الازميل من جيب معطفه ويتجه نحو غرفة الادارة . تمر لحظة ، ثم يسمع صوت أخشاب تتحطم وصوت أدراج تفتح برافعة) .

لافينيا : (تتجه ببطء نحو الجثة وتنظر الى وجه برانت . يتجمد وجهها ويصبح خاليا من أى تعبير . تمر فترة صمت قصيرة . يسمع أورين فى غرفة برانت وهو يفتح مكتبه ويلقى على الأرض بمحتويات أدراجه . وأخيرا تخاطب لافينيا الجثة فى لهجة مريرة مخيفة) كيف استطعت أن تحب مثل هذه المرأة الشريرة العجوز مثل هذا الحب العنيف ؟ (تبعد هذه الفكرة عن ذهنها وتقول بجفاء) ولكنك ميت .. لقد انتهى كل شيء . (تبتعد عنه بثبات وفجأة تلف وتقف جامدة مرفوعة الرأس ثم تصلى ببرود كأنها تؤدى واجبا) فليغفر الله لك خطاياك ولترقد روح ابن عمنا آدم مانون فى سلام . (يدخل أورين وتلتقط أذناه الكلمات الأخيرة من صلاتها) .

أورين : (بجفاء) تقصدين ـ ترقد فى الجحيم (يتقدم نحوها) لقد حطمت كل ما وجدته .

لافينيا : اذن هيا بنا بسرعة . هذا مسدسك ، اياك أن تنساه . (تتجه نحو الباب .)

أورين : (يضعه فى جيبه) يجب علينا أن نفتش جيوبه ، لنجعل الأمر يبدو وكأنه سرقة (يفتش جيوب برانت ويفرغها من

محتـــوياتها ، المسدس وبعض الفواتير والأوراق الماليـــة وساعة وسلسلة مفاتيح مدية يضعها في جيبه) ســـوف أقذف هذه الأشياء جميعها في البحر ، هي وكل ما وجدته في غرفته (بعد أن ينتهي من تفتيش جيوبه يظل منحنيا على الجثة ويحدق في وجـــه برانت وقد تألقت عيناه • بتعبير غريب مسحور) •

لافينيـــا : (بقلق) أورين •

أورين : يا الهي ، انه يشبه أبي •

لافينيـــا : لا • هيا بنا •

أورين : (كأنه يتحدث الى نفسه) لقد حلمت بمثل هذا • لقـــد قتلته من قبل • مرة بعد مرة •

لافينيـــا : أورين !

أورين : هل تذكرين أنني قلت لك : ان وجوه الرجال الذينقتلتهم تعود في مخيلتي من جديد وقد تحولت الى وجه أبي • ثم تتحول أخيرا الى وجهي أنا ؟ (يبتسم ابتسامة كئيبة) انه يشبهني تماما ربما أكون قد انتحرت !

لافينيـــا : (تجذبه من ذراعه وتقـــول بانزعاج) أسرع ! قد يحضر شخص ما !

أورين : (يسترسل في الحديث بغرابة ، وما زال يحدق في جثة برانت) لو أنني كنت مكانه لفعلت ما فعـــل ! ولأحببتها كما أحبها هو ــ ولقتلت أبي أيضا ــ من أجلها !

لافينيـــا : (تهزه بشـــدة وتوتر) أورين ، أستحلفك بالله أن تكف عن الحديث بهذه الصورة المجنونة وهيا بنا ! هل تريد أن يجدنا أحد هنا ؟ (تشده بعيدا بعنف) •

أورين : (يلقي على الرجل الميت نظرة أخيرة) عجبا • انها مجـــرد نكتة قذرة فاسدة على انســـان ما (يترك نفسه لها لكي تدفعه الى الممر الضيق) •

ســــتار

الفصل الخامس

(نفس المنظر فى الفصل الثالث من العودة من الميدان • منزل مانون من الخارج • مساء الليلة التالية • ضوء القمر بدأ ينساب من السماء • الظلال الداكنة لأشجار الصنوبر تحجب نصف المنزل الأيمن ، أما الجزء الذى على يسار المدخل فيغمره ضوء القمر • الباب الأوسط مفتوح • وهناك أضواء تنبعث من البهو خلفا • النوافذ جميعها مغلقة مصاريعها •

يرفع الستار عن كريستين وهى تتمشى جيئة وذهابا على الطريق أمام الرواق متنقلة من النور الى الظلام ثم من الظلام الى النور وقد بدا عليها القلق والتوتر والاضطراب • ترى شخصا ما آتيا من الطريق من الناحية اليسرى ويبدو بوضوح أنها كانت تنتظره فتسرع لملاقاته) •

* * *

هيزيل : (تدخل من الناحية اليسرى وتقول وعلى شفتيها ابتسامة رقيقة) لقد أحضر لى ست رسالتك ، فأسرعت اليك على الفور •

كريستين : (تقبلها وتقول بترحيب غير طبيعى) اننى سعيدة جدا بمجيئك ! أعلم أنه كان ينبغى ألا أزعجك •

هيزيل : ليس هناك ازعاج على الاطلاق مسز مانون • اننى فى منتهى السعادة اذ أقضى الوقت معك •

كريستين : اننى أشعر بحزن شديد يا هيزيل • وأعصابى متوترة للغاية لقد سمحت لحنة وآنى وأن تقضيا فترة المساء فى الخارج • اننى وحيدة تماما (تجلس على المقعد) تعالى

نجلس هنا . فلست أطيق جو المنزل . (تجلس هيزيل الى جانبها) .

هيزيل : (بمواساة) أعرف هـــذا . لا بد أنك تشعرين بوحدة مريرة . انك ولا شك تفتقدينه كثيرا .

كريستين : (بقشعريرة) أرجـــوك لا تتكلمى عن ـــ لقد دفن ... وانتهى .

هيزيل : (برقة) انه يرقد فى سلام مسز مانون .

كريستين : (فى سخرية مريرة) لقـد كنت مثلك ذات يوم . كنت أومن بالجنة ولكنى الآن موقنة بأنه لا يوجد سوى الجحيم !

هيزيل : ش . ش ! لا يصح أن تقولى ذلك .

كريستين : (تنهض واقفـة ــ وتغتصب ابتسامة) اننى غير مناسبة لصحبة فتاة صغيرة فالمفروض أن تكونى محاطة بالشباب والجمـــال والانطلاق . أما أنا فعجــوز وقبيحة ومهددة بالموت . (ثم تقول فى لهجة يائسة كأنها تخاطب نفسها) لا يمكن أن أصبح قبيحة . لا يمكن !

هيزيل : انك منهارة بصورة مخيفة وعليك أن تجاهدى .. وتنامى

كريستين : أنا لا أعتقد أن النوم له وجود فى هذا العالم . ان الانسان لا يشعر بلذة النـــوم الحقيقية الا بعد الموت ! انها اللذة الوحيدة التى ينعم بها الانســـان بعد أن تنتهى أحزانه ومخاوفه ! (ثم تغتصب ضـحكة) يا الهى . انها مسألة مرهقة بلا شك ، أن تنصتى الى أفكارى القاتمة هـذه . اننى بشرفى لم أبعث اليك لكى أثقل عليـك بهذه الأفكار لقد كنت أريد أن أسأل هل وصلك ــ أوبيتر ــ شيء من أورين وفينى .

هيزيل : (بدهشة) كيف ، كلا . اننا لم نرهما منذ الجنازة .

كريستين : (تغتصب ابتسامة) يبدو أنهما قد هجرانى (ثم بسرعة) أقصد أنه كان يجب أن يعودا الى البيت قبل الآن . لقد ذهبا الى بلاكريدج لكى يقضـيا السهرة مع آل برافورد .

ولا أتصور ما الذى منعهما من العودة حتى الآن •

هيزيل : اذن فليس ثمة ما يدعو للقلق • ولكنى لا أفهم كيف يمكن أن يتركاك وحدك ــ فى هذه الفترة بالذات •

كريستين : المشكلة ليست هنا • اننى أنا التى حثثتهما على الذهاب • لقد ذهبا بعد الجنازة مباشرة ، وبعد ذلك فكرت فى أنها فرصة مناسبة لأن أذهب الى نيويورك ، لأرى والدى • انه مريض كما تعلمين • ولكنى وجدته فى صحة جيدة،ولهذا قررت أن أعود الى البيت الليلة الماضية • لقد توقعت أن تعود فينى وأورين ظهر اليوم • ولكن ها قد أتى المساء ، وليس ثمة ما يدل علـى قرب عودتهما • يجب أن أعترف بأننى قلقة وخائفة • انك لا يمكنك أن تدركى مدى الرعب الذى يسيطر على نفس انسان يقضى الليل كله وحيدا فى هذا المنزل الموحش • (تنظر الى المنزل خلفها بضيق) •

هيزيل : هل يرضيك أن أقضى الليلة معك ••• أعنى اذا لم يعودا ؟

كريستين : (بلهفة) أوه ، صـــحيح ؟ (تغرورق عينـــاها بدموع هستيرية ــ تقبل هيزيل بشكر زائد) لا أستطيع أن أعبر لك عن مدى تقديرى وشكرى!انك طيبة للغاية يا هيزيل! (ثم تغتصب ضحكة) ولكنى أعتبرها قلة ذوق أن أطلب منك أن تواجهى مثل هـــذه المحنة • اننى لا أستطيع أن أظل هادئة • اننى أشعر بالرعب من أى صوت ، ولهــذا أعتقد أنك ستقضين الليل بطوله ساهرة •

هيزيل : ان فقد قليل من النوم لن يضرنى على الاطلاق •

كريستين : يجب ألا أنام ! اذا رأيتنى أوشـــــك أن أنام فيجب أن توقظينى !

هيزيل : ولكنك فى أشد الحاجة الى النوم •

كريستين : نعم ••• فيما بعد ••• ولكن ليس الآن • يجب أن أظل يقظة • (فى يأس وتوتر) اننى أتمنى لو يعــود أورين وفينى !

هيزيل : (بقلق) ربمــا أصيب أورين بأى مرض حال بينه وبين العودة ، أوه ، أرجو ألا يكون هـــذا هو السبب • (ثم تنهض) ما دمت أنوى قضاء الليل هنـــا ، فيجب على أن أذهب للبيت لأخبر أمى حتى لا تقلق على •

كريستين : نعم ، يجب أن تخبريها • (ثم بانزعاج) ولكن أرجـــو ألا تتأخرى اننى خائفة • خائفة من الوحدة •

هيزيل : (تقبلها بشفاق) سوف أعود بأسرع ما يمكننى (تسير منحدرة فى الطريق يسارا بعيـــدا تلوح لهـــا بيدها وهى تبتعد شيئا فشيئا حتى تختفى تقف كريستين الى جانب المقعد ـ ثم تعاود المسير جيئة وذهوبا •

كريستين : (تلمح عيناها شيئا ما فى الطريق فتقول فى صوت هامس متوتر) لقد قابلت شخصا ما عند البوابة ! أوه ، لماذا أنا خائفة الى هـــذا الحـــد ! (يسيطر عليها الذعر الشديد فتستدير وتجرى نحو المنزل ـ ثم تقف على قمة الســلم وتنظر حولها ، وقد استندت على أحد الأعمدة ليحميها من الانهيار) يا الهى ، اننى خائفة ! (بعد لحظة يظهر أورين ولافينيا من الجهة اليسرى • لافينيا مرفوعة الرأس ووجهها صارم ، وعيناها قاسيتان وفمها ينم عن عزم فى تجهم • أورين فى حالة هياج فظيع وهو يحمل جريدة فى يده) •

أورين : (يتحدث الى فينى وهما داخلان ـ ويقول بجفاء) دعينى أدر الحديث • اننى أريد أن أكون ـــ (يرى أمه فيقول بانزعاج) أمى • (ثم بسخرية تنم عن حقد ورغبـــة فى الانتقام) آه • ها أنت تنتظريننى لدى عودتى ـ على الأقل هذه المرة !

كريستين : (بتلعثم) أورين • ما الذى أخرك حتى الآن ـــ ؟

أورين : لقد التقينا بهيزيل منذ دقيقة وقالت لنا انك كنت خائفة جدا لأنك وحدك هنا • ان هذا الأمر غريب ـ فأنت لست وحدك ، وانما معك ذكرى أبى !

كريستين : هل قضيت كل هذه المدة مع آل برادفورد ٠

أورين : لم نذهب الى آل برادفورد ؟ .

كريستين : (بغباء) ألم تذهبا الى بلاكريدج ؟

أورين : أخذنا القطار في اتجاهنا الى هناك ولكننا قررنا أن نواصل السفر الى بوسطن بدلا من بلاكريدج ٠

كريستين : (بانزعاج شديد) الى ٠٠٠ بوسطن ؟

أورين : وفي بوسطن انتظرنا حتى أتى قطار المساء ٠ وقابلنا هذا القطار ٠

كريستين : آه ٠

أورين : لقد خطرت لنا فكرة هي أنك قد تنتهزين فرصة ذهابنا الى بلاكريدج فتستقلين هذا القطار ٠ وقد حدث ذلك بالفعل ثم تبعناك الى حيث ذهبت لزيارة عشيقك في قمرته !

كريستين : (تبذل مجهودا مثيرا للرثاء لكي تتظاهر بالغضب) أورين كيف تجرؤ على أن تكلمني بهذه الطريقة (ثم بانكسار) أورين لاتنظر الى هكذا ! أخبرني ٠٠٠

أورين : أجل ٠٠٠ عشيقك ٠ لا تكذبي لقد كذبت ما فيه الكفاية يا أمي ٠ لقد كنت على سطح السفينة أنصت لكل شيء ٠ ماذا كنت تفعلين لو اكتشفت وجودي ؟ هل كنت تطلبين من عشيقك أن يقتلني يا أمي؟لقد سمعتك بنفسي تحذرينه مني وتحرضينه ضدي ولكن تحذيرك لم يثمر ٠

كريستين : (بذهول) ماذا ٠٠٠ ؟ ماذا حدث ؟ أخبرني ٠٠٠ !

أورين : لقد قتلته ! ٠٠٠

كريستين : (ينطلق منها صرخة رعب) أوه ٠٠٠ أوه ٠ لقـــد كنت أعرف هذا ٠ (ثم ـ تتشبث بأورين) لا ٠٠٠ يا أورين ٠ مستحيل !٠٠ مستحيل ! انك تحبني ـ وانك مســـتعد للدفاع عني وحمايتي ـ لحماية أمك ـ انك لا يمكنك أن تقتل ٠٠٠ !

أورين : (يدفعها بعيدا عنه بجفاء) لقد أمكن أن تقتلي أبي ، أليس كذلك ؟ (يعطيها الجريدة بشدة كأنه يطعنها بها ويشير

الى القصة) انظرى · اقرئى ، اذا كنت لا تصدقيننى · لقد اشترينا هذه الجريدة فى بوسطن لكى نرى من ستتشك فى أمره الشرطة · انها مجرد سطور قليلة · ان برانت لم يكن مهما ـ الا بالنسبة لك· (تنظر الى الجريدة فى رعب ودهشة · ثم تدعها تسقط من بين أصابعها · وتتهاوى على الدرجة السفلى من السلم وتظل تبكى بشدة وقد عقدت يديها فى ألم عميق · أورين يبتعد عنها ويخطو بضع خطوات بجانب السلم الذى تقف لافينيا الى يساره بشكل يوحى بالصرامة والجمود وقد بدت كأنها تضع قناعا على وجهها) ·

أورين : (بجفاء) انهم يفكرون تماما كما توقعنا أن يفكروا ـ انهم يعتقدون أن الذين قتلوه هم القراصنة · ليس ثمة ما يربطنا بمقتله (يقف الى جانب أمه وهى تشخص ببصرها الى الأمام وقد عقدت يديها وراحت تنتحب· يقول ـ بلا وعى ـ) أمى لا تنوحى هكذا ! (لا يبدو عليها أنها سمعته ـ يعود من جديد الى السير جيئة وذهابا وقد ظهر عليه الاستياء الشديد) لماذا تحزنين هكذا على شخص هو ابن خادمة وابن سفاح ؟ أعرف أنه هو الذى دبر قتل أبى أما أنت فمن المستحيل أن تفعلى ذلك ! لقد سيطر عليك وسيرك وفقا لرغبته لكى ينتقم لنفسه · لقد نومك تنويما مغناطيسيا ! لقد رأيت أنك لم تكونى أنت نفسك عند عودتى ،واكتشفت ذلك منذ اللحظة الأولى · هل تذكرين؟ ترى كيف حدث أن صورت لك نفسك أن تحبى مثل هذا الخنزير الوضيع ! وكيف سولت لك نفسك أن تقولى ذلك الكلام (يقف أمامها) لقد سمعتك وأنت تتفقين معه على الذهاب الى الجزيرة التى حدثتك عنها ـ جزيرتنا ـ أنت وأنا (مرة أخرى يسير جيئة وذهابا مشتت الفكر بينما هى تظل كما كانت من قبل الا أن نواحها بدأ فى الضعف · أورين يقف أمامها مرة أخرى ويمسكها من

كتفيها ويركع على السلم أمامها ويتوسل اليها فى يأس) أمى ! لا تنوحى هكذا ! انك ما زلت واقعة تحت نفوذه وسيطرته ! ولكنك ستنسينه ! سوف أجعلك تنسينه ! سوف أجعلك سعيدة ! سوف نترك فينى هنا ونذهب معا فى رحلة طويلة ـ الى بحار الجنوب ٠

لافينيا : (بحدة) أورين !

أورين : (بدون أن يلتفت اليها ، يحدق فى وجه أمه التى توقفت عن النواح الآن وبدأ الرعب فى عينيها يتحول الى شعور آخر لا معنى له ، والتعبير المرتسم على شفتيها يتجمد فى صورة من الحزن الخامد ٠ لا يبدو عليها أنها سمعته ٠ أورين يهزها فى يأس) أمى ٠ ألا تسمعيننى ؟ لماذا لا تتحدثين الى ؟ هل يبقى حبك له على الدوام ؟ أتكرهيننى الآن ؟ (يركع على ركبتيه أمامها) أمى ٠ ردى على ٠ قولى انك سامحتنى ٠

لافينيا : (باحتقار مرير) أورين ٠ أبعد كل ما حدث تعود طفلا مرة أخرى ؟ (ينهض أورين وينظر اليها باضطراب ، كأنه لا يشعر بوجودها ٠ لافينيا تتكلم مرة أخرى فى لهجة آمرة حاسمة تعيد الى الأذهان لهجة أبيها) اتركها وحدها ٠ ادخل الى المنزل (تلحظ تردده فتقول بحدة أكثر) هل تسمعنى ؟ سر !

أورين : (يؤدى التحية العسكرية بحركة آلية مضطربة ويقول بغموض) نعم يا سيدى ٠ (يسير بطريقة آلية وينظر الى المنزل بطريقة غريبة) لماذا تظل النوافذ مغلقة ؟ لقد مات أبى ٠ يجب أن ندع ضوء القمر يدخل البيت ٠ (يدخل المنزل ٠ لافينيا تأتى وتقف بجانب أمها ٠ كريستين تواصل النظر أمامها بذهول ٠ وجهها أصبح قناعا لموت فاجع ٠ لا يبدو عليها ما يدل على أنها واعية بوجود ابنتها ٠ لافينيا تنظر اليها بعينين مليئتين بالرهبة والادانة) ٠

لافينيـا : (أخيرا تتكلم بجفاء وعنف) . لقد نال جزاءه العادل عن جريمته . أنت تعلمين أن العدالة هى التى اقتصت منه . لقد كانت هذه هى الطريقة الوحيدة لتنفيذ العدالة الحقة (تنزعج أمها . الكلمات تحطم خمودها الذى كان بها رحيما وتثير لواعجها وأحزانها من جـديد . تنهض فجأة على قدميها وترمق ابنتها بنظرة مخيفة يتصـارع فيها الكره المرير مع الرعب والجزع . تتأثر لافينيا بهذه النظرات رغم محاولتها السيطرة على نفسها . كريستين تتراجع الى الوراء وقد ركزت عينيها على لافينيا حتى تصـل الى قمة السلم . بين العمودين فى الرواق أمام باب المنزل . لافينيا تقوم فجأة بحركة كانما لتوقفها . تخرج الكلمات مضطربة كأنها لا تعنيها ولا تقولها بارادتها) أمى ماذا أنت فاعلة ؟ يمكنك أن تعيشى ؟

كريستين : (ترمقها بنظرة قاسـية كما لو كانت هـذه هى الاهانة الأخيرة فتقول بسخرية) أعيش ؟ (ثم تنفجر فى ضحكة عالية ـ تكتم الضحكة فجأة وترفع يديها بين ابنتها وبين وجهها ثم تدفعهما بعيدا بطريقة تعنى أنها تريد أن تبتعد عن ناظريها الى الأبد . ثم تستدير وتدخـل الى المنزل . لافينيا تهم بأن تتبعها ولكنها تكبت هذا الدافع على الفور وتولى ظهرهـا للمنزل بمنتهى الاصرار وتقف مرفوعة الرأس كحارس متجهم مصفر الخد فى ثياب سوداء

لافينيـا : (تحـدث نفسها بحقد وغل) انها العدالة (يتناهى من بعيد .. من الشارع يمينا صوت سث الرفيع يردد أغنيته الحزينةالمحبوبة « شيناندوه » وهو يقترب من البوابة الى الممشى ، عائدا من زيارته المسائية للصالون) .

أوه شيناندوه ، اننى مشتاق اليك .
ألا ابتعد أيها النهر المنساب .

أوه شيناندوه ، لا أستطيع أن أقترب منك .
اننى مقيد بعيدا عنك .
وراء نهر ....

(يتناهى من داخل المنزل صوت طلقة مسدس من ناحية أرض المنزل يسارا حيث غرفة مكتب أزرا مانون · لافينيا تقشعر وتتلاحق أنفاسها وتعود الى السلم تهم بأن تصعد ، ثم تقف مرة أخرى وتقول بارتباك وذهول) انها العدالة ! عدالتك يا أبى ! (يسمع صوت أورين من غرفة الاستقبال يمينا هو يقول : «ما هذا» · صوت باب يغلق بشدة ثم تنبعث صرخة مروعة من أورين حيث يجد جثة أمه · وبعد دقيقة يندفع الى الخارج نحو لافينيا بهوس وجنون) ·

أورين : فينى ! (يمسك ذراعها بشدة ويقول بارتباك وتشتت) أمى ــ لقد أطلقت على نفسها الرصاص ــ مسدس أبى ــ استدعى طبيبا (ثم بألم ويأس) لا ــ لقد فات الأوان ــ انها ميتة (ثم بقسوة) لماذا ــ لماذا انتحرت يا فينى ؟ (ينتابه شعور مؤرق بالذنب) أنا الذى دفعتها الى ذلك · لقد أردت أن أعذبها · انها لم تستطع أن تسامحنى · لماذا تفاخرت بأنى قتلته ؟ لماذا ؟ ·

لافينيا : (تضع يدها على فمه بانزعاج) اهدأ ·

أورين : (يبعد يدها عن فمه بشدة) لماذا لم أجعلها تصدق أن اللصوص هم الذين قتلوه ؟ اذن لما كرهتنى ولأمكن حينئذ أن تنساه واتجهت بعواطفها نحوى (تنتابه حالة جنون ويقول بلهجة من يتوعد نفسه) لقد قتلتها ··

لافينيا : (تجذبه من كتفيه) بالله عليك ، هل يمكن أن تهدأ ؟

أورين : (يحاول بشدة أن يفلت منها) دعينى أذهب · يجب أن أذهب اليها · يجب أن أجعلها تسامحنى ·· أنا ··· (ينفجر باكيا فجأة بطريقة هيستيرية · لافينيا تحيطه بذراعيها محاولة تهدئته وهو ينتحب يائسا) ولكنها ماتت ــ ماتت · انتهت · كيف يمكن أن أجعلها تغفر لى الآن ؟ ·

لافينيــا : (ملاطفة) ش ... ش . اننى ما زلت لك ، أليس كذلك اننى أحبك وسوف أساعدك على نسيانها . (يتجه نحــو المنزل وما زال يبكى بيأس ومرارة صــوت ست يأتى من يمين الطريق قريبا :

انها بعيدة .. عبر الماء العاصف ..

وأنا مقيد بعيدا .. بعيدا ..

(يدخل من الجهة اليمنى فى الصدر وتلتفت لافينيا اليه لتواجهه)

ست : (وهو يقترب منها) فينى ، هل سمعت الطلقة ... ؟

لافينيــا : (بحدة) اذهب للدكتور بليك وأخبره أن أمى قد انتحرت فى لحظة من لحظات حزنها الشديد على أبى . (ثم تقول بحدة أكثر وهو يحدق فيها بدهشة وذهول وقد خلا وجهه من أى تعبير) هل تذكر أن تخبره بذلك ؟

ست : (ببطء) نعم .. سوف أخبره يا فينى .. أى شيء تقولين (تبدو الكآبة على وجهه وهــو يبتعد فى الاتجاه اليمينى أماما . تستدير لافينيا وتتبع أورين الى داخل المنزل .. بجسد منتصب فى صلابة ووجه عابس شبيه بالقناع) .

ســـتار

القسم الثالث

حَيث تعود الأرواح

مسرحية ذات أربعة فصول

الأشخاص

لافينا مانون :
أورين : شقيقها
بيتر نيلز :
هيزل : شقيقته
ست :
ايموس ايمز :
ايراماكل :
جوسيلفا :
ابنر سمول :

المناظر

الفصل الأول : المنظر الأول : منزل مانون من الخارج ـ مساء يوم من صيف ١٨٦٦ .

الفصل الأول : المنظر الثانى : غرفة الجلوس بالمنزل بعد المنظر الأول مباشرة .

الفصل الثانى : غرفة المكتب ـ مساء يوم فى الشهر التالى .

الفصل الثالث : غرفة الجلوس ـ بعد الفصل الثانى مباشرة .

الفصل الرابع : كالمنظر الأول من الفصل الأول ـ منزل مانون من الخارج بعد ظهر اليوم الرابع .

الفصل الأول

بيت الأشــــباح

أو « حيث تعود الأرواح »

المنظر الأول

(منزل آل مانون من الخارج « كما فى المسرحيتين السابقتين » بعد عام من الفصل السابق . الوقت بعد غروب الشمس بقليل فى ليلة من ليالى الصيف الصافية .. والشفق الأحمر يغمر واجهة المعبد البيضاء بالضوء الهادىء .. وأعمدة الرواق تلقى ظلالها على الجدار خلفها ... النوافذ كلها مغلقة والباب الخارجى موصد ومحاط بألواح الخشب مما يدل على خلو المنزل من الأحياء .

مجموعة من خمسة رجال تقف على الطريق بجانب المقعد الى اليسار .. هم سث بيكويذ وايموس ايمز اللذان ظهرا فى الفصل الأول من « العودة » والآخرون هم ابنر سمول وجوسيلفا وايراماكل .. هؤلاء الأربعة ايمز وسمول وسيلفا وماكل ـ كأهل المدينة فى الفصل الأول من « العودة » و « المطارد » ـ فرقة من نماذج تمثل المدينة وتقوم بدور الخلفية البشرية لمأساة آل مانون .

ابنر سمول عجوز صغير الجسم ضامره فى الخامسة والستين يعمل كاتبا بمخزن للحديد والآلات وهو ذو شعر أشيب ولحية كثة وعينين براقتين متسائلتين وبشرة محمرة وصوت حاد أجش .. سيلفا ربان سفينة صيد

.. وشعر رمادى وشارب أشهب كبير وفى الستين من عمره . أما ماكل المزارع فيتوكأ على عصا .. ووجهه اللامع الملىء بالتجاعيد مستطيل وذو لحية مربعة بيضاء .. وهو أصلع ذو عينين ماكرتين تميلان للصفرة وهو يتكلم بثرثرة لاهثة ممطوطة . الرجال الخمسة فى حالة سكر . فى يد ست ابريق من الفخار .. انه جو مضحك لصبية فى عبث محرم بالنسبة لهؤلاء الشيوخ) .

سمول : الله أكبر . هل أنت مقيد بهذا الابريق يا ست ؟ .

ماكل : له الله .. أصبح بخيلا فى أرذل العمر .

سيلفا : (ينفجر فى الغناء) زجاجة من البيرة وأخرى من الجن . وثالثة من الويسكى الأيرلندى .
فى الصباح الباكر .. يحب البحار زجاجته

ايمز : (بتهكم) تحب زجاجتك الا اذا وقعت عليك عينا امرأتك العجـــوز .

سيلفا : انها فى زيارة أهلها فى نيوبدفورد ـ وماذا يهمنى بالله ؟
(ينفجر فى الغناء) هوراه هوراه .. أغنى للعيد .
هوراه هوراه . أهلها أطلقوا سراحى .

ايمز : (يلكزه فى ظهره) عليك اللعنة . جو .. انك فى طريقك لتصبح شاعرا (الجميع يضحكون) .

سمول : الله أكبر . أليس لك قلب ياست ؟ أكاد أهلك لحاجتى للشراب بينما يجمد الابريق فى يدك (يمد يده نحوه) .

ست : لا لن تأخذه فقد فطنت للعبتك (يغمز بعينه للآخرين) انه يحاول اصطناع الشجاعة خوفا من الأشباح فقد يأتى أحدها ويجلس على حجره . يالك من خبيث يا ابنر .. تريد التهام شرابى لأخسر الرهان .

ماكل : حقا ياست .. لاتدعه يخدعك .

جو : والله .. اذا كانت الأشباح تبدو كالأحياء فاننى أسمح بأن

يجلس شبح زوجة ازرا على حجرى (يضم شفتيه فى خبث) .

ايمز : وأنا أيضا . فقد كانت حسناء .

سمول : (يتطلع الى المنزل فى قلق ورهبة) يقال: ان شبحها يحوم حول هذا المكان .

ست : (ينظر غمزا الى الآخرين) شبحها وسواها .. ان المقبرة مليئة بالمانون .. وهم يقضون لياليهم فى التجول هنا .. لا تخف يا ابنر فمعك من الرفاق الكفاية (يضحك الآخرون ضحكات مغتصبة اما سمول فيبدو شاحبا) .

سمول : (يتطلع الى المنزل فى قلق ورهبة) يقال : ان شبحها يحوم الأفكار السوداء (يتظاهر بالشجاعة وعدم المبالاة) أتظن أنك تستطيع أن تخيفنى ؟ ليس هناك شىء اسمه أشباح .

ست : وأنا أقول : انك تخشى اثبات ما تقول ـ اننى على استعداد للرهان أمام شهود . سأدخلك منزل المانون وأراهن بعشرة دولارات وجالون من الشراب اذا بقيت لطلوع القمر فى العاشرة مساء ـ اذا خرجت قبل ذلك خسرت. وعليك أن تبقى هناك فى الظلام فلا تشعل حتى عود ثقاب .. موافق ؟ .

سمول : (يصطنع الشجاعة) موافق .. وانه ليبدو كأنى أسرق منك عشرة دولارات .

ست : سنرى (بضحكة مستهترة) والمفروض انك تدخل وأنت فى وعيك .. لا فى تمام وعيك فلست قاسى القلب ، وأنا لا أقدم على ما أنت مقدم عليه ومعى جالون من الشراب تحت حزامى (يعطيه الابريق) تفضل خذ جرعةكبيرة .. انك تبدو شاحبا للغاية .

سمول : لا شىء من هذا (يرفع الابريق ويرشف كمية كبيرة) .

ماكل : يا الهى . انه يشرب بدلا منا جميعا (يتناول الابريق من

سمول ويشرب منه قليلا ثم يمرره على زملائه حتى يعود الى ست) .

سمول : حسنا .. دعنى أدخل قبل أن يحل الظلام لأعرف مكانى وأنا أرى .

ست : أظنك تستطيع ــ ولا أريد أن تقلب الأثاث وتكسر الأشياء حين تطاردك الأشباح فان فينى وأورين قد يصلان من الصين قريبا وستلومنى جدا اذا كسر شيء . (يصله الابريق .. يأخذ رشفة ثم يضعه على الطريق) تعال . لقد انتزعت المسامير اللولبية من هذا الباب (يتجه نحو الواجهة وسمول يتبعه وهو يصفر غير مهتم) .

سمول : (للآخرين وهم بمكانهم) الى اللقاء يا رفاق سوف نحتفل بالدولارات العشرة احتفالا رائعا .

ماكل : (بخبث) ربما . هل تحب أن أكون من حاملى بساط الرحمة يا ابنر ؟ .

ايمز : أما أنا فسأريح زوجتك العجوز اذا فرض أنها تحتاج للراحة وأغلب الظن أنها لن تحتاج اليها .

سيلفا : وسأروى قبرك كل أحد بعد الكنيسة ــ والله ان هذا يناسبنى ــ فأنا لا أنسى أصدقائى الراحلين .

ست : (من الشرفة) سنلتقى ياجو .. اذا لم يمت داخلا فسنغرقه (يضحكون . سمول يشعر بمرارة ويبدو له ان هذا اللون من المزاح خال من الشعور .. الضوء يخفت ويبدأ الظلام) .

سمول : الى الجحيم أنتم (ست يحرك الباب الكبير ثم يفتح الباب الداخلى) .

ست : تعال ــ سأريك أنسب مكان لتقيم صلواتك . (يدخلان .. الآخرون فى الخارج يظهرون شيئا من الجد) .

ايمز : (معبرا عن رأى الجميع) كل الأمكنة سواء . . لست أحب أن أكون فى مكان أبنر فلا طاقة لى بهم .

ماكل : أتعتقد فى الأشباح يا أيموس ؟ .

ايمز : ربما .. من يجزم بعدم وجودها ؟ .

ماكل : نعم أؤمن بها .. خـذ مثلا منزل « أسانيمز » .. قتـل زوجته بفأس ـ ضايقته ـ فشنق نفسـه فى العليـة . وأعرف « بن ويليت » الذى اشـترى المكان ولم يستطع الحياة فيه فتركه والآن هو خراب . فقد تعود « بن » أن يسمع أصواتا على الحوائط والنوافذ ويرى المقاعد تتحرك .. وهو فى هذا لم يكن كاذبا أو رعديدا ..

سيلفا : والله ان الأشباح لحقيقة فقد رأى « مانويل » ابن عمى واحدا منها . وكان هذا على سفينة فى المحيط الهندى .. فقد ذبح رجل .. وبعد ذلك وفى الليالى المقمـرة كانوا يرونه جالسا على السطح ويتحدث الى نفسه . ولم يكن « مانويل يكذب » .. الا فى حالة السكر . وقد رأى الشبح بعينيه .

ايمز : (بنظرة قلق .. يتناول الابريق) هيا لنشرب (يأخذ رشفة بينما يخرج ست من المنزل ويغلق الباب خلفه) .

ماكل : ها هـو ست ـ ألحظ أنه لم يرد المكث طويلا فى الداخل (ست ينزل اليهم مسرعا محاولا الظهور بمظهر المتجول بلا مأرب) .

ست : (محاولا لفت النظر لمزاحه) يا الهى .. لو رأيتم ابنر . لقد انزوى خائفا تحت أغطية الأثاث وأسنانه تصطك من الرعب .. اننى أتوقع أن يخرج مهرولا بعد قليـل ـ ان الذى يحيرنى هو هل لديه عشرة دولارات

ماكل : (بمكر) تبدو كأنك ترتجف .

ست : (بعبوس) أنت كاذب .. ما لهذه النظرة الكئيبة كأنكم بوم ؟ .

ماكل : وبمناسبة الحديث عن الأشباح .. هل تعتقد أن هـذا المنزل تحوم حـوله الأشباح يا ست أم أنك فقط تسخر من سمول ؟ .

ست : (بحدة) لا تكن أبله . انها طبعا مجرد سخرية .

ماكل : (بالحاح) ومع ذلك فهذا أمر طبيعى .. أن تحوم الأشباح .. لقد قتلت نفسها هنا .. هل تظنون أنها قتلت نفسها حزنا على زوجها كما أشاعت الابنة ؟ .

ست : طبعا .

ماكل : ان وفاة ازرا فجأة فى أول ليلة يقضيها فى بيته لأمر يدعو للدهشة .

ست : (بغضب) الأمر الذى يدعو الى الدهشة حقا أن شيوخا حمقى مثلكم قدمهم فى القبر .. ينسون شئونهم الخاصة ويتطفلون على شئون غيرهم .

ماكل : (غاضبا أيضا) كل ما يمكننى قوله هو أنه لولا انها أسرة مانون التى تلعق المدينة أحذيتها لكان أمرا يدعو للدهشة . اما انى شيخ وأحمق فأنت أكثر منى شيخوخة وحمقا وقدمك أعمق فى القبر من قدمى .

ست : (مهددا بقبضته) ليس أعمق .. والا نزعت هذا الحشو من جسدك فى أى يوم من الأسبوع .

سيلفا : كفى .. كفى نزاعا أيتها الديوك المسنة ..

ماكل : (يهدأ فى تذمر) هذا بلد حر أليس كذلك ؟ ان لى الحق أن أقول رأيى الذى أومن به .

ايمز : (فجأة وهو ينظر الى الأسفل يسارا) ش .. انظر ست هناك شخص قادم على الطريق ..

ست : (محدقا) من بحق الشياطين ؟ انهما بيتر وهيزل أخفيا هذا (مشيرا الى الابريق والأكواب يخبأ الابريق تحت شجيرات البنفسج .. بعد لحظة يدخل بيتر وهيزل ويدهشان لرؤية ست وأصدقائه .. يرفع ست يده اليهما بالتحية بشىء من الخجل) مساء الخير لقد كنت أطوف أنا وأصدقائى حول ..

بيتر : هالو ست .. كنا نبحث عنك فقد تلقينا اليوم برقية من

لافينيا تقول : انهما وصلا اليـــوم الى نيويورك (يقاطع بصرخة رعب من الداخل .. ينظرون فاذا الباب الأمامى يفتح بدفعة قوية وسمول يخرج قفــزا ويهبط مــن ســلالم الرواق ووجهــه أبيض كالطبــاشير وعينــاه جاحظتان) .

سمول : (داخلا مــذعورا) يا الهى لقــد سمعتهم يأتون خلفى فجريت الى الغرفة المجاورة وهناك .. رأيت شــبح أزرا يخرج من الحائط فى زى قاض . يا الهى ثم جريت (يضع يده فى جيبه ويخرج نقودا) خذ .. ها هى عشرة الدولارات ولا أبقى هناك لحظة مقابل مليون دولار (يذهب هذا حدة التوتر ويضحك الشيوخ ويلكز بعضهم البعض على الظهر) .

بيتر : (بحدة) ما معنى هذا كله ؟ ماذا كان يفعل فى الداخل؟.

ست : (يكتم الضحكة ويقول مرتبكا) مزاح .. مجرد مزاح يا بيتر ثم يلتفت الى سمول ويقول باحتقار أنها صورة أزرا المعلقة بالحائط أيها الأحمق ..

سمول : (بغضب) صورته .. انى أعرف الصور حين أراها .. وأعرفه . لقد كان هو .. أزرا . هيا بنا أيها الأصدقاء . لقد قاسيت من هذا المكان ما يكفينى .

ست : اذهبوا أنتم الآن .. وسوف ألحق بكم فيما بعد . (يلقى الجميع تحية المساء لبيتر وهيزيل ثم يذهبــون مــن ناحية اليسار الأمامى وقد بدا على سمول الفزع والارتباك وبدا صوته مضطربا وهــو يروى تفــاصيل مغــامرته المفزعة . يلتفت ست الى بيتر ويقول بلهجة الاعتذار) أن سمول يتباهى دائما بشجاعته .. ولهذا فقد تراهنت معــه على أنه لا يستطيع البقــاء فى الداخل أكثر من ـــ

هيزيل : (بغضب) ست . ماذا ســتقول فينى عنــدما تعرف أنك تقوم بمثل هذا العبث ؟ .

سث : اننا لم نفعل أى ضرر • اننى واثق أن ابنر لم يحطم أى شيء وعلى هذا فلن تهتم فينى بالأمر كثيرا • لقد قصدت الى أن أقضى على الشائعات التى تملأ البلد بخصوص الأشباح التى تعيش فى هذا المنزل •• لعلك سمعت عنها ؟ •

بيتر : لقد سمعت بعض هذه الشائعات ، ولكنى لم أعرها أى اهتمام •

سث : المرأة التى أحضرتها لكى تنظف المنزل بعد سفر فينى وأورين بشهر تقريبا هى التى بدأت هذه الشائعات بقولها انها شعرت بالأشباح حولها وأنت تعلم كيف تنمو هذه الأشياء بسرعة فرأيت أن أنتهز فرصة وجود سمول لكى يساعدنى على تحويل الأمر كله الى نكتة يضحك عليها الجميع وحين أروى هذه القصة هكذا فلن يأخذها أحد على محمل الجد بعد ذلك •

بيتر . حسنا فعلت ياسث • فكرة فى غاية الذكاء وليس كالنكتة ما يهزم الشبح •

سث : نعم • ولكن (يتردد قليلا ثم يقول) بينى وبينك ان الأمر ليس مزاحا كما يبدو • أقصد موضوع الأشباح التى تحوم ••

بيتر : (غير مصدق) وأنت أيضا ياسث تريد أن تقول ان هذا المنزل تتعقبه الأشباح ؟ •

سث : ربما نعم وربما لا •• كل ما أعرفه اننى لا أقيم هناك طول الليل ولو أعطيتنى المدينة كلها •

هيزيل : سث • أنا فى غاية الخجل منك •

بيتر : هذه هى المرة الأولى التى أسمعك تقول فيها : انك خائف •

سث : أحيانا يكون الانسان من الحمق لدرجة أنه لا يخاف ــ لا تظن انى أهتم بما يقال عن أرواح تحوم بملاءات تتلوى أو مثل هذه السفاسف • ولكن هناك شيئا اسمه « الروح الشريرة » وقد شعرت بها داخلة •• فى وضح

	النهار كأنهـا تبحث عن شيء تعفن فى الجدار .
بيتر	: غير معقول .
ست	: (بهدوء) بل هذا هو الطبيعى ، وهذا البيت ملىء بالشر منذ أن بنى على أساس من الحقد .. الذى ظل ينمـو ويرتفع . وان ما حدث أخيرا لخير دليـل على ذلك . اننى لم أقل ذلك لأحد سواكما . وانما أقوله لكما ـ لأنكما أقرب الى فينى وأورين من أى انسان آخر . وبامكانكما أن تقنعاهما بأن يتركا هذا المنزل بعد عودتهما (يضيف متأثرا) فهذا بدون شك خير لهما (ثم يغيـر لهجته) لقد قلت ما فى نفسى ، خبرانى متى سيعود أورين وفينى ؟ .
بيتر	: غدا . لقد طلبت فينى منا أن نفتح البيت . ولهذا دعنا ندخل الآن .
ست	: (بتردد واضح) الليلة ؟ .
هيزيل	: نعم . يجب أن ندخل الآن . اذ ليس لدينا وقت كاف . يمكننا على الأقل أن ننظم الغرف ونرفع الأغطية عـن الأثاث .
ست	: حسنا . سوف أحضر لكما مصابيح من الحظـيرة .. وهناك شموع فى الداخل (يستدير فجأة ثم يختفى فى الناحية اليسرى بين أشجار البنفسج والمنزل) .
هيزيل	: (تنظر الى بيتر بقلق) ان ست يتصرف بطريقة غريبة جدا ، ترى ماذا عساه أن يكون السبب ؟
بيتر	: لابد أنه الخمر وكبر السن فلا تهتمى به .
هيزيل	: (تهز رأسها ببطء) كلا . ان لهذا البيت أسرارا غريبة كنت أشعر بها حتى قبل وفاة القائد وانتحار مسز مانون (ترتجف) مازلت أرى كأنها جالسة فى مقعدها هذا كما كانت فى تلك الليلة الأخيرة .. خائفة من الوحدة ولكنى كنت أظنها ستتحسن عندما يعود أورين وفينى (بحزن) مسكين أورين . لن أنسى حتى الموت منظره

في الجنازة . كدت لا أعرفه في ذلك اليوم هل عرفته أنت ؟ .

بيتر : كلا .. كان منهارا تماما .. حطمته الفاجعة .

هيزيل : وكانت تصرفاته كشخص منوم مسلوب الارادة لا أعتقد أنه كان واعيا حين دفعته لافينيا الى هذه الرحلة الى الشرق . انه لم يكن يعرف ماذا يفعل ولا أين هو ذاهب ولا أي شيء .

بيتر : ان هذه الرحلة الطويلة هي أفضل ما يمكن عمله ليساعدهما على النسيان .

هيزيل : (بدون تأكد) نعم وأظنها كانت كذلك (تقف وتتأوه ثم بألم) لست أدري كيف حال أورين .. فكل رسائل لافينيا لا تشير اليه ولا الى نفسها في هذا الأمر .. كلها عن الرحلة فقط . (ترى ست يقترب من اليسار الخلفي وهو يصفر عاليا وفي يده مصباحان) ها هو ست قد أتى . (تصعد السلالم وتقف في الرواق مع بيتر . تتردد قليلا ثم تنظر الى المنزل ــ وتقول في لهجة هادئة .. من الخوف) يبدو أن ست كان على حق ، ان المرء ليشعر بمجرد أن تطأ قدماه المنزل كأن شيئا باردا يقبض عليه بشدة .

كفى هراء .. لقد أثر عليك أيضا (بضحكة) انصتي اليه يصفر ليحتفظ بشجاعته . (يدخل ست من اليسار ويعطي مصباحا لبيتر) .

ست : هيا يا بيتر .

هيزيل : حسنا لندخل . أفضل أن نخرج الى المطبخ أولا لتساعدني في ايقاد النار يا بيتر (يغادرون الرواق . يسود المكان سكون رهيب يتخلله صوت النوافذ يفتحها بيتر خلف الضلف في غرف الدور الأسفل . فترة سكون أخرى ثم تدخل لافينيا . ترتقي الطريق من اليسار الأمامي وتقف تنظر للمنزل يلاحظ على الفور

التغير غير العادى الذى طرأ عليها . لقد أصبحت الآن ــ بعد النحول وضعف النمو .. امرأة ممتلئة الجسم ــ وأصبحت حركاتها خالية من الجفاء والصلابة . انها الآن تشبه أمها فى كل شيء حتى فى ملابسها ، فهى ترتدى ثيابا خضراء ذلك اللون الذى كانت تتميز به . تتجه نحو أشجار البنفسج وتقف هناك قليلا وتحدق فى المنزل) .

لافينيا : (تنادى أورين فى ملاطفة كأنها تنادى طفلا) لماذا تقف هناك يا أورين . ما الذى تخشاه ؟ تعال (يدخل أورين بتردد من اليسار الأمامى ويسير بطريقة عسكرية صارمة، لقد أصبح يشبه والده الى حد بعيد من حيث حركاته الجامدة كتمثال . وأسلوبه فى المشى ، وأصبحت له الآن لحية قصيرة وشارب مما يساعد على تأكيد الشبه بينه وبين والده ، مظهر وجه المانون الذى يشبه القناع فى حالة الهدوء أصبح واضحا فيه ، واشتد نحوله بشكل مخيف وتهدلت سترته السوداء على جسده . اما وجهه الأسمر الزائغ البصر فيعبر عن فراغ خال من الحيوية (لافينيا تنظر اليه بقلق مخيف تحت لهجة شديدة فيها رقة الأمومة) يجب أن تواجه هذه التجربة بشجاعة ! هذا اختبار لك ! عليك أن تواجهها (بقلق لعدم رده) ترى هل تجتازها بنجاح بعد أن عدت الى هنا ؟ .

أورين : (بذهول) سوف أكون فى خير حال .. مادمت معى .

لافينيا : (تمسك يده وتربتها بتشجيع) اننى سعيدة جدا اذ أسمع هذا منك (تلتفت نحو المنزل) أنظر اننى أرى أضواء خافتة خلال نوافذ غرفة الجلوس . لابد أنهما بيتر وهيزيل . (مازال أورين متجها بنظره بعيدا عن المنزل) لماذا لا تنظر الى المنزل . هل أنت خائف ؟ (ثم بلهجة آمرة) أورين . أريد أن تنتبه الآن . هل تسمعنى؟ .

أورين : (يطيع ببلادة ..) نعم يا فينى . (يهز رأسه حوله ويحدق فى المنزل ويتنهد بعمق وقشعريرة) .

لافينيا : (عيناه مركزتان على وجهه كأنما تبعث فيه من قوتها) حسنا انك لا ترى أشباحا .. اليس كذلك ؟ .
(بطاعة) نعم .

لافينيا : لأنه ليس هناك أشباح . قل انك تعلم أنه ليس هناك أشباح يا أورين .

أورين : (مازال طائعا) أعلم .

لافينيا : (تفحص وجهه بقلق ثم يبدو عليها بعض الارتياح) هيا بنا ندخل . سوف نجد هيزيل وبيتر ، وسوف تكون مفاجأة لهما هيا .. (تجذبه من ذراعه وتصعد معه السلم ، وقد بدا عليه الشرود حتى يصلا الى المكان الذى كانت أمهما تجلس فيه باكية نائحة فى آخر مرة رآها فيها (الفصل الخامس من المطارد) يتوقف عن السير (ويقول برعدة) .

أورين : (يشير فى لعثمة) كانت هنا ــ كانت تجلس هنا .. فى آخر مرة رأيتها فيها وهى على قيد الحياة .

لافينيا : (تحثه على السير بسرعة وبلهجة آمرة) فقد انتهى كل هذا وطواه الماضى . لقد نسينا الموتى . كما نسيناهم نحن . تعال .. هيا بنا (يخضع لأمرها ببلادة . تصعد به السلم ويدخل المنزل معها) .

« ستار »

المنظــــر الثــــانى

(غرفة الاستقبال فى منزل آل مانون . بيتر قد أضاء شمعتيْن على رف المدفأة ووضع المصباح على المنضدة فى الصدر . الغرفة مليئة بالظل بسبب هذا الضوء الخافت الأرقش . تبدو على الغرفة الكآبة والحزن لأنها كانت مغلقة منذ مدة طويلة والأثاث المغطى يعطى مظهرا مخيفا فى ضوء الشموع المذبذب ، تبدو صور المانون وكأنها تحملق باستنكار وتجهم ،تظهر لافينيا فى مدخل الغرفة من الخلف وعلى ضوء الغرفة يبدو التغيير واضحا جدا .. وان المرء ليخطئها من أول نظرة على أنها أمها كما ظهرت فى الفصل الأول من « العودة » . انها الآن تبدو امرأة ناضجة ، واثقة من جاذبية أنوثتها وشعرها الذهبى البنى مرتب على طريقة أمها وهى ترتدى ثوبا أخضر مثل الثوب الذى كانت ترتديه أمها فى الفصل الأول من « العودة » . تتقدم بمنتهى البطء وحركاتها الآن تتسم بالرشاقة والأنوثة كأمها . تقع عيناها على أعين آل مانون فى صورهم فتتقدم نحو الصورة المعلقة فوق المدفأة وكأنها مدفوعة رغما عنها وتتوجه اليهم بالحديث بصوت ينم على الجفاء والاستياء ..)

* * *

لافينيا : لماذا تنظرون الى هكذا ؟ لقد أديت واجبى نحوكم كاملا . وانتهيت من هذا الآن وضاع فى طيات النسيان. (تلاحظ أن أورين لم يتبعها الى الغرفة فتنزعج وتسرع نحو الباب وتنادى) أورين ..

أورين : (يأتى صوته من القاعة المظلمة) اننى هنا ..

لافينيا : ماذا تفعل هناك . تعال هنا (يظهر أورين عند الباب وقد بدا على وجهه تعبير غريب وبدت فى عينيه نظرات عنيفة يسرع اليها كأنه يحتمى بها . تقول بدهشة وانزعاج) أورين ماذا دهاك ؟ .

أورين : (بطريقة غريبة) لقد ذهبت الى غرفة المكتب . كنت واثقا أنها جالسة هناك تنتظرنى حيث — (بألم) ولكنها لم تكن هناك . انها غير موجودة فى أى مكان .. فى أى مكان فى العالم ليس هناك سواهم (يشير الى الصور المعلقة) انهم فى كل مكان . أما هى فقد ذهبت الى غير عودة . انها لن تسامحنى الآن .

لافينيا : (بجفاء) أورين . أرجوك أن تهدأ .

أورين : (لا يعيرها انتباها .. تتحول لهجته فجأة الى تحد غاضب مرير) حسنا فلتذهب . ماذا تعنى بالنسبة لى الآن ؟ اننى لم أعد ابنها . اننى ابن أبى . اننى لا أنتمى اليها . بل أنتمى الى أسرة مانون ، وهم يرحبون بعودتى .

لافينيا : (بغضب وبلهجة آمرة) كفى هراء يا أورين .. هل تسمعنى ؟ .

أورين : (تعيده لهجتها الى وعيه بعنف فيرتبك بصورة تدعو للرثاء) أنا — أنا — لا تغضبى يافينى .

لافينيا : (تلاطفه) لست غاضبة يا عزيزى — أريد فقط أن تضبط أعصابك وأن تكون شجاعا (تقوده الى أريكة) تعال هنا . اجلس لتستريح ولتعتاد جو المنزل (يجلسان وتحيطه بذراعها لائمة) ألا تعلم انك تخيفنى بشدة حين تتصرف بهذه الطريقة الغريبة . وأنت بدون شك لا تريد أن تؤلمنى . أليس كذلك ؟

أورين : (متأثرا بعمق) بالطبع يافينى والله أعلم . انك كل ماتبقى لى فى هذا العالم (يتناول يدها ويقبلها فى تواضع) .

لافينيا : (برفق وحنان) يالك من أخ طيب (ملحوظة حقيقية تقولها فى مرح) لابد أن بيتر وهيزيل قد ذهبا الى المطبخ. ألست مشتاقا لرؤية هيزيل مرة أخرى ؟ .

أورين : (ببلادة الآن) انك لم تكفى عن الحديث عنهما فى أثناء رحلة العودة . لماذا ؟ ما شأننا بهما الآن ؟ .

لافينيا : كل الشأن . ان ما نحن فى أشد الحاجة اليه هو أن نبدأ حياة جديدة بسيطة طبيعية وسوف تساعدنا علاقتنا بهما وما تنطوى عليه من صداقة وحب على أن ننسى كل شيء .

أورين : (بجفاء مباغت) ننسى ؟ لقد ظننت أنك نسيت منذ مدة بعيدة ان أسعفتك الذاكرة ، ولو أنه يظهر أنها لم تفعل (ثم بمرارة كئيبة) الحب .. أى حق لنا ـ أنا أو أنت ـ فى أن نحب ؟ .

لافينيا : (بتحد) كل الحق .

أورين : (بتجهم) كان هذا شعور أمى (ينظر اليها مليا بغرابة) لقد أصبحت تشبهين والدتك تماما يا فينى . لا أقصد انك أصبحت جميلة فحسب .

لافينيا : (بشغف وحياء) صحيح يا أورين ؟ هل تعتقد فعلا اننى أصبحت فى مثل جمالها ؟ .

أورين : (يستطرد فى الحديث كأنها لم تقاطعه) أقصد أنك تشبهينها فى الروح أيضا . لقد بدأت ألحظ هذا التغير منذ بداية رحلتنا الى الشرق . وشيئا فشيئا بدأت روحك تقترب من روح أمى . كأنك تسرقينها روحها ـ كان موتها قد حررك من قيودك .. لتكونى مثلها .

لافينيا : (بقلق) أرجوك ، لا تبدأ هذا اللغو مرة أخرى .

أورين : (بتجهم) ألا تعتقدين فى الأرواح الآن ؟ انك لابد ستعتقدين فيها بعد أن نعيش فى هذا المنزل مدة قصيرة . ان موتى المانون سيغيرونك (يشير الى الصور بسخرية) أسأليهم اذا لم أكن على صواب .

لافينيا : (بحدة) أورين ما الذى أصابك ؟ ان هذه الأوهام السقيمة لم ترد فى ذهنك منذ أن غادرنا الجزر . لقد

أقسمت لى انك قد تغلبت عليها والا لما وافقت على العودة .

أورين : (بطريقة غريبة خبيثة) لقد فعلت هذا لكى أجعلك تغادرين الجزر . ان هذا واجبى كأخ . فلو أنك مكثت أكثر من هذا (يضحك ضحكة مكتومة استنكارية) .

لافينيا : (يبدو عليها الاضطراب) اننى لا أفهم ماذا تقول . لقد ذهبت الى هناك من أجلك أنت .

أورين : (بضحكة تهكمية) صحيح .. صحيح .. ولكن بعد ذلك .

لافينيا : (بحدة) لقد وعدت بأن تكف عن هذا اللغو السقيم ، (يهدأ فى وداعة وتستمر هى مؤنبة) تذكر يا أورين ما قاسيته بسببك . انك — لمدى شهور عديدة بعد سفرنا — لم تكن تدرك ماذا تفعل . لقد كنت أعيش فى خوف دائم من كل كلمة ربما تقولها . وأرجو ألا تعود هذه الأيام المروعة من جديد . ليس هناك على الاطلاق ما يجبرنى أن أعيش هذه الأيام السوداء مرة أخرى وتذكر انك أنت الذى طلبت العودة . لقد أخبرتنى انك اذا تمكنت من العودة ومواجهة الأشباح فسوف تتخلص نهائيا من احساسك الأحمق بالذنب عن الماضى .

أورين : (بذهول) أعرف هذا يا فينى .

لافينيا : ولهذا صدقتك يا أورين . لقد كنت تبدو واثقا من نفسك ولكنك فجأة أصبحت تتصرف بطريقة غريبةمرة أخرى . انك تخيفنى . ان أمورا كثيرة تتوقف على الطريقة التى تتصرف بها بعد عودتك . (ثم بلهجة آمرة حادة) اسمع يا أورين . اننى أريد أن تبدأ الآن بمواجهة الأشباح .. الآن . يلتفت اليها وتظل عيناه مثبتتين على عينيها . (تسأله بحزم) من الذى قتل أبانا ؟ .

أورين : (فى تلعثم) برانت .. لكى ينتقم .

لافينيا : (أكثر حزما) من قتل أبانا ؟ أجب .

أورين : (يرتعش) أمي . كانت واقعة تحت سيطرته .

لافينيا : هذا كذب . لقد كان هو تحت سيطرتها . أنت تعرف الحقيقة .

أورين : نعم .

لافينيا : لقد كانت خاطئة وقاتلة .. أليس كذلك ؟ .

أورين : بلى .

لافينيا : ولو أدينا واجبنا قانونا لأعدمت . أليس كذلك ؟

أورين : بلى .

لافينيا : ولكننا حميناها ولم نعاقبها . وكان بامكانها أن تعيش لو أرادت . ولكنها اختارت أن تقتل نفسها بمحض ارادتها كعقاب لجريمتها . انها العدالة ولا نستطيع لها تبديلا . هل تفهم ما أقول ؟ (تلاحظ تردده فتجذبه من ذراعه بعنف) قل لي .. ؟

أورين : (بصوت أعلى من الهمس) نعم .

لافينيا : اذن فشعورك بأنك مسئول عن موتها وهم سقيم لا تشعر به الآن ولن تشعر به أبدا .

أورين : نعم .

لافينيا : (شاكرة وقد بدا عليها التعب بعد أن صبت عليه من قوتها) أرأيت ؟ انك بارادتك تستطيع أن تتخلص من أوهامك (تقبله وينهار باكيا فوق صدرها . تلاطفه) لا تبك يا عزيزى . يجب أن تكون فخورا . لقد أثبت انك تستطيع أن تسخر من الأشباح من الآن فصاعدا (ثم بخفة لتحول تفكيره) تعال الآن نرفع الأغطية عن الأثاث . لنكن ذوى منفعة (تبدأ العمل .. يساعدها قليلا ثم يذهب الى احدى النوافذ ويفتح مصراعها ويقف محملقا الى الخارج . بعد قليل يدخل بيتر من الباب الخلفي وحين يرى لافينيا يتوقف مبهوتا ويتأوه فى خوف

فقد ظن أنها شبح أمها . تراه لافينيا فى نفس الوقت فتنظر اليه فى اهتمام المالك وتناديه برقة) .

لافينيا : بيتر (تتجه نحوه وهى تبتسم نفس الابتسامة التى كانت تبتسمها أمها) ألم تعد تعرفنى يا بيتر ؟

بيتر : (يرتبك) فينى . أهذا أنت ؟ . لقد تغيرت كثيرا .. لقد أصبحت مثل (يمنع نفسه متثاقلا) انك تغيرت ، اننا لم نكن نتوقع حضورك حتى .. (يمسك بيدها تلقائيا وهو ينظر اليها فى دهشة) .

لافينيا : أعرف هذا . لقد كنا ننوى قضاء الليلة فى نيويورك . ولكننا رأينا فى اللحظة الأخيرة أن نعود (تأخذه ابتسامة من يملك شيئا يقدره) دعنى أنظر الى وجهك يا بيتر . انك لم تتغير كثيرا . الحمد لله لقد كنت أفكر فيك طوال الرحلة . وكنت أخشى أن تتغير .

بيتر : (يستجمع كل شجاعته ويقول) أنت ــ مستحيل يجب أن تعلمى انه لا يمكن أن يتغير شعورى نحوك (يشعر بالانزعاج لجرأته المفاجئة فيبعد نظره عنها بسرعة) .

لافينيا : (معاكسة) ولكنك لم تقل انك مسرور لرؤيتى .

بيتر : (يلتفت اليها وينظر اليها فى شكر ــ موجة من الحب والرغبة تتغلب على حيائه فيقول فى اندفاع) أنا ــ انك لا تتصورين كم أنا .. (يستدير بوجهه ثانية مرتبكا ويلجأ الى الكلام مندفعا) أوه يا فينى . كان ينبغى أن تخبرينا قبل عودتك بفترة كافية . لقد حضرنا الى هنا منذ دقائق . وذهبنا الى المطبخ مباشرة . أنا وهيزيل لكى نوقد النار .

لافينيا : (تضحك ضحكة ناعمة) نعم انك مازلت كما أنت يابيتر . مازلت تخاف منى ولكن الآن يجب ألا تخاف . حقا لقد كنت دائما كالعجوز الجامدة المخيفة .. ولكنى الآن .

بيتر : من قال هذا ؟ انك لم تكونى هكذا قط (ثم بحماسة) يا الهى .. انك تبدين جميلة وفى صحة جيدة يافينى .

ان هذه الرحلة أفادتك كثيرا بلا شك (يحدق فيها بهيام) اننى لم أرك من قبل فى ملابس ملونة . لقد تعودت أن أراك دائما فى ملابس سوداء .

لافينيا : (وعلى شفتيها ابتسامة غريبة) لأني كنت فى عداد الأموات .

بيتر : الأولى بك أن تلبسى الألوان دائما .

لافينيا : (مسرورة جدا) أتظن ذلك ؟ .

بيتر : نعم . انها تليق بك جدا . (ثم يغير الموضوع وقد بدا عليه الارتباك) ولكن أين أورين ؟ .

لافينيا : (تنظر حولها) كان هنا الآن . (تراه واقفا عند النافذة فتناديه) أورين ماذا تفعل هناك ؟ هاهو بيتر . (يغلق أورين النافذة التى فتحها ويتجه نحو بيتر ولافينيا وقد ثبت عينيه بطريقة غريبة كأنهما مشغولتان بشيء آخر وكأنه غير واع بوجودهما . لافينيا تنظر اليه بقلق ثم تقول بحدة) ألا ترى بيتر ؟ لماذا لا تتحدث اليه . ؟ يجب ألا تكون بهذا الجفاء .

بيتر : (برقة) اعطه الفرصة يافينى . مرحى أورين . اننى سعيد برؤيتك (يتصافحان . لا يستطيع بيتر اخفاء دهشته وألمه لمظهر أورين العليل) .

أورين : (يغتصب ابتسامة ويبذل جهدا كبيرا لكى يبدو طبيعيا كصديق قديم لبيتر) مرحى .
اننى مسرور جدا لرؤيتك دون تكلف وأنت تعلم ذلك . ان فينى ما زالت تمثل دور السيد الآمر النصوح ــ كما تذكر ــ فهى تحب دائما أن تعطينى درسا فى الأخلاق .

بيتر : أراهنــك بأنى أذكر ذلك ولكن ألم تتغير بشكل واضح يا أورين ؟ اننى لم أعرفها لأول وهلة فقد ازدادت وزنا ــ وكنت أقول لها الآن انها تبدو جميلة جدا فى الملابس الملونة ــ ألست معى ؟

أورين : (بلهجة غريبة مفاجئة فيها حقد ساخر) ألم تسألها لماذا

تنتحل ألوان والدتى ؟ اننى لا أستطيع أن أفهم السبب . ولا هى فيما أعتقد . ولكنى واثق أن الدافع الى ذلك فى منتهى الغرابة . وأنا واثق من ذلك عندما أكتشفه .

لافنيا : (تشير الى بيتر اشارة معناها ألا يأخذ كلامه مأخذ الجد ـ وتغتصب ابتسامة) لا تهتم بما يقول يا بيتر .

اورين : (بسخرية ومكر وتهكم) وهى قد أصبحت شاعرية تصور . لقد تأثرت بالجزر والمحيط الأزرق العميق القاتم . أليس كذلك يا فينى ؟

بيتر : (بدهشة) هل ذهبتما الى الجزر ؟

أورين : نعم انتهزنا فرصة أننا على مركب مانونية وجعلنا الربان يرسو هناك فى العودة وقضينا فيها شهرا (ثم باستياء) يبدو أنها تناسب فينى أكثر مما تناسبنى لقد أصابنى المرض هناك . وكانت النساء العاريات مصدر اشمئزازى ، يا لها من رحلة . وأظن ـ أخيرا ـ أن دم المانون الذى يجرى فى جسدى منعنى من التحول الى الوثنية . لقد كنت تعجب حين ترى فينى تقضى وقتها مع الرجال .

لافينيا : (بغضب ولكن بشعور مؤكد بالاثم) كيف تقول ذلك يا أورين ؟ .

اورين : (مستهزئا) لقد كان منظرهم فى غاية الأناقة والرومانسية بخرقهم الملونة حول خصورهم والأزهار على أذانهم ، لقد صدمت فينى فى أول الأمر حين رأتهم وهم يرقصون ولكنها بعد مدة قصيرة أحبت رجال الجزر . لو أننا مكثنا شهرا آخر لاندمجت معهم أكثر ، ولكان من الممكن أن ترقص معهم فى ضوء القمر مثلهم .

لافينيا : أورين . لا تكن مقبضا .

أورين : (يشير الى الصور فى تهكم) تصورى ـ ان أمكنك ـ شعور اسلاف المانون المؤمنين تجاه هذا المشهد .

لافينيا : (وهى تنظر الى بيتر بقلق) كيف يمكنك اختراع هذه الأكاذيب الشنيعة ؟

أورين : (يضحك بخبث) أوه . اننى لم أكن أعمى كما بدوت وكما تصورت . هل تذكرين أفاهانى ؟

لافينيا : (بغضب) كف عن هـذا الحـديث الأحمق يا أورين (تهدأ مرة أخـرى وتغتصب ابتسامة وتقول بلهجة فيها أمومة) أتعلم أنك ولد خبيث ؟ ترى ماذا يظن بيتر ؟ انه طبعا يعرف أنك تتعمد مضايقتى ـ ولكنك مع هذا يجب أن تكف عن الحديث بهذه الصورة . (ثم تغير الموضوع فجأة) لماذا لا تذهب وتبحث عن هيزيل ؟ تعال ... دعنى أنظر اليك . أحب أن تكون فى أحسن مظهر عندما نراك (تصلح من هندامه كأم وتسوى له قميصه ورباط عنقه وتساعده على خلع معطفه وهو منتصب طائعا فى انتبـاه عسكرى ـ يضايقها هذا) لا تقف هكذا كمدك البندقيـة .. ان مظهرك يكون أجمل لو حلقت ذقنـك وتصرفت بشكل طبيعى لا كجندى من القصدير .

أورين : (بلهجة ماكرة) ألست أشبه والدى كثيرا يا فينى ؟ بل أكثر شبها بربان سفينة شاعرى أليس كذلك ؟ (يبتسم ابتسامة قاسية حين تنظر اليـه بانزعاج) لا تنزعجى هكذا يا فينى .

لافينيا : (تنظر الى بيتر بتخوف ـ تتوسل الى أورين . وفى نفس الوقت تحذره) ش . ش . دع هذا اللغو (تربت كتفه للمرة الأخيرة) هيا . اذهب بسرعة الى هيزيل .

أورين : (يوزع نظراته بينهما بارتياب) يبدو أنك متلهفة على التخلص منى . (يغادر الغرفة بطيئا جامدا مخدوش الكرامة . لافينيا تلتفت الى بيتر . يبدو بوضوح أنها منفعلة جـدا لسلوك أورين ، ويظهر عليهـا الانزعاج والضعف بشكل واضح) .

بيتر : (بدهشة صدمته) ما الذى أصابه يا فينى ؟

لافينيـا : (تتكلم بصعوبة) ان الذى أصابه نتيجة لعوامل كثـيرة يا بيتر . الحرب وموت أبى وانتحار أمى ..

بيتر : (يحيطها بذراعيه بحنان محاولا تهدئتها) لا تشغلى بالك يا فينى . ليس الأمر خطيرا كما تتصورين .

لافينيـا : (مقبلة عليه بشكر) أشكرك يا بيتر . انك انسان طيب جدا . (ثم تنظر فى عينيه) أما زلت تحبنى يا بيتر .

بيتر : لافينيا .. كيف تسألين هذا السؤال ؟ اننى أحبك ـ أحبك طبعـا (ثم بارتباك وهو يضمها اليه) .. ولكن هل أنت ـ ترين .. انه يمكنك أن تحبينى ؟ .

لافينيـا : نعم .

بيتر : صحيح .. هل تعنين ما تقولين ؟ .

لافينيـا : نعم .. أعنيه .. وكنت أفكر فيك دائما . وكان كل شىء يذكرنى بك ، السفن والبحر وكل ما هو نقى وشريف .. وسكان الجزيرة ذكرونى بك أيضا فقد امتازوا بالبساطة والرقة (ثم بلهفة) .. يجب ألا تهتم بما قاله أورين بخصوص الجزر . لقد أصبح « مانونيا » متزمتا .

بيتر : (مدهوشا) ولكن يا فينى .

لافينيـا : أعرف أنه من الغريب أن أتكلم هكذا .. ولكن تذكر أننى نصف مانونيـة (ثم بتحد للصور المعلقة) لقد أديت واجبى نحوهم كاملا . هذا أمر لا يمكن انكاره .

بيتر : (يحس الخداع الساخر ولكنه سـعيد) انك حقا قد تغيرت .. تغيرت جدا ، وأنا سعيد بهذا التغير .

لافينيـا : أن أورين دائما يغيظنى بقوله : اننى كنت أغازل فتى الجزيرة هذا الذى تحدث عنه ، والسبب ببساطة هو أنه كان دائما يبتسم لى ، وكنت أرد له الابتسامة .

بيتر : (معاكسـا) ان من حقى الآن أن أشـعر بالغـيرة ـ أنا أيضا ..

لافينيـا : كلا يا بيتر . ان هذا الشخص جعلنى أفكر فيك . لقد جعلنى أحلم بأن اتزوجك .

بيتر : فى هذه الحالة أكون مدينا له بالشكر (يضمها اليه) .

لافينيا : (حالمة) لقد أحببت تلك الجزر لأنها حررتنى وكأن ثمة شيئا جميلا وغامضا يشملها وكأن الحب يرفرف عليها من كل جانب من اليابس والماء معا . لقد جعلتنى أنسى الموت ولم يكن هناك عالم آخر بل هذا العالم فقط الذى نعيش فيه .. الأرض الدافئة فى ضوء القمر . الرياح التجارية تهز أشجار جوز الهند واللجج تضرب الصخور ونار المساء والطبول تدق فى فؤادى وسكان الجزيرة يرقصون وهم عراة فى براءة ، بدون أن ينتابهم أى احساس بالخطيئة (تمنع نفسها بغتة فى خوف) ولكن ماذا دهانى .. لقد انطلق لسانى فى ثرثرة . لابد أنك تظن أنى مشتتة الفكر .

بيتر : (ضاحكا) لا . اننى سعيد جدا بهذا التغير الذى طرأ على شخصيتك فقد كنت لا تتكلمين الا غصبا .

لافينيا : (تشعر نحوه بحب مفاجىء فتلقى بنفسها بين ذراعيه) آه يا بيتر . أريد أن أشعر بالحب . ان الحب أجمل وأغلى معانى الوجود . لم أدرك هذا لغباوتى . يبادلها القبلات ولكنه فى نفس الوقت يفاجأ بجرأتها المتناهية ، تستطرد فى شوق) سوف نتزوج قريبا يا بيتر .. أليس كذلك ؟ وسوف نعيش فى قرية منعزلة بعيدا عن الناس وأحاديثهم السيئة . سوف نخلق لأنفسنا جزيرة على الأرض وسوف يكون لنا أبناء نحبهم ونعلمهم أن يحبوا الناس وأن يحبوا الحياة حتى لا تتملكهم الكراهية والأحقاد (ثم تقول بصوت هامس كأنها تتحدث الى نفسها) ولكنى نسيت أورين .

بيتر : وما شأن أورين بزواجنا ؟ .

لافينيا : اننى لا أستطيع أن أتركه وحده حتى يسترد صحته ، سوف أكون قلقة عليه .

بيتر : اذن فليعش معنا .

لافينيـا : (بتوتر واصرار) كلا . اننى أريد أن أتخلص من الماضى (ثم بعد نظرة سريعة اليه تقول بلهجة واثقة) أريد أن أخبرك بما يعانى منه أورين ــ لكى تساعدنى أنت وهيزيل أنه يشعر شعورا مؤرقا بالذنب بسبب انتحار أمه ، وذلك لأنه تشاجر معها فى الليلة السابقة فى أسف . وسيطر عليه الحزن بصورة رهيبة حتى أصبح يعتبر نفسه مسئولا عن موتها .

بيتر : ولكن هذا جنون .

لافينيـا : انه فعلا كذلك . ولكنك لا تملك أن تفعل شيئا عندما تنتابه هذه الأوهام العليلة ، ولكنى لا أقصد أنه دائما كما كان اليوم . انه فى الغالب طبيعى .. وان كان يبدو فى منتهى الصمت والكآبة والحزن لدرجة أنه يحطم قلبى ويجعلنى أشعر نحوه بعطف شديد ــ كأنه طفل صغير يعاقب من أجل ذنب لم يرتكبه . أرجوك . أخبر هيزيل بما أخبرتك اياه ، حتى تكون مهيأة لقبول أى لغو يمكن أن يفوه به .

بيتر : سوف أحذرها ، أما بالنسبة لك أنت فلا تشغلى بالك كثيرا بهذا الأمر ، سوف نجعله يعود الى حالته الطبيعية بطريقة أو بأخرى .

لافينيـا : (شاكرة لبساطته وطيبته .. بحب) أشكرك جدا يا بيتر (تقبله . تظهر هيزيل وأورين عند مدخل الباب من الخلف ، تفاجأ هيزيل بهذا الموقف ، ثم تبتسم بسعادة أورين يحدق فيهما بغيرة غاضبة ويضغط قبضته بشدة كأنه يهم بالهجوم عليها) .

هيزيل : (ضاحكة فى معاكسة) أخشى أن نكون قد ضايقناهما يا أورين . (بيتر وفينى ينفصلان قفزا بسرعة واضطراب) .

أورين : (بلهجة تهديد) اذن فالأمر كذلك .. يا الهى ..

لافينيـا : (يبدو عليها الاضطراب ولكنها تحاول أن تبدو حازمة) أورين .

أورين : (يشد جسده فى حدة وارتباك ثم يغتصب ابتسامة عليلة ويقول) لا تخافى يا فينى . لقد كنت فقط أخيفك فى دعابة (يمد يده الى بيتر وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة باهتة) أظن أن من حقى الآن أن أهنئك . أليس كذلك ؟ اننى فى منتهى السعادة . (بيتر يأخذ يده بتثاقل . هيزيل تتجه نحو لافينيا لكى تحييها والارتباك يغمر وجهها . لافينيا تحدق فى أورين وقد امتلأت عيناها بالرعب والقلق) .

ستار

الفصل الثاني

(مكتب أزرا مانون – فى احدى الليالى بعد حوالى شهر من الفصل السابق . مصاريع النوافذ كلها مغلقة وفوق المدفأة شموع تلقى ضوءها الهادىء على صورة ازرا مانون وهو يرتدى ثوب القضاء . أورين جالس على مقعد أبيه على يسار المنضدة يكتب فى ضوء مصباح . بيده اليمنى مجموعة صغيرة من المخطوطات . وهو مستغرق فيما يكتب . يبدو الآن وقد امتد به العمر فى هذا الشهر فأصبح يشبه صورة والده الى حد بعيد . وهو يرتدى ملابس سوداء مما يساعد على تدعيم الشبه بينه وبين والده . يتوقف عن الكتابة بضع لحظات ليقرأ الفقرة التى كتبها وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة تنم على ارتياح بالغ . يضع الورقة على المكتب ثم يضطجع فى مقعده ويحدق فى الصورة باستغراق) .

* * *

أورين : (فى ضحكة متشنجة) الحق .. كل الحق .. ولا شىء غير الحق . أهذا هو كل ما تطلب يا أبى ؟ هل أنت واثق من أنك تريد كل الحق ؟ ماذا يقول الجيران حين يعرف هذا الحق كله (يضحك عابسا) انه قرار مؤلم بالنسبة لك يا سيدى (يسمع دقة على الباب ، يمسك الورقة بسرعة ويضعها فى درج المكتب) من بالباب ؟ .

لافينيا : أنا .

أورين : (يغلق الدرج بسرعة ويضع المفتاح فى جيبه) ماذا تريدين ؟ .

لافينيا : (بحدة) أرجوك ، افتح الباب .

أورين : حسنا . لحظة واحدة (يعدل النضد بسرعة ثم يحضر كتابا من المكتبة ـ بلا اختيار ـ ويضعه على المكتب مفتوحا وكأنه يقرأ فيه . ثم يفتح الباب ويعود الى مكانه عندما تدخل لافينيا مرتدية ثوبا أخضر من المخمل شبيها بذلك الذى كانت ترتديه كريستين فى الفصل الثالث من « العودة » وقد جملت شعرها وعينيها . ويبدو بوضوح انها تخفى شعورا عميقا بالرعب واليأس وتحاول قدر الامكان أن تبدو هادئة) .

لافينيا : (تنظر اليه فى ارتياب محاولة ـ فى جهد ـ أن تكون طبيعية) لماذا أغلقت الباب عليك من الداخل ؟ (تنتقل الى النضد) ماذا تفعل ؟ .

أورين : أقرأ .

لافينيا : (تلتقط الكتاب) كتب أبى فى القانون ؟ .

أورين : (بسخرية) ولم لا ؟ اننى أنوى دراسة القانون . فقد كانت هذه رغبة أبى ـ لو كنت تذكرين .

لافينيا : هل تريد أن أصدقك يا أورين ؟ ماذا كنت تفعل حقا يا أورين ؟ .

أورين : يالك من فضولية يا فينى .

لافينيا : (تغتصب ابتسامة) يا الهى . ولماذا لا أكون فضولية ؟ انك تتصرف بطريقة غريبة جدا فى المدة الأخيرة . وها أنت الآن تغلق على نفسك الغرفة وتسدل الستائر وتضىء المصباح بل انك تفعل نفس الشىء حتى فى وضح النهار . انه لأمر سيىء جدا أن تبقى فى هذه الغرفة المزدحمة فى هذا الجو . يجب أن تخرج الى الهواء الطلق .

أورين : (بجفاء) اننى أكره ضوء النهار . انه يشبه عينا تشير بالاتهام . لا لقد رفضنا النهار الذى يعيش فيه الناس العاديون ، أو بالأحرى هو الذى رفضنا . الليل الدائم ، ظلام الموت فى الحياة هو الموضع الملائم للاثم . انك تعتقدين

أن بامكانك أن تهربى من هذا المعنى ولكنى لست أحمق الى هذا الحد .

لافينيا : الآن عدت الى حماقتك من جديد .

أورين : وأعتقد أن الضوء الصناعى أنسب للعمل الذى أقوم به . ضوء الانسان لا ضوء الآلة . انه يمثل محاولة الانسان الضعيفة لأن يفهم نفسه وليعيش لنفسه فى الظلام . انه رمز لحياة الانسان وكفاحه . مصباح يشتعل فى غرفة من الظلام المنتظرة .

لافينيا : (بحدة) العمل الذى تقوم به ؟ . أى عمل ؟ .

أورين : (بسخرية) دراسة قانون الجريمة والعقاب ـ كما ترين .

لافينيا : (تغتصب ابتسامة ثم تبتعد عنه) حسنا ـ اذا كنت لا تريد أن تخبرنى ـ استمر فى غموضك اذا كان هذا يحلو لك (ثم بصوت متوتر) ان الجو هنا خانق ومقلق انه ضار بك (تذهب الى النافذة وتفتحها وتنظر الى الخارج) الظلام حالك فى الخارج وليس فى السماء نجم واحد .

أورين : (بكآبة) ليس فيها نجم يهدينا . أين ينتهى بنا المسير .. فينى ؟ (ثم يضحك ضحكة ساخرة مكتومة) أوه . اننى أعلم أنك تعرفين طريقك فى الحياة ، ولكن تذكرى أن هذا الطريق ملىء بالعثرات .

لافينيا : (بصوت حار مشاكس كأن ارادتها كانت تتحطم) . اهدأ يا أورين . ألا تفكر الا فى (ثم تسيطر على نفسها وتقول برقة) آسفة يا أورين . أن أعصابى مرهقة جدا الليلة والسبب حرارة الجو فيما أعتقد . بالاضافة الى أنك لا تكف عن مضايقتى بتفكيرك الدائم فى الماضى . ان لهذا تأثيره السيىء على صحتك . (تربت ذراعه وتقول برقة) هذا هو ما أفكر فيه دائما يا عزيزى .

أورين : أشكرك على اهتمامك بصحتى . ولكنى أشعر بأن صحتى على ما يرام وليس لك أمل كبير فى هذه الناحية .

لافينيا : (بارتباك وهى تدور حوله) كيف ترد فى ذهنك مثل هذه الـ .. (تضبط أعصابها مرة أخرى وتغتصب ابتسامة) انك تحاول اغضابى ولكنى لن أمنحك هذه الفرصة ، اننى سعيدة جدا لأن صحتك جيدة ، لقد تناولت الليلة كمية كبيرة من العشاء ، لابد أن الفترة الطويلة التى مشيناها مع هيزيل قد أفادتك صحيا .

أورين : (ببلادة) نعم (يغطس فى مقعده على يسار النضد) لماذا تتعمدين ألا تتركينا وحدنا أبدا أكثر من دقيقة واحدة ؟ انك موافقة على مشروع زواجنا .. واذن فنحن خطيبان فلماذا لا تتركينا وحدنا أبدا .. (ثم تبتسم بمرارة) ولكنى أعرف السبب . انك خائفة أن يفلت منى أى شىء .

لافينيا : (تجلس على المقعد المقابل له ، بملل) هل تلومنى أنا ؟ وهل تذكر الطريقة التى كنت تتصرف بها ؟ .

أورين : (بكآبة) لا . اننى أخشى البقاء معها طويلا .. أخاف من نفسى ، فليس لى الحق فى أن أشاركها دنياها ومع ذلك فان نقاوتها تجذبنى . ان حبها لى يجعلنى أبدو أقل سوءا مما أنا عليه فعلا . (ثم يضحك بجفاء) وفى الوقت نفسه أسوأ مليون مرة وهذا أقسى ما فيه . ولهذا أخشى ألا تتمكنى من التخلص منى عن طريق هيزيل . انها جزيرة مفقودة أخرى . والأوفق لك أن تبعد عن طريقى . اننى أحذرك . ذلك أننى حين أرى عينيها تفيضان بالحب القاتل ، يسيطر على شعور بالذنب ويطبق على حلقى جسم خانق . حتى لأوشك أن ألفظه .. وأعترف .

لافينيا : (بصوت خفيض) نعم .. هذا هو ما أخشاه (فقد تلفظ بشىء فى احدى ثوراتك أمام أحد بعد أن توارى

كل شيء فى طيات الماضى والنسيان وبعد أن لم يبق أى ارتياب .

أورين : (بجفاء) هل كنت تأملين فى أن تهربى من العقاب ؟ كلا .. ان الاعتراف والتفكير حسب القانون ـ هما الوسيلة الوحيدة لكى نمحو ذنب أمنا من روحينا .

لافينيا : (بارتياب واضح) ش .ش . كفى كفى .

أورين : اسألى والدك القاضى ـ بخصوص هـذا الكلام ـ انه يعرف الحقيقة لقد كان دائما يؤكد لى ذلك .

لافينيا : اوه يا الهى .. دائما نفس الكلام .. ألاتترك هذا الشعور الأحمق بالذنب ؟ ألا تشعر بما تسببه لى من ألم وعذاب؟ لقد أصبحت ضميرى المذنب (بومضة غريزية من حقدها القديم) أما زلت تحب هذه المرأة الى هذه الدرجة فى الوقت الذى تعلم فيه أنها كانت تريد أن تتركك بدون أى اهتمام وتذهب لتتزوج ذلك الـ ..

أورين : (باتهام عنيف) نعم . وهذا هو بالضبط ما تحاولين أن تفعليه الآن . انك تريدين أن تتركينى وتتزوجى بيتر . ولكنى أقسم بالله أن هذا لن يتم . انك سوف توقفين كل الحيل التى تدبرينها حين تعرفين ما كنت أكتب الآن .

لافينيا : (بتوتر) ماذا كنت تكتب ؟ .

أورين : (يتحول غضبه الى ارتياح شامت) آه . لقد أزعجك هذا .. أليس كذلك ؟ حسنا من الأفضل أن تنزعجى .

لافينيا : أخبرنى ماذا كنت تكتب .

أورين : ليس من شأنك .

لافينيا : يجب أن أعرف .

أورين : حسنا ، سوف أخبرك ، فلقد انتهيت فعـلا من الكتابة (يشير الى الصورة بيده ساخرا) لقد كنت أكتب تاريخ أسرتنا بناء على حثه لى باعتبارى آخر ذكر فى السلالة والشكر للرب على هذا . (يستطرد وهـو ينظـر الى

الصورة فى ضحكة خبيثة) ولكن من المؤكد أن أبى لم يكن ليوافق على كل ما سطرت هنا .

لافينيا : (تحاول أن تبدو هادئة وتقول بتوتر) أى تاريخ تعنى ؟.

أورين : التاريخ الحقيقى الصادق لجرائم الأسرة مبتدئا بجرائم جدنا آب ثم جرائمنا . أتفهمين ؟ .

لافينيا : (مذعورة) هل تريد أن تقول فعلا انك كتبت ..

أورين : نعم . لقد حاولت أن أتتبع الأسرار المتوارية فى ماضى أسرة مانون والمصير الرهيب الذى يكتنف حياتنا . اننى أعتقد أنه لو أمكننى أن أرى الماضى بوضوح لاستطعت أن أتنبأ بما يخبئه القدر ، ولكنى حتى الآن لا أستطيع أن أتنبأ بذلك يا فينى بالرغم من أنى أستطيع أن أخمن (يضحك ضحكة فاترة نكدة) .

لافينيا : أورين ! .

أورين : ان معظم ما كتبته يتعلق بك أنت . اننى أعتبرك أهم مجرمة فى الأسرة كلها على الاطلاق .

لافينيا : (تنفجر فيه) كيف تجرؤ على أن تقول لى مثل هذا الكلام المخيف بعد كل ما فعلت ؟ .

أورين : (يستطرد كأنه لم يسمع شيئا) ان أشياء كثيرة غريبة ومختفية فى ماضى أسرة مانون تتركز فيك . مثلا ، هل تذكرين صديقك القديم « ويلكنز » الذى التقيت به فى الرحلة الى فريسكو ؟ اوه لقد كنت تظنين أننى غارق فى أحزانى ـ ولكنى لم أكن أعمى لقد لحظت كل شىء وأدركت لهفتك عليه .

لافينيا : (بغضب ولكن بأثر من الارتباك والأثم) بل لم ألق اليه بالا قط . لقد كان بالنسبة لى مجرد ضابط فى السفينة لا أكثر .

أورين : (بسخرية) وكان آدم برانت أيضا ضابطا فى سفينة .. أليس كذلك ؟ لقد ذكرك ويلكنز ببرانت ..

لافينيا : نعم !.

أورين : ولهذا السبب تخلصت فجأة من أحزانك فى فريسكو واشتريت ملابس جديدة ، من نفس الألوان التى كانت ترتديها أمى .

لافينيا : (بغضب) كفاك حديثا بشأنها . وكأنك ــ اذ أسمع قولك ــ تظن انى لا أملك حياتى .

أورين : كنت تريدين ويلكنز ــ تماما كما كنت تريدين برانت من قبل .

لافينيا : هذا كذب .

أورين : بل انك الكاذبة . انك تعرفين أن ادعاءك أن قتل أمى كان عملا من أعمال العدالة ليس الا محاولة لاخفاء ما كنت تشعرين به من كراهية وغيرة . لقد حذرتنى من هذا من قبل وهأنذا أراه بوضوح الآن . لقد كنت تريدين برانت لنفسك .

لافينيا : (بعنف) هذا كذب .. لقد كنت أكرهه .

أورين : نعم ، لقد كرهته ، بعد أن عرفت أنه حبيبها ، (يضحك بسخرية نكدة) ولكن دعينا من هذا الآن ــ فأنا أعلم أن هذا آخر شيء يمكن أن تعترفى به لنفسك . وتعالى الى ما كتبته بخصوص مغامرتك فى جزرى المفقودة . أو جزر آدم برانت .. اذا أردت .. لقد كان هو أيضا يذهب الى هناك .. اذا كنت تذكرين . ولعله قد عاش هناك مع احدى نساء الجزيرة . فلقد كان من ذلك النوع من الرجال . هل كنت تفكرين فى ذلك حينما كنا هناك ؟ .

لافينيا : (وهى تكاد تغص) كفى كفى ــ اننى أحذرك ــ لن أحتمل أكثر من هذا .

أورين : (يستطرد فى الحديث كأنه لم يسمع شيئا ويقول بلهجته الساخرة النكدة) لقد كانت الجزر بالنسبة لك جنة وهؤلاء الرجال الوسماء جميعا يلاحقونك بنظراتهم ويبدون اعجابهم بشعرك الجميل الغريب . وهناك

أخيرا أصبحت جميلة كأمى . لقد كنت تعرفين انهم جميعا راغبون فيك . وملاك الغرور والكبرياء . خصوصا أفاهانى . لقد كانت نظراته تخترق ملابسك وتستشف من تحتها جسدك . وأنت . أنت أيضا كنت ترتدينه .

لافينيا : لا .

أورين : (يتهمها بغيرة غنيفة) لا تكذبى . ماذا فعلت معه فى تلك الليلة التى ذهبتما فيها لمشاهدة رقصهم الاباحى وكنت أنا مريضا وملازما الفراش ؟ لقد حدث شيء ما بينكما فقد رأيت وجهك وأنت معه أمام باب الكوخ بعد عودتك .

لافينيا : (بهدوء وشيء من الوقار) قبلته قبلة المساء . هذا هو كل ما حدث . شكرا لجميله لقد كان انسانا طيبا وبريئا وأشعرنى للمرة الأولى فى حياتى بأن كل شيء عن الحب يمكن أن يكون حلوا وطبيعيا .

أورين : ولهذا السبب قبلته أليس كذلك ؟ .أهذا كل ماحدث؟.

لافينيا : (بتأنيب شرس مقصود يذكرنا بأمها فى الفصل الأخير من « العودة من الميدان » حين كانت تثير أزرا مانون قبل مقتله (وافرض انه لم يكن كل ما حدث ؟ اننى لست ملكا لك . ان لى الحق فى أن أحب .

أورين : (يتصرف بطريقة تذكرنا بوالده ويقول بغضب وانفعال وهو يهجم عليها ويكاد يخنقها) أيتها البغى .. سوف أقتلك (ثم فجأة يضعف) لا .. انك تكذبين بلا شك أليس كذلك ؟ أرجوك يا فينى .. قولى لى : انك تكذبين .

لافينيا : (تهتز برعدة وتتلعثم) نعم ـ نعم .. انها كذبة ولا شك يا أورين كيف تصدق اننى .. أوه أورين . لست أدرى ما الذى جعلنى أقول لك ذلك ضد ارادتى ؟ شيء نما فى نفسى كأنه روح شريرة .

أورين : (يضحك ضحكة هستيرية متهورة) انها الأشباح ،

الأشباح . انك لم تشبهى أمك فى أى وقت مضى مثلما تشبهينها الآن .

لافينيا : (بتوسل الولهان) لا تتحدث عن أمى أرجوك ، دعنا ننس ما حدث . سامحنى يا اورين أرجوك وانس .

أورين : حسنا ـ اذا تركتنا الأشباح وشأننا . (يحدق فيها لحظة ثم يقول بارتياح) اننى أصدقك فيما يتعلق بافاهانى . اننى لم أشك فيك مطلقا . والا لكنت قتلته .. وقتلتك أيضا . أرجوك أن تدركى هذا جيدا . (ثم يقول باصراره العنيد القديم) ولكنك كنت تشعرين بالذنب مثلى تماما .

لافينيا : (بومضة من الغضب الجنونى) كفاك حديثا فى هذا الموضوع . كفى ما أعانيه من ألم وعذاب والا ـ اننى حذرتك يا أورين . وهأنذا أحذرك مرة أخرى لا يمكننى أن أتحمل أكثر من هذا . لا يمكن .

أورين : (بضحكة شيطانيةساخرة ثم بهدوء) اذن لماذا لا تقتلينى ؟ سوف أساعدك فى وضع الخطة كما وضعنا من قبل خطة قتل برانت ، حتى لا تحيط بك شبهة ما . وسوف أكون فى غاية الشكر لأنى فى الواقع مستاء جدا من حياتى .

لافينيا : (يعقد الرعب لسانها) فلا تستطيع الا أن تلهث أوه .

أورين : (باصرار جنونى هادىء) ألا ترين أننى الآن فى مكان أبى وأنت فى مكان أمى . وهذا هو المصير السيىء للماضى الذى لم أجرؤ على التنبؤ به اننى المانونى الذى قيدت به .. أليس واضحا اذن ..

لافينيا : تسد أذنيهـا بأصبعيها) أرجوك يا أورين .. أرجوك أن تكف عن الحديث (ثم فجأة يتحول خوفها الى غضب وانفعال ، فتقول بلا وعى مكررة نفس التهديد الذى استفزت به أمها فى الفصل الثانى من العودة) . كن حذرا يا أورين ـ سوف تكون مسئولا اذا ـ تتوقف عن الكلام فجأة فزعة من كلماتها .

أورين : اذا ماذا ؟ اذا ما توفيت فجأة فى ظروف غامضة نتيجة هبوط فى القلب ؟ .

لافينيا : أتركنى وحدى . لا تقل هذا . كيف تكون بمثل هذه الفظاعة ؟ ألا تعلم أننى أختك التى تحبك والتى ضحت بحياتها لكى تمنحك الأمن والسعادة ؟ .

أورين : (بلهجة جافة مهددة) لا أصـــدقك . اننى واثق أنك تدبرين أمرا ما ، ولكن اعلمى أننى لن أكف عن مراقبتك وأنذرك باننى لا أقبل أن تتركينى وتذهبى الى بيتر . سوف أحفظ هذا الاعتراف الذى كتبته فى مكان أمين ــ بحيث لا يقرأ الا اذا حاولت أن تتزوجيه ــ أو اذا مت أنا . .

لافينيا : (تمسك بذراعه وتهزه بعنف) كفى يا أورين . . دعك من هذه الخواطر السوداء انك تعذبنى كأنك شيطان ولن أنصت اليك بعد الآن (تنهار وتبكى بانفعال ، بينما أورين يحدق فيها ــ ويبدو كأنه سيعود الى حالته الطبيعية ــ وتتلاشى النظرات القاسية من عينيه شيئا فشيئا وتحل محلها نظرات عادية خالية من الحياة) .

أورين : (بغرابة) لا تبكى يا لافينيا فالملعونون لا يبكون (يلقى بنفسه بشدة على مقعد أبيه وينظـــر الى الأرض . ثم فجأة يقول بجفـــاء) اذهبى الآن . اننى أريد أن أنفرد بنفسى لكى أنتهى من عملى (لافينيا تتحسس طريقها نحو الباب فى ذهول . . وهى تبكى واضعة يدها على عينيها ــ ثم تخرج وتغلق الباب الخلفى . أورين يفتح درج المكتب ويخرج كتاب مخطوطاته ويتناول قلمه) .

ســـتار

الفصل الثالث

(نفس المنظر فى الفصل الأول ــ المنظر الثانى : غرفة الاستقبال بمنزل مانون . الضوء المنبعث من المصباح خافت . والشموع تشتعل فوق القاعدة الرخامية للمدفأة . وتلقى بضوئها الشاحب على « آب مانون » وبقية الصور المعلقة على جانبيه . تبدو العيون فى الصور كأنها تحمل حياة مرة قاسية بنظراتها الجامدة تطل منها على رأس الحياة .. وكأنها تتجاهلها لعدم لياقة العيش كما قال أورين عن أبيه فى الفصل الثانى من « المطارد » . هذا الفصل يأتى من الناحية الزمنية ــ بعد الفصل السابق مباشرة . تدخل لافينيا من البهو آتية من غرفة المكتب حيث تركت أورين فى الفصل السابق . تتجه نحو المائدة وتوقد المصباح . يبدو عليها أنها فى حالة عصبية شديدة . شفتاها ترتعشان وهى تفرك يديها فى حيرة بالغة وتأتى ببعض تصرفات تنم عن توتر وانفعال واضحين مما يذكرنا بأمها فى الفصل الأخير من «المطارد» .

* * *

لافينيا : (تحدث نفسها بقلق وبصوت مرتفع وهى تمشى فى الغرفة جيئة وذهابا) لا يمكن أن أحتمل هذا .. لا يمكن . لماذا يرهقنى دائما بهذه الأفكار السوداء ؟ لماذا لا تكون لديه الشجاعة ؟ (ثم ترفع عينيها بلا وعى الى صور آل مانون المعلقة على الجدار الأيمن وتتوجه اليهم بالحديث كأنهم الرمز المرئى لمعبودها) يا الهى ــ ابعد عنى هذه الأفكار ــ أنت تعلم أننى أحب أورين . أرشدنى يا الهى للوسيلة التى أنقذه بها . لا تدعنى أفكر فى الموت . لا يمكننى أن

أتحمل الموت مرة أخرى . أرجو أن .. (تسمع صوتا منبعثا من البهو فتسيطر على أعصابها وتتظاهر بأنها تتصفح كتابا على النضد . يظهر ست بالباب) .

ست : فينى .

لافينيا : ماذا هناك يا ست ؟ .

ست : لقد عادت حنه الحمقاء الى ترديد اشاعتها مرة أخرى. انها تقول انها ذهبت الى المخزن لتحضر شيئا .. واذا بالأشباح تطاردها وتجرى وراءها . أرجوك أن تأتى معى لتهدئى من روعها ، والا فسوف تترك المنزل (ثم باشمئزاز) وهذا ما جنيناه من تحريرهم .

لافينيا : (بقلق) حسنا سوف أتحدث اليها .. (تذهب مع ست . وتمر فترة قصيرة ثم يدق جرس الباب الأمامى. يفتح الباب وتسمع تحياته لبيتر وهيزيل ويتبعهما وهما يدخلان) .

ست : سوف تأتى فينى حالا . تفضلا بالجلوس وسوف تأتى بأسرع ما يمكنها .

بيتر : حسنا يا ست (يخرج ست مرة أخرى . بيتر وهيزيل يجلسان يبدو بيتر سعيدا كالعادة اما هيزيل فيبدو عليها الاضطراب والقلق رغم أنها تحاول أن تبدو عاقدة العزم) ان لدى موعدا هاما فى اجتماع المجلس لا يمكن اغفاله ويجب أن أذهب الآن .. سوف أعود بعد نصف ساعة .. وربما أقل .

هيزيل : (فجأة برعدة قصيرة) لقد أصبحت أكره هـذا المنزل كرها شديدا . ولولا اورين لما أتيت الى هنا . ان حالته تزداد سوءا يوما بعد يوم . والغريب أنه يقضى كل وقته بالمنزل . هذا أسوأ ما فعلت فينى .

بيتر : وهو لا يخرج .. وأنت تعلمين جيدا أنها تدفعه للسير معك بجهد كبير .

هيزيل : ثم تأتى هى معنا . انها لا تتركه وحده لحظة واحدة .

بيتر : (بابتسامة) أهذا هو ما يضايقك منها ؟ .

هيزيل : (بحدة) بيتر .. لا تكن سخيفا .. اننى ببساطة أريد أن أقول انها تسيطر على أورين بشكل سيىء . ومستعدة أن أقول الكلام أمامها . اننى أشعر أن ثمة خطأ بمعنى معين ، انه يخشانى أحيانا وفينى قد تغيرت بشكل واضح وحتى نظرتها لك . لقد أصبحت فينى جريئة أكثر من اللازم .

بيتر : (ينهض) اذا كنت ستستمرين فى الحديث بهذه الطريقة فيجب أن تخجلى من نفسك يا هيزيل .

هيزيل : لا . لماذا . ان من حقى أن أتكلم فى مسألة فى غاية الأهمية بالنسبة له ، وسوف أطلب منها أن تسمح لأورين بزيارتنا لفترة قصيرة لقد أخبرت أمى بذلك وستكون سعيدة جدا برؤيته .

بيتر : فكرة عظيمة . وستكون ذات فائدة الطرفين . أن فينى أيضا فى حاجة الى بعض الراحة منه .

هيزيل : فينى لن توافق على هذه الفكرة . لقد قلت ذلك أمامها بالأمس فنظرت الى نظرة عجيبة (باصرار) ولكنى سأقنعه هو بأن يحضر الينا غدا ــ بصرف النظر عما تقول فينى .

بيتر : (يربت كتفها ملاطفا) لا تغضبى يا هيزيل . ان الأمر لا يستحق مثل هذا الغضب سوف أساعدك على اقناعها بأن تسمح له بالحضور (بابتسامة) سوف أساعدك فى كل ما يساعد أورين على تحسين حاله ولو لأغراضنا الذاتية اذ طالما ان فينى مقيدة بأورين فلن يمكننا الزواج .

هيزيل : (تحدق فيه وتقول ببطء) هل أنت حقا تريد الزواج من فينى ــ الآن ؟ .

بيتر : لماذا تسألين هذا السؤال الساذج ؟ ماذا تقصدين بكلمة ــ الآن ؟ .

هيزيل : (يضطرب صوتها ويبدو عليها كأنها ستنفجر باكية) أوه ـ لا أدرى يا بيتر ، لا أدرى ..

بيتر : (بحنان وقلق فى نفس الوقت) ماذا دهاك بحق السماء ؟ .

هيزيل : (تسمع صوتا آتيا من البهو فتجمع أعصابها وتنذره) ش . ش . (يظهر أورين بالباب ـ وينظر اليها نظرة سريعة ثم يتجه الى الغرفة ليبحث عن فينى . يحييه الاثنان : مرحى اورين) .

أورين : مرحى . (ثم بهمس واضطراب مقبلا عليهما) أين فينى ؟ .

هيزيل : قال ست انها ذهبت لأمر ما .

بيتر : (ينظر لساعته) أوه ـ يجب أن أسرع الآن .. لاجتماع المجلس .

أورين : (بلهفة) هل أنت ذاهب يا بيتر ؟ .

بيتر : (بمزاح) يجب ألا تبدو متلهفا على ذهابى بهذه الصورة ان هذا ليس من الأدب فى شيء .

أورين : انى أريد أن أنفرد بهيزيل .

بيتر : حسنا . وأنا أيضا مرتبط بموعد هام ولست مضطرا لاخراجى (يضرب اورين على ظهره ضربة خفيفة ثم يتجه نحو الباب ويتبعه أورين حتى يسمع صوت الباب الأمامى وهو يغلق) .

أورين : (يلتفت نحو هيزيل ويقول باضطراب) اسمعى ياهيزيل. أريدك أن تفعلى شيئا ولكن انتظرى الى أن أحضر .. (يندفع خارجا ويمكن سماعه وهو يعبر البهو الى غرفة المكتب ، هيزيل تتبعه بنظراتها فى قلق ، بعد لحظة يعود وفى يده غلاف مقفل ويعطيه لهيزيل ويقول وهو يلهث بشكل عصبى وينظر للباب بخوف) خذى هذا . بسرعة ... لا تجعليها تراه بأية حال من الأحوال . أريد منك أن تحفظيه فى مكان أمين ولا تجعلى أحدا يعرف ما فيه

.. واخشى أن أضعه هنا ، لأنه سيسرق حتما ، اننى أعرفها . هل تعديننى يا هيزيل ؟ .

هيزيل : ولكن ــ ماذا بداخله يا أورين ؟ .

أورين : لا أستطيع أن أخبرك يا هيزيل . أرجوك ألا تسأليني هذا السؤال . ويجب أن تعدينى بألا تفتحيه على الاطلاق ــ الا اذا حدث شيء لى ..

هيزيل : (تنزعج من لهجته) ماذا تعنى أورين ؟ .

أورين : أعنى اذا مت ــ أو ــ وهذا هو أهم شيء ــ اذا حاولت فينى أن تتزوج بيتر . اننى أريدك ــ فى حالة زواجهما ــ أن تجعلى بيتر يقرؤه فى اليوم السابق للزواج .

هيزيل : ألا تريدها أن تتزوج بيتر ؟ .

أورين : لا . يجب ألا تنعم بالسعادة أبدا ، بل يجب أن تنال العقاب . (يتناول يدها فجأة ويقول باضطراب) واسمعى يا هيزيل . يجب أن ينتهى ما بيننا من حب . الحب الوحيد الذى أعرفه الآن هو حب الاثم للاثم الذى ينتج آثاما .. حتى نهبط عميقا الى قاع الجحيم .. القاع الذى ليس أسفله قاع ــ هناك يمكن أن أجد الراحة والأمن والسلام (يضحك ضحكة جافة ويدير وجهه بعيدا عنها) .

هيزيل : أورين . لا تتحدث (ثم تقول بلهجة رقيقة هادئة لتقهر فزعها) تعال الى . (يتجه نحوها فتحيطه بذراعها) اسمع يا اورين . أعرف أن هناك شيئا معينا يقلقك وأنا لا أريد أن أتدخل فيما لا يعنينى ــ ولكنى فى بعض الأحيان ينتابنى شعور قوى بأنك سوف تشعر بارتياح عميق اذا صرحت لى بما يقلقك . ألست معى فى هذا ياأورين؟ .

أورين : (بشوق) فعلا . فعلا . اننى أريد أن أعترف لقلبك النقى وأريد الصفح (ثم يكبح نفسه فجأة ويقول ببلادة) ولكن .. لا .. لا أستطيع .. لا تطلبى منى أن أعترف . اننى أحبها .

هيزيل : يالك من أحمق . ان فينى قد أخبرت بيتر بكل شيء وطلبت منه أن يخبرنى .

أورين : (يحدق فيها بتوتر) ماذا قالت له ؟ .

هيزيل : لقد أخبرته بالنزاع الذى دب بينك وبين والدتك فى الليلة السابقة لموتها ـ وكيف أنك قد فكرت كثيرا فى هذا الأمر حتى أصبحت تعتبر نفسك مسئولا عن موتها .

أورين : (بجفاء) آه ـ فهمت . لقد قالت ذلك ـ حتى اذا ما ذكرت أنا الحقيقة ـ اوه . يا لها من خبيثة . ولكن هذا الخبث لن يعود عليها بشيء هذه المرة . (بحقد) تذكرى الخطاب الذى أعطيته لك يا هيزيل وافعلى بالضبط كما قلت (ثم بتوسل ويأس) أستحلفك بالله اذا كنت تحبيننى ـ أن تساعدينى على الخروج من هنا بطريقة ما ـ والا حدث شيء مروع .

هيزيل : هذا هو بالتحديد ما أريد . تعال عندنا غدا لكى تقيم معنا .

أورين : (بمرارة) هل تعتقدين انها ستسمح بذلك ؟ .

هيزيل : أليس لديك الحق فى أن تفعل ما تريد ؟ .

أورين : ان بامكانى أن أنسل خارجا فى غفلة منها بحيث يمكنك اخفائى ، واذا حضرت لتبحث عنى ، أخبريها أننى لست موجودا .

هيزيل : (بغضب) بالطبع لا . اننى لا أكذب أبدا يا اورين . (ثم بلهجة تنم عن احتقار) كيف يصل بك الخوف من فينى الى هذا الحد ؟ .

أورين : (يسمع صوتا آتيا من البهو فيقول بسرعة) شش .. انها آتية . لا تريها ما أعطيتك اذهبى للمنزل حالا واقفلى عليه (يبتعد عنها فى خوف وحذر كأنه يخشى أن تراه فينى بالقرب منها ، ويجلس على أريكة ، بطريقة تنم على استهتار ، هيزيل تبدو خجلة وجامدة تظهر لافينيا بالباب وتفاجأ حين ترى هيزيل وأورين جالسين وحدهما

تشعر على الفور أن فى الجو شيئا وتنقل نظراتها بينهما فى حدة وقلق عندما تدخل الغرفة) .

لافينيا : (لهيزيل وهى تتظاهر بالهدوء) آسفة لأنى تأخرت عليك ..

هيزيل : لا .. أبدا .. اننى لم أتضايق من الانتظار .

لافينيا : (تجلس على كرسى الوسط) أين بيتر ؟ .

هيزيل : لقد ذهب الى اجتماع المجلس وسوف يعود بعد قليل .

لافينيا : (يبدو عليها القلق فى لهجتها) هل ذهب منذ مدة طويلة ؟ .

هيزيل : لا .. منذ قليل .

لافينيا : (تلتفت الى أورين وتقول بحده) كنت أظنك فى المكتب .

أورين : (يشعر بما يساورها من مخاوف فيقول بسخرية) لقد انتهيت من العمل الذى كنت أقوم به .

لافينيا : هل انتهيت من .. ؟ (تنظر الى هيزيل ثم تغير لهجتها الى مزاح) انكما اليوم غامضان جدا . فيم كنتما تتحدثان ؟ .

هيزيل : (تحاول جاهدة أن تضحك) أوه فينى .. ما الذى يجعلك تظنين ؟ .

لافينيا : انكما تخفيان عنى شيئا (تضطرب هيزيل ، وبالغريزة تضع يدها التى بها الخطاب خلف ظهرها . تلحظ لافينيا هذه الحركة وكذلك اورين الذى يتدخل بسرعة لانقاذ الموقف) .

أورين : اننا لا نخفى شيئا . لقد دعتنى هيزيل لقضاء فترة بمنزلهم ــ وقد قبلت دعوتها .

هيزيل : (تساندە وتقول فى تصميم) نعم ــ سوف يأتى أورين غدا .

لافينيا : (يبدو عليها الاستياء وتقول ببرود) انه لكرم منك يا هيزيل . وأعرف أنك تقصدين مصلحته ولكنه لن يستطيع الذهاب .

هيزيل : (بحـــدة) ولم لا ؟ .

لافينيــا : لا داعى لذكر الأسباب يا هيزيل . يجب أن تعرفى ..

هيزيل : (بغضب) لا أريد أن أعرف ـ لقد بلغ أورين سن الرشد، ومن حقه أن يذهب أينما شاء .

أورين : دعيها تقل ما تريد يا هيزيل . اننى ابتداء من الآن ـ صاحب الكلمة الأولى فى هذا البيت (تنظر لافينيا اليه وقد بدا عليها الانزعاج من صوته الذى ينم على رضـــاء المنتصر) .

هيزيل : (برغبة فى فرض رأيها وأن يظل فى ذاكرة أورين) أعتقد أن هذا سيسرك وأنه أفضل شىء فى العالم بالنسبة له .

لافينيــا : (تلتفت اليها وتقول بغضب) أرجوك أن تهتمى بشئونك الخاصة يا هيزيل .

هيزيل : (تنهض واقفة وفى سورة غضبها تنسى اخفاء الغلاف ، بل تمسكه فى يدها بشكل واضح) ان هذا من أخص شئونى . أننى أحب أورين أكثر مماتحبينه ، أن الطريقة التى تعاملينه بها تدل على أنك لا تحبينه على الاطلاق .

أورين : (يرى الغلاف فى يد هيزيل فيناديها محذرا) هيزيل ! (تدرك هيزيل خطأها على الفور ، فتضع يدها خلف ظهرها . تلحظ لافينيا هذه الحركة ولكن لا يخطر ببالها لحظة ما تنطوى عليه من معنى . أورين يستطرد محذرا) لقد كنت تتولين انك تريدين العودة للبيت مبكرة . اننى لا أريد أن أذكرك .. ولكن ..

هيزيل : (بسرعة) نعم . يجب أن أعود الآن (تتجه نحو البـــاب محاولة اخفـــــاء الخطاب ـ تلحظ أن لافينيـــا تتابعها بنظرآتها فتقول لأورين بتحـــد) سوف ننتظر غدا ـ وسوف نهيىء لك غرفة خاصة . (ثم تقول للافينيـــا ببرود) بعد ما بدر منك الليلة من اهانتى يافينى أرجوك أن تعتبرى ما بيننا من صداقة قد انتهى (تتجه نحـــو الباب فى تثاقل وبطء) .

لافينيا : (فجأة ــ تحول بينها وبين الباب وتقول باتهام غاضب) ماذا تخفين وراء ظهرك ؟ (يحمر وجه هيزيل ولا تنطق بحرف ــ لأنها لا تريد الكذب . تتجه لافينيا الى أورين) هل أعطيتها ما كنت تكتب ؟ (يتردد فتقول فى عنف) أجب عن سؤالى .

أورين : ان هذا من شأنى أنا .. وماذا اذا فعلت ؟ .

لافينيا : أيها الخائن ــ أيها الجبان . (ثم تقول لهيزيل بغضب) اعطنى اياه . هل تسمعين ؟ .

هيزيل : فينى . كيف تجرؤين على أن تحدثينى بهذه الطريقة ؟ (تحاول أن تخرج ولكن لافينيا تحول بينها وبين الباب) .

لافينيا : بحدة) لن أسمح لك بالخروج الا اذا ــ (ثم تستسلم وتقول بتوسل) أورين فكر فيما تفعل . قل لها أن تعطينى اياه .

أورين : لا .

لافينيا : (تتجه اليه وتضع ذراعها حوله فى ضراعة وهو يحول عينيه عنها) أرجوك يا أورين .. فكر فى الأمر لحظة بترو . لا يمكنك أن تفعل هذا . انك مانونى .

أورين : (بجفاء) بل لهذا السبب سوف أعطيها الخطاب .

لافينيا : أستحلفك بأمك . لقد أحببتها .

أورين : وما أكثر ما اهتممت بهذا الحب ! كلا لا تثيرى ذكراها .

لافينيا : (بيأس) اذن فمن أجلى أنا ــ أنت تعرف أننى أحبك قل لهيزيل أن تعطينى الغلاف وسوف أفعل ما تريد .

أورين : (يحدق فى عينيها ويميل برأسه نحوها حتى يتقارب الوجهان ويقول باصرار عليل) هل تعنين ذلك فعلا ؟ .

لافينيا : (تتراجع الى الوراء مبتعدة عنه ــ وفى تلعثم) نعم .

أورين : (يضحك فى انتصار جنونى ثم يتوقف فجأة ويتجه الى هيزيل التى كانت تقف مرتبكة غير مدركة لما يختفى وراء حديثها ولكنها تتوقع شرا يزعجها بشدة . يتكلم أورين

بفظاظة وعيناه مثبتتان على لافينيا (أعطنى الغلاف يا هيزيل .

هيزيل : (تناوله الغلاف وتقول بصوت مرتعش) سأذهب وأعتقد .. الآن . اننا لن ننتظرك غدا .

أورين : لا .. لن أحضر . وحاولى أن تنسينى يا هيزيل . ان أورين الذى كنت تحبينه قد لقى مصرعه فى الحرب (بابتسامة ملتوية) تذكرى فقط ذلك البطل الشهيد ، ولا تشغلى بالك بشبحه البالى . الى اللقاء (ثم بغلاظة) أرجوك أن تذهبى الآن (تشهق هيزيل باكية ثم تخرج مسرعة هائمة على وجهها . يعود أورين للافينيا الراكعة بجانب المقعد ويضع الخطاب فى يدها ويقول بجفاء) خذى . هل تدركين ان وعدك يتضمن أن تقطعى صلتك نهائيا ببيتر وألا تريه مرة أخرى ؟

لافينيا : (بتوتر) نعم .

أورين : وأظن أنك تعتقدين أن هذا كل ما هنالك . واننى سوف أقنع بهذا الوعد الذى انتزعته منك انتزاعا والذى ستحاولين بكل الوسائل أن تعدلى عنه . أوه ــ كلا . اننى لست أحمق الى هذا الحد . تأكدى من هذا ــ (لافينيا لا تجيب ولا تنظر اليه . يحدق فيها ببطء وتتألق فى عينيه نظرة ملتوية تفيض بالرغبة) لقد قلت : انك مستعدة لأن تفعلى أى شيء من أجلى . ان هذا وعد كبير يا فينى .. أى شيء .

لافينيا : (تشرد بعيدا عنه) ماذا تعنى ؟ فيم كنت تفكر فى المدة الأخيرة ــ غير ما كنت تهذى به فى لا . لا أريد أن أعرف . أورين لماذا تنظر الى هكذا ؟ .

أورين : يبدو أنك لا تعرفين كل ما تعنين بالنسبة لى الآن ، أو كل ما جعلت نفسك تعنين بالنسبة لى منذ أن قتلنا أمنا .

لافينيا : أورين .

أورين : اننى أحبك الآن بكل ما أحمل من اثم .. الاثم الذى

اقترفناه معا . وربما أحبك جدا أكثر مما يجب يافينى.

لافينيا : انك لا تدرك ما تقول .

أورين : كثيرا ما أشعر أنك لست أختى ــ ولا أمى ــ وانما انسان غريب له نفس الشعر الجميل (يلمس شعرها برفق . تبتعد عنه بعنف ، بينما يضحك بوحشية) ربما كنت مارى برانتوم .. هه ؟ وتقولين : انه ليس ثمة أشباح فى المنزل ؟ .

لافينيا : (تحدق فيه برعب مسحور) بحق الاله ــ لا . انك مجنون . لا يمكن أن تعنى ..

أورين : كيف أثق اذن بأنك لن تتركينى . لن تجرؤى بعد هذا أن تتركينى . انك فى هذه الحالة ستشعرين بالذنب تماما كما أشعر أنا . (ثم يقول بغضب حين يرى على وجهها علامات النفور والاشمئزاز) لعنة الله عليك . ألا تعلمين أننى فى حاجة ملحة الى الشعور باليقين ، والا أصبت بالجنون ؟ وانك لا تريدين أن أصاب بالجنون .. أليس كذلك ؟ لأنى فى هذه الحالة سوف أتكلم كثيرا . سوف أعترف . (ثم كأن الكلمة قد حركت شيئا ما فى أعماقه، فيغير لهجته على الفور ويقول بتوسل ورجاء) فينى . أستحلفك بالله ، دعينا نذهب الآن ونعترف ، وننل العقوبة على قتل أمنا . ثم بعد ذلك ننعم بالأمن والسلام .

لافينيا : (تتمزق من الألم ، وتقول بهمس المشتاق) السلام ! (ثم تنهض واقفة فجأة وقد استجمعت ارادتها) كلا أيها الجبان . ليس هناك ما نعترف به . فلم تكن سوى العدالة .

أورين : (يلتفت الى الصور المعلقة على الحائط ويوجه اليها حديثه بسخرية مجنونة) هل تسمعونها ؟ ان لافينيا مانون أشد مراسا منى وسوف تظل أشباحكم تطاردها مدى الحياة .

لافينيا : (تفقد السيطرة على نفسها ، فتنفجر فيه بغضب وانفعال

وكره صريح) اننى أكرهك ، اننى أكرهك . وأتمنى موتك فأنت لا تستحق الحياة . انك شرير . شرير . لو لم تكن جبانا .. لكان من الضرورى أن تقتل نفسك .

أورين : (يتراجع الى الوراء كأنه أصيب بصدمة عنيفة تتحول النظرة المعذبة فى وجهه الى تعبير مروع مصدوم) فينى !.

لافينيا : اننى أعنى ما أقول . أعنى كل كلمة قلتها . (تجلس وتبكى بطريقة عصبية) .

أورين : (يهمس متوسلا) فينى (يحدق فيها بالتعبير الحائر المصدوم لحظة أخرى ثم تعود الى عينيه النظرة الوحشية ويقول فى تهكم جاف : أهذا أيضا عمل من أعمال العدالة ؟ انك تريدين أن تدفعينى الى الانتحار — كما دفعت أنا أمى . العين بالعين — أهـذا هو ما تقصدين ؟ ولكن — (يتوقف عن الكلام فجأة ويشخص ببصره الى أمام كأنما هذه الفكرة قد سيطرت على ذهنه المعذب ويحدث نفسه مذهولا) نعم . سيكون عدلا . أنت الآن أمى . انها تتكلم خلالك الآن (يزداد استسلامه شيئا فشيئا لهذا التيار من التفكير) نعم . هذا هو الطريق للسلام — لكى أعثر عليها من جديد — جزيرتى المفقودة — ان الموت أيضا جزيرة من السلام — سوف تنتظرنى أمى هناك — (يخاطب الموتى بتأثر وانفعال) أمى . هل تعرفين ماذا سأفعل ؟ سوف أجثو على ركبتى وأطلب منك العفو — سوف أقول لك — (يرتعش فمه كأنه يوشك أن يتجرع السم) أنا سعيد لأنك وجدت الحب يا أمى، سوف أتمنى لك السعادة — أنت وآدم . (يضحك جذلا) انك تسمعيننى . انك هنا فى المنزل الآن . انك تنادينى تنتظريننى . (يلتفت حوله ثم يتجه نحو الباب) .

لافينيا : (ترفع رأسها وتحدق فيه برعب — فى أثناء الجزء الأخير من كلامه . ثم حين يعصف بها الألم — تجرى وراءه

وقد أمضها الندم وتلقى بذراعيها حوله) لا . يا أورين لا .

أورين : (يدفعها بعيدا عنه ـ ويقول بجفاء وغضب أخوى) ابعدى عن طريقى ـ ابعدى . ان أمى تنتظرنى (يتجه نحو الباب، ثم يلتفت خلفه ويقول بحدة) ش ش ش . ان بيتر آت، اسكتى الآن (يظهر بيتر فى مدخل الباب ،ويتراجع أورين الى الخلف خطوتين) .

بيتر : أرجو أن تعذرانى لأنى دخلت بدون اذن . لقد كان الباب مفتوحا .. أين هيزيل ؟ .

أورين : (بلا مبالاة ولكنه يبدو غير طبيعى) عادت الى المنزل . (ثم ينظر الى لافينيا نظرة سريعة ساخرة ذات معنى) اننى ذاهب الى المكتب لكى أنظف غـدارتى فقد علاها الصدأ . اننى سعيد بحضورك الآن يا بيتر . تستطيع أن تجلس قليلا مع فينى . (يغادر الغرفة ـ بيتر يلاحقه بنظراته دون أن يفهم شيئا) .

لافينيـا : (تصرخ صرخة مكتومة) أورين . (لا أحد يجيب ،وانما يسمع صوت باب المكتب وهو يغلق . تحاول أن تجرى وراءه ـ ثم تتوقف فجأة ـ ثم تلقى بنفسها بين ذراعى بيتر ، كأنما تحتمى به من نفسها وتبدأ الكلام بسرعة لتغرق خواطرها) . ان كل شيء ما خلا الحب باطل ـ أليس كذلك ؟ انه فى المحل الأول ولا يقدر بثمن أو ، يجب أن نحصل على السلام من أجل السـلام ـ ان الانسان ضعيف ، ولا قدرة له على النسيان ـ وليس لانسان الحـق فى أن يحرم الآخـرين من السـلام . (تغطى أذنيها بيديها) .

بيتر : (ينزعج مما هى عليه من اضطراب) ان أورين فى غاية الحماقة اذ يعبث بغدراته وهو على هذه الحال ـ هل أذهب وآخذها منه ؟ .

لافينيـا : (تمسكه بشدة وتقول بسرعة) أوه ـ أليس رائعـا

يا بيتر ــ أن نتزوج . ويكون لدينا منزل جميل وحديقة وأشجار .. سوف نكون فى منتهى السعادة . اننى أحب كل ما ينمو ببساطة ــ ويتجه نحو الشمس .. كل ما هو معتدل وقوى . وأكره كل ما هو منحرف فى نمـوه ، ويقضى حياته فى الظلال . (ثم يرتفـع صـوتها بشكل هستيرى ،وبحركة تلقائية تغطىأذنيها بيديها مرة أخرى) اننى لا أتحمل الانتظار والانتظار والانتظار (صوت طلقة مكتومة من غرفة المكتب عبر البهو) .

بيتر : (ينزع نفسه ويجرى نحو الباب) يا الهى ما هذا ؟ (يندفع نحو الباب) .

لافينيـا : (تستند الى المائدة فىتهالكواضح وقد بدا عليها الضعف والاعياء ــ وتقول بصوت مرتعش) أورين . سامحنى. (تستجمع بجهد كبير كل ما لديها من ارادة لكى تسيطر على نفسها . شفتاها تجمدان . تخفى الغلاف بطـريقة آلية فى درج المائدة وتغلق الدرج بالمفتاح) يجب أن أدخل ــ (تتجه نحو غرفة المكتب ــ ولكن عينيها تقعان على صور آل مانون المعلقة ، وكأنها تنظر اليها باتهام فتقـول بتحد) لماذا تنظرون الى هكذا ؟ ألم تكن هذه هىالوسيلة الوحيدة لكى أحفظ أسراركم ؟ ولكنى الآن قد نفضت يدى منكم الى الأبد . أتسمعوننى ؟ اننى ابنة أمى ولم أعد منكم ــ وسوف أعيش بالرغم منكم (تشـد كتفيها بالحركة التى نقلتها عن أبيها من قديم .. وكأنها بمحاولة التنصل من صفات « المانونية » قد عادت الى حظـيرة المانون .. تخرج من الغرفة فى صلابة وجمود) .

ســــتار

الفصل الرابع

(نفس المنظر فى الفصل الأول ـ منزل مانون من الخارج ـ الوقت قبيل الغروب ـ بعد ثلاثة أيام من الفصل السابق ـ منزل مانون له نفس مظهر الفصل الأول من « العودة من الميدان » الشمس تلقى أشعتها الذهبية الهادئة فى ضباب مضيء على رواق المعبد الاغريقى مؤكدا بياض الأعمدة ، والاخضرار العميق للمصاريع والأشجار ، والسواد المخضر لشجر الصنوبر . الأعمدة تلقى ظلالها على الحائط الرمادى خلفها ، والنوافذ كلها مفتوحة والمصاريع مثبتة الى الخلف وعلى أرض الشرفة ينعكس ضوء الشمس من أجزاء النوافذ المرتفعة فى حملقة مضطرمة كأنها عين منتقم . يظهر ست آتيا ببطء من الناحية اليمنى وبيده قارض للحشيش ـ يشغل نفسه بأن يسوى أطراف النبات على طول الطريق والحقيقة انه يقتل الوقت بمضغ الطباق والغناء الحزين لنفسه بصوته المسن الذى يتضح منه أنه كان يوما ما مغنيا حسنا ذا صوت متوسط الدرجة :)

* * *

ست : أوه شيناندوه . . اننى مشتاق لأن أسمعك .
ألا ابتعد أيها النهر المنساب .
أوه شيناندوه ، لا أستطيع أن أقترب منك .
فأنا مقيد بعيدا .
بنهر الميسورى الفسيح .
أوه شيناندوه . . اننى أحب ابنتك .
ألا ابتعد أيها النهر المنساب .

(ست يتوقف عن الغناء وينظر الى الأزهار فى الحديقة ـ ويهز يديه ثم يحدث نفسه) انها عادت الى قطف أزهارى من جديد .. كما كانت تفعل أمها بل أكثر . لقد ملأت كل غرف المنزل بالأزهار . يا الهى . كنت أتمنى أن تكف عن هذا بمجرد انتهاء الجنازة . بعد قليل لن تبقى فى الحديقة زهرة (ينظر بعيدا . يبدو كأنه مشغول ثم يتمتم بامتعاض) انه لأمر غريب جدا أن يقتل نفسه وهو ينظف غدارته . ألم يكن جنديا ؟ هذا مايقول الناس وسيخجلون منها الآن ، فان كل مانونى يحمل لهم معنى الموت المفاجىء (ثم بكبرياء) ولكن فينى قادرة عليهم ولن تمكنهم منها . انها الفرع النظيف بشجرة المانون (تدخل لافينيا من الناحية اليسرى ، الأيام الثلاثة الماضية تركت أثرا واضحا فيها ، يبدو بوضوح انها عادت الى ما كانت عليه من نحافة وشحوب واستواء الصدر وهى ترتدى ثوب حداد قاتم ، اما القناع المانونى فقد ظهر على وجهها بصورة واضحة .. وجهها الذى أصبحت خطوطه عميقة وبدا عليه الارهاق فتحول الى تعبير صخرى خال من الشعور ، وشفتاها شاحبتان مسحوبتان بشدة فى خط عابس ، تحمل فى يدها باقة كبيرة من الأزهار ، وتناولها لست وتقول بصوت غريب خاو) .

لافينيا : خذ هذه الأزهار ياست ، وأعطيها لحنة وقل لها تنثرها فى الداخل ، اننى أريد أن أملأ البيت كله بالأزهار . سوف يأتى بيتر الآن . وأريد أن يبدو كل شىء جميلا ومبهجا (تذهب وتجلس على قمة السلم وقد وضعت ذراعيها الى جانبيها وضمت رجليها فى جمود وشخصت ببصرها الى ضوء الشمس فى نظرات ثابتة جامدة متحدية) .

ست : (يظل واقفا وقد أمسك الأزهار بيده وهو ينظر اليها بقلق) لقد رأيتك جالسة فى نفس هذا المكان حين استيقظت فى الساعه الخامسة صباحا ـ بل انى أراك

كل صباح منذ وفاة أورين ـ ألا تنامين يا فينى ؟ تنظر أمامها كأنها لا تسمع بينما يستطرد هو ملاطفا) ما رأيك فى أن أهيىء لك أريكة لتستلقى عليها وتأخذى قسطا من الراحة ينفعك ؟

لافينيا : لا . أشكرك يا ست . اننى أنتظربيتر (تمر فترة قصيرة ثم تقول بفضول) لماذا لم تطلب منى أن أستلقى داخل المنزل ؟ (يتظاهر ست بأنه لم يسمع السؤال .. متجنبا عينيها) انك تفهم كل شىء .. أليس كذلك ؟ لقد عشت معنا نحن آل مانون فترة طويلة وبالتالى تعرف جيدا أنه ليس ثمة راحة فى هذا المنزل الذى بناه جدى ليكون معبدا للكراهية والموت .

ست : (مندفعا) لا تحاولى أن تعيشى هنا فينى . تزوجى من بيتر واتركا هذا البيت .

لافينيا : نعم ـ سوف أتزوجه ـ وسوف أذهب معه بعيدا .. وأنسى هذا البيت وكل ما حدث فيه .

ست : هذا عين الصواب يافينى .

لافينيا : سوف أغلقه الى الأبد ، وأتركه للشمس والأمطار لتقضى عليه ، سوف تبلى صور آل مانون على الجدران وتتوارى الأشباح فى طيات الموت ، سوف تندثر ذكرى آل مانون ، اننى آخر السلالة وانتمائى اليهم لن يستمر طويلا . سوف أصبح مسز بيتر نيلز وينتهون .. شكرا لله (تضطجع الى الخلف وتغمض عينيها فى ضوء الشمس يحدق ست فيها بقلق ثم يهز رأسه ويبصق . يسمع صوتا فيتجه ببصره الى أسفل اليسار البعيد) .

ست : فينى .. ها هى هيزيل قادمة .

لافينيا : (يبدو عليها الانزعاج وهى تهز وجهها بجفاء) هيزيل ؟ ماذا تريد ؟ (تنهض قفزا وكأنها ستجرى داخل المنزل ثم تقف أخيرا على قمة السلم وتقول بصوت جاف) عد لعملك ياست .. من فضلك .

ست : أجل (يتحرك ببطء خلف البنفسج عندما تدخل هيزيل من اليسار المواجه ــ يلمحها فيقول) : مســـاء الخير يا هيزيل .

هيزيل : مساء الخير ياست (تقف فجأة وتحدق في لافينيا بينما تنظر اليها لافينيا بتحد وقسوة ، هيزيل ترتدي ملابس الحداد وقد [illegible] عينيها الحزن والشحوب . اما عيناها فتدلان بوضوح على كثرة ما ذرفت من دموع . خطواتها تنم على حزم وقوة وهي تسير في تصميم حتى قاعدة السلم) .

لافينيــا : ماذا تريدين ؟ ان لدي شئونا كثيرة لابد من انجازها .

هيزيل : (بهدوء) لن أستغرق طويلا لكي أقول لك ما أتيت من أجله (تنفجر فجأة) انها أكذوبة أن يقال : أن أورين قتل نفسه خطأ .. أكذوبة أعرفها .. لقد قتل نفسه عمــدا .

لافينيــا : كوني حذرة يا هيزيل .. فيما تقولين . انني أستطيع أن اثبت ما حدث .. لقد كان بيتر هنا .

هيزيل : أنا لا يهمني كلام الناس .

لافينيــا : كنت أتصور أنك آخر انسان يتهم أورين ..

هيزيل : أنا لا أتهمه لا تجترئي وتقولي هذا . انني أتهمك أنت . انك دفعته الى هذا . أعرف هــذا معرفة اليقين . قد لا أتمكن من اثباته كما لا أتمكن من اثبات أشياء كثيرة أشار اليها أورين ولكنني أعرف أن ثمة أمورا مروعة قد حدثت ــ وأنك المسئولة عنها .

لافينيــا : (تحاول اخفاء رعدة الخوف باصطناعها نغمة التأنيب) ماذا كان يقول عنك أورين اذ تحضرين الى هنا وتتهمينني يوم جنازته بانني المسئولة عن هذه الكارثة المحزنة التي لحقت باسرتنا .

هيزيل : (تشعر بالذنب ، ولكنها في نفس الوقت تشعر ــ في تحد ويقين ــ بأنها على صواب) حسننا يا فيني . لن أناقش

هذا الموضوع بعد الآن . ولكنى أعلم أن فى الأمر شيئا . وانت أيضا تعلمين ــ وهذا الشىء هو سبب جنون أورين (تنفجر باكية) أورين المسكين ! .

لافينيا : (تنظر أمامها بينما ترتعش شفتاها وتقول بصوت مختنق وهى تضغط اسنانها) لا تبكى يا هيزيل .

هيزيل : (تسيطر على أعصابها وتمر فترة قصيرة) آسفة يا فينى . اننى لم آت لأتكلم عن أورين .

لافينيا : (بقلق) اذن لماذا أتيت ؟ .

هيزيل : لأتكلم عن بيتر .

لافينيا : (تقول بجفاء كأنها تتوقع شيئا خطيرا) اتركينى أنا وبيتر وشأننا .

هيزيل : مستحيل . انك ستتزوجين بيتر وتحطمين حياته (بتوسل) ولكنك لن تتمكنى من هذا .. ألا تدركين انه لن يرى السعادة معك .. وأنك انما تجرينه الى هذا الشىء المخيف ؟

أيا كان .. فانه سيشاركك اياه .

لافينيا : ليس فى الأمر ما يخيف .

هيزيل : اننى أعرف أن بيتر لا يعتقد بوجود الشر لدى أى انسان ولكن بعد أن يتزوجك ويعيش معك بمفرده فلن تستطيعى اخفاء هذا الشىء المخيف ، وسوف يشعر حتما بما أشعر انا به . وحينئذ لن يمكنك أبدا أن تعيشى معه فى سعادة وهذا الشىء المخيف بينكما (بتوسل) أوه فينى . يجب أن تكونى عادلة فيما يتعلق ببيتر . يجب أن تفكرى فى سعادته ــ اذا كنت تحبينه فعلا .

لافينيا : (بجفاء) اننى أحبه فعلا .

هيزيل : وسوف يكون هذا سر شقائه وقد ظهرت بوادره فعلا .

لافينيا : انك تكذبين .

هيزيل : لقد تشاجر مع أمي فى الليلة الماضية حين حاولت أن

تتحدث اليه ــ وهذه هى المرة الأولى التى يختلفان فيها. ان هذه مسألة غريبة جدا على سلوك بيتر الطبيعى . لقد تغير بيتر كثيرا . وأنت السبب . لقد ترك المنزل وذهب ليعيش فى الفندق على ألا يتحدث معنا أنا وأمى مرة أخرى . كان بيتر دائما ابنـــا رائعا وأخا رائعا ، وعشنا نحن الثلاثة معا فى منتهى السعادة . لكنه حطم قلب أمى ، وهى الآن تقضى وقتهـا فى البكاء والنحيب (بيأس) أوه فينى . لا تتزوجيه فهو كارهك حتما آخر الأمر .. وسوف يكون هذا عقابا شديدا .

لافينيــا : لا .

هيزيل : هل تريدين أن تحملى مسئوليـــة دفع بيتر الى مصـــير أورين ؟ قد ينتهى الى هذا حين يكتشف الحقيقة .

لافينيــا : (بعنف) أية حقيقة أيتها الحمقاء الصغيرة .. يكتشف ماذا ؟ .

هيزيل : (بلهجة اتهام) لا أعلم ــ ولكنك أنت تعلمين . اســألى ضميرك أمام الله ــ هل يصح أن تتزوجى من بيتر ؟ .

لافينيــا : (بيأس وقد فقدت آخر الحيل) نعم ــ أمام الله أمام أى شىء . (تنظر اليها بقسوة ثم تنفجــر غاضبــة) اتركينى وحدى ــ اتركينى ــ والا قتلتك بغدارة أورين .. (يتركها الغضب فى حالة اعياء وضعف فتذهب الى مقعدها وتجلس عليه فى تهالك واضح) .

هيزيل : يالك من شريرة . أعتقد أنك تفعلين ذلك يا فينى ! ما الذى جعلك هكذا ؟ .

لافينيــا : اخرجى .

هيزيل : فينى ! (تغمض لافينيا عينيها . بينمـــا تقف هيزيل وتحدق فيها . تمر فترة قصيرة ثم تقول بصوت مرتعش) حسنــا ــ سوف أخرج . ولكن مع هذا لا يسعنى الا أن أثق فيك فأنا أعلم أنك فى صـــميم قلبك لا يمكن أن تكونى ميتة الضمير أمام مسائل تتعلق بالشرف والعدل ..

فأنت مانونية . (تضحك لافينيا ضحكة مريرة قصيرة بدون أن تفتح عينيها) على الأقل أنت مدينة لبيتر بأن تدعيه يقرأ ما كتب أورين فى هذا الغلاف ، لقد طلب منى أورين أن أجعل بيتر يقرؤه قبل أن يتزوجك . وقد أخبرت بيتر بذلك يا فينى .

لافينيا : (تقول بطريقة غريبة وبدون أن تفتح عينيها كأنها تتحدث الى نفسها) الموتى ! لماذا لا يموت الموتى .

هيزيل : (تحدق فيها فى رعب ـ لا تدرى ماذا تفعل ـ تنظر حولها بقلق ـ ترى شخصا قادما من اليسار المواجه فتقول بسرعة) ها هو قد أتى . سوف أخرج من الخلف . لا أريد أن يلتقى بى (تهم بالذهاب ولكنها تقف عند شجيرات البنفسج وتقول فى عطف) اننى أعلم انك تقاسين يافينى ـ ولكننى واثقة أن ضميرك سيهديك الى الصواب . . فليغفر الله لك (تخرج بسرعة خلف البنفسج حول المنزل حتى المؤخرة) .

لافينيا : (تلاحقها بنظراتها وتقول بتحد) اننى لا أطلب الغفران من أحد ، اننى أغفر لنفسى . (تضطجع مرة أخرى على المقعد وتغمض عينيها . (يدخل بيتر وقد بدا عليه الشرود والارهاق ـ يسير فى الحديقة ببطء ، وقد طأطأ رأسه ، ثم يرى لافينيا فيحاول جاهدا أن يستعيد قواه ليبدو طبيعيا ومرحا) .

بيتر : مرحى فينى (يجلس الى جانبها على حافة الرواق ـ ومازالت هى مغمضة عينيها كأنها تخاف أن تفتحهما . ينظر اليها بقلق) ان مظهرك يدل على الارهاق الشديد . ألم تنامى ؟ (يضع يده على يدها برفق بطىء ، يتشنج فمها ويتدلى عند الجانبين حين تخنقها عبرة . يقبل عليها ملاطفا) لقد مررت بفترة عصيبة فى المدة الأخيرة يافينى ولكن لا تشغلى بالك فسوف نتزوج قريبا جدا .

لافينيا : (تقول باشتياق وبدون أن تفتح عينيها) هل تحبنى دائما يا بيتر وتساعدنى على نسيان ما حدث ؟ .

بيتر : أنت تعرفين أننى سأظل أحبك مدى الحياة . ولكن أول ما يجب أن نفعله هو أن نهجر هذا البيت الكئيب ، قد أكون أحمق ولكنى بدأت أشعر بوجود الأشباح فيه ..

لافينيا : (ما زالت مغمضة عينيها)نعم . لا يمكن لمن يعيش فى هذا المنزل أن ينعم بالحب . لابد أن نتركه ليموت ــ ونذهب الى مكان بعيد ــ وننسى الموتى .

بيتر : (بمرارة واستياء) اننى لم أعد أطيق هذه المدينة وأصبحت أكره كل انسان فيها ولا داعى لأن نبتعد كثيرا .

لافينيا : (تفتح عينيها وتنظر اليه فى دهشة) ولكنى لم أسمعك تتحدث بهذه الطريقة من قبل يا بيتر . ان لهجتك تفيض بالمرارة .

بيتر : (يتجنب نظراتها) هناك أشياء تجعل الانسان شديد المرارة .

لافينيا : لقد تشاجرت مع أمك وأختك من أجلى ــ فهل هذا هو السبب ؟ .

بيتر : كيف عرفت ؟ .

لافينيا : كانت هيزيل هنا منذ قليل .

بيتر : وهل أخبرتك ؟ يالها من حمقاء . لماذا فعلت ذلك ؟ .

لافينيا : انها لا تريد أن نتزوج .

بيتر : (بغضب) يا للدساسة .. بأى حق ؟ (ثم يغتصب ابتسامة ويقول بقلق) حسنا أرجو ألا نعير كلامها أى اهتمام .

لافينيا : وكأنها تجيب على صوت فى أعماقها أكثر مما تجيب عليه .. فتقول بتحد (وهى تثبت جسدها على مقعدها) كلا .

بيتر : لقد سيطرت على رأسها فجأة ــ هى وأمها ــ بعض الخواطر الجنونية . ولكنها ستزول حتما وتنسى .

لافينيا : (تحدق فيه بقلق وتساؤل) فلنفرض انهم لن يغيروا رأيهم .

بيتر : سيغيرونه حتما بعد أن نتزوج . أو ينتهى ما بينى وبينهما .

لافينيا : (تمر فترة قصيرة ــ ثم تخفى وجهها بيديها وتتجه اليه وتقول) بيتر . دعنى أنظر اليك . . انك تقاسى الكثير . . وفى عينيك نظرات الألم وكانتا تفيضان بالثقة ، أما الآن فبالشك وبالخوف من الحياة . هل أنا السبب فى كل هذا ؟ هل بدأت تشك فى ؟ هل تفكر فيما كتبه أورين؟.

بيتر : (يعترض بشدة) بالطبع . لا اننىواثق أن أورين لم يكن فى حالته الطبيعية ؟ فكيف أهتم بما . . ؟

لافينيا : هل تقسم أنك لن تشك فى أبدا . . من أية ناحية ؟ .

بيتر : ماذا تظنيننى ؟ .

لافينيا : وانك لن تسمح لأى انسان بأن يفرق بيننا ولا لأى شيء بأن يحرمنا السعادة . . أى شيء مهما كان . . أتفعل ؟.

بيتر : ماذا تظنيننى ؟ .

لافينيا : (بيأس يتزايد) أريد أن نتزوج حالا يابيتر فأنا خائفة . هل توافق على الزواج منى الآن . . الليلة ؟ نستطيع أن نجد الكاهن الذى يتم لنا الزواج . وأستطيع أن أغير ملابسى فى ثانية واحدة وألبس اللون الذى تحبه . اننى أفضل أن نتزوج الليلة يا بيتر . اننى أخشى الانتظار .

بيتر : (مرتبكا وقد صدم قليلا) لكن ــ غير معقول . ليس من الصواب أن نتزوج بعد وفاة أورين بأيام معدودة فعلينا احترامه (ثم يشعر بالشك بالرغم منه) ولكنى لا أفهم لماذا تخشين الانتظار . ما الذى يمكن أن يحدث ؟ هل فيما كتب أورين ما من شأنه أن يمنعنا من الـ . . ؟

لافينيا : (تضحك ضحكة وحشية جريحة) ها هم الموتى يحولون بيننا ، وسوف يحولون بيننا على الدوام . انك تأتمننى على سعادتك ومعنى هذا انك تأتمن موتى المانون . . وهم

لا يؤتمنون على الحب . ولن أحتمل نظراتك المريرة وأنت تحاول اخفاءها وقد جرحت في ثقتها بالحياة .. بيتر .. انني أحبك كثيرا جدا .

بيتر . (يزداد قلقاً وارتيابا) عم تتحدثين يافيني ؟ لقد جعلتني أشعر بأن في الأمر شيئا .

لافينيا : (بيأس) لا .. لا شيء (ثم فجأة تحيطه بذراعيها) لا لا تفكر في هذا ـ لم يحن الوقت بعد . انني أريد أن نعيش برهة في سعادة ـ بالرغم من الموتى (يزداد احساسها باليأس) اسمع يا بيتر . لماذا نؤخر زواجنا ؟ انني في حاجة لفترة سعادة وحب ولنستعد لما هو قادم أريدها الآن . ألا تستطيع أن تكون قويا يا بيتر ؟ ألا تستطيع أن تكون بسيطا وصافيا ؟ ألا تستطيع أن تنسى الخطيئة وتؤمن بأن الحب جميل (تقبله بانفعال يائس) قبلني ـ ضمني ـ أغمرني بحبك ، الحب الذي يجعلك تقتل أي انسان يحاول أن ينالني . لقد فعلت هذا من أجلك .. خذني في بيت الموتى هذا وامنحني حبك . ان حبنا سوف يطرد هؤلاء الموتى وينتصر عليهم . سوف يجعلهم يشعرون بالخجل ويعودون الى قبورهم . (يصل بها اليأس غايته فتقول في انفعال المخذول) انني في حاجة الى حبك . خذني يا آدم .. (ترتد الى نفسها فجأة حين يفلت منها هذا الاسم ، فتضحك ببلادة) آدم، ما الذي جعلني أناديك بآدم ؟ انني لم أسمع هذا الاسم من قبل ـ اللهم الا في الكتاب المقدس . (وفجأة تقول في نهاية يائسة خامدة) الموتى بيننا دائما . لم يعد ثمة جدوى من أية محاولة .

بيتر : (يقتنع بانها فيحالة غير طبيعية ويصدم باظهار مشاعرها) فيني . انك تهذين ولا تدركين ما تقولين لست في حالتك الطبيعية اطلاقا .

لافينيا : (بصوت خال من الحياة) لا أستطيع أن أتزوجك يابيتر .

وخير لنا ألا تراني بعد اليوم (يحدق بيتر فيها وهو في غاية الدهشة) عد الى بيتك يا بيتر .. الى أمك وأختك.

تزوج فتاة أخرى ، ان الحب محرم على . ان الموتى أقوياء .. أقوياء جدا

بيتر : (بقلق واضطراب) فيني . مستحيل . ـ انك مجنونة ولا شك ـ ما الذى غيرك هكذا (ثم بارتياب) هل هو ما كتبه أورين ؟ ماذا كان في الورقة ؟ ان من حقى أن اعرف أليس كذلك ؟ (لافينيا لا تجيب ـ فيقول بلهجة أكثر ارتيابا) لقد تصرفت بطريقة شاذة بشأن ما حدث في الجزيرة . فهل هو شيء يتعلق بذلك الشاب الذى قابلته هناك ؟ .

لافينيا : (تشعر بالغريزة أنها أهينت بشدة) بيتر . كيف تجرؤ .. ؟ (ثم فجأة تتمسك بهذه النقطة كوسيلة للخروج من هذا المأزق فتقول في خشونة مقصودة) حسنا . نعم اذا كان لابد أن تعرف . اننى لن أكذب عليك بعد الآن . لقد كان أورين يشك في انى استسلمت لافاهانى . ولقد فعلت ذلك .

بيتر : (يحجم عنها في دهشة ـ ثم في انكسار) فيني . لقد جننت ولا شك . لا أصدق ـ أنك ـ مستحيل ـ مستحيل .

لافينيا : (بصوت حاد) ولم لا ؟ لقد كنت أريده ، كنت راغبة في أن أتعلم الحب منه ، الحب الذى لا يمت للخطيئة بصلة ، ولهذا تركت نفسى له ، لقد كنت فتاة أحلامه .

بيتر : (يجفل فزعا كأنها صفعته على وجهه ويحدق فيها بنفور واشمئزاز . ثم يقول بغضب ومرارة) اذن كانت أمي وهيزيل على حق في كل ما قالتاه عنك ـ انك شريرة في أعماقك ـ وليس غريبا أن يقتل أورين نفسه لكى يهرب منك ـ يا الهى ـ كم أتمنى أن تنالى عقابك (يخرج بسرعة هائما على وجهه في الطريق يسارا) .

لافينيـا : (ترقبه وهو يذهب ثم تجـرى وراءه وهى تصرخ فى يأس) بيتر . انها كذبة . اننى لم .. (تتوقف عن الجرى فجأة وتعود الى مظهـرها المتسم بالصـلابة واستقامة الكتفين .. تتبعه ببصرها الى أسفل الطريق . ثم تعود وتقول بلهجة تنم على الألم والضياع) وداعا يا بيتر (يدخل سث من الناحية اليسرى الخلفية آتيا حـول ناصية المنزل يقف لحظة وهو ينظر اليها فى دهشة عابسة ثم يبدأ فى الغناء همسا أغنيته الحزينة « شيناندوه » لكى يثير انتباهنا بحضوره ، وفى نفس الوقت ينظر الى الأرض حوله كأنه يبحث عن شيء ما) .

سث : أوه شيناندوه ــ لا أستطيع أن أقترب منك . فأنا مقيد بعيدا .

لافينيـا : (دون ان تلتفت اليه تلتقط الكلمات الأخيرة مـن الأغنية وتقول وقد ارتسمت على شفتيها ابتسامة حزينة) أنا مقيد بعيدا !! لا ــ ليس الآن لقـد كتب على أن أبقى .. هنا ــ بجانب الموتى ــ (تضحك ضحـكة جافـة وتستدير كأنها تتجه نحو المنزل) .

سث : (ينزعج من نظرتها فيجذبها من ذراعها) لا تدخلى هناك يا فينى .

لافينيـا : (بتجهم) لا تخف ياسث . اننى لن أفعل ما فعلته أمى وفعله أورين . فهذا ليس عقابا بل هو فرار من العقاب، ولم يبق أحد ليتولى عقابى فأنا نهاية السلالة ويجب أن أعاقب نفسى . ان أقسى قضاء ألاقيه هو أن أعيش وحدى هنا مع الموتى . أشد قسوة من السجن أو الموت ، لن أخرج من هنا أبدا ولن أرى أحدا وسوف أغلق النوافذ باحكام حتى لا يدخل خيط واحد من ضوء الشمس . سوف أعيش وحدى مع الموتى ، وأكتم أسرارهم ، وأترك أشباحهم تتعقبنى حتى ترد اللعنة ويكفر عنها . وتنقرض

أسرة مانون. (بإبتسامة غريبة قاسية بشعور
خبيث بالإرتياح
(إكتسبته من أعوام من تعذيب النفس
أعرف أنهم سينظرون
للأمر على أنني سأعيش لمدة طويلة
تستغرق أسرة مانون مدة طويلة ليعاقبوا !
. أنفسهم على كونهم ظهروا للوجود
ست : (بتفهم جهم) نعم وأنا لم أسمع
كلمة مما تفوهتي به يا فيني
(متظاهرا أنه يبحث في الأرض مرة أخرى)
لقد تركت مقلمة أظافري في مكان ما هنا
لافينيا : (تلتفت نحوه بحدة) إذهب أنت
. الآن وأغلق النوافذ وأحكم إغلاقها
ست: نعم
لافينيا : وأخبر حنا أن يلقي بالزهور جميعها.
ست : نعم (ويمضي بجوارها صاعدا
(السلالم إلى داخل البيت
وتصعد هي إلى الرواق وتلتفت ثم تقف هنيهة
متيبسة بأكتاف منتصبة تحملق
في ضوء الشمس بعيون متحجرة بينما يطل
ست من النافذة على
الجانب الأيمن من الباب ويغلقها بصوت عال
حاسم. كأنما ذلك الصوت
أمر لها ، تدور لافينيا على كعبها
بحدة وتسير متخشبة
. إلى داخل البيت وتغلق الباب خلفها

(ستار)



** معرفتى **
www.liilas.com/vb3
me3refaty.blogspot.com

الثمن ١٣